سلسلة إصدارات مجلة المجتمع

المسلمون في الهند

بين تضييق الواقع وتحديات المستقبل

سلسلة إصدارات مجلة المجتمع

المسلمون في الهند

بين تضييق الواقع وتحديات المستقبل

اســـــــم الكتـــــاب: المسلمون في الهند بين تضييق الواقع وتحديات المستقبل
الإخـــــــــــــراج: مصطفى عزالدين
التصـحيــح اللغـــوي: رضا إسماعيل
ا لمقـــــــــــــا س : ١٧-٢٤ سم
ا لطبـــــــــــــعة : الأولى (٢٠٢٢م - ١٤٤٣هـ)

الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة - الرمز البريد (١٣٠٤٩)
الموقع الإلكتروني: www.mugtama.com
البريد الإلكتروني: info@mugtama.com
تليفون: ٢٢٥١٤١٨٠ ٩٦٥ + - ٢٢٥١٩٥٣٩ ٩٦٥+

كل الحقوق محفوظة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة، أو أى وسيلة نشر أخرى، أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

تحرير: محمد سرحان

المشـــاركـون

د. ظفر الإسلام خـــــان	د. محمـد ضيـــــاء الله
د. محمد نوشـاد القاسمي	د. محمد أحمد بيغ الندوي
د. محمـد عمـــر عابديـــن	د. محمـــــود عاصـــــم
محمـد سعـــود الأعظمـــي	بـرهـان أحمد الصديقـــي
تفسيـــــر حسيـــــــن	مبيـــن أحمـد الأعظمـــــي
محمـد أحمـد الجعفـــري	د. محســـن عتيـــق خـــان
أبوظفـــر	فايز الحـــــق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المجلة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن رابطة الدين هي أعظم وأقوى الروابط التي تربط بين قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:١٠).

وقد ثبت في القرآن الكريم أن كل الروابط يوم القيامة تنقطع إلا رابطة الدين قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف:٦٧).

ومن حقوق هذه الرابطة الإيمانية أن يهتم المسلم بشأن إخوانه المسلمين وإن اختلفت الأوطان وتعددت اللغات وتباعدت الأجساد، هذا الاهتمام الذي يدفع المسلم للعمل من أجلهم، لنفعهم ولنصرتهم، ولنجدتهم، ولرفع الظلم عنهم.

وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»، وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

وقد كان اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالمسلمين متجلياً في كل حياته، وبلغ من اهتمامه بأمر المسلمين أنه كان يتحمل عمن مات منهم دينه فكان يقول: «أنا أولى بالمسلمين من أنفسهم، فمن مات وعليه دين فعلينا قضاؤه، ومن ترك مالاً فلورثته»، وكان يعود المرضى ويدعو لهم ويشهد جنازة من مات، ويهتم بشأن اليتامى والأرامل، بل كان يهتم بشأن الأفراد من أمته، وعلى نهجه سار أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، فكانوا كالجسد الواحد لا يطمع فيهم عدوهم ولا تغيب أخبار المسلمين عنهم، وواجب على المسلم

أن يشعر بارتباطه بإخوانه المسلمين في كل مكان فيتألم لآلامهم ويفرح لأفراحهم ويبذل كل ما يستطيع لتفريج كرباتهم وأقل أحواله ألا يغفل عن الدعاء لهم بظهر الغيب.

من هذا المنطلق آلت مجلة «المجتمع» -وهي مجلة المسلمين في أنحاء العالم- على نفسها أن تكون لسان المسلمين في أنحاء العالم، وقد عاهد العاملون فيها الله تبارك وتعالى على ألا ينسوا هموم المسلمين وآلامهم.

وهذه سلسلة إصدارات فصلية للكتب التي تتحدث عن أحوال المسلمين في أنحاء العالم، وهذا الكتاب «المسلمون في الهند بين تضييق الواقع وتحديات المستقبل» هو باكورة هذه السلسلة.

إننا نريد من وراء هذه الإصدارات أن نوقظ الإيمان في قلوب المسلمين، ليحملوا هم إخوانهم في شتى بقاع الأرض، وليتحمل كل منهم مسؤوليته نحو إخوانه، ولإبراز قضايا المسلمين في أنحاء العالم من خلال مناقشتها مع بيان الإيجابيات والسلبيات والوصايا العملية لحل هذه القضايا، والارتفاع بالمستوى الثقافي والتربوي والأخلاقي للأمة، من خلال رفع درجة الوعي واكتساب المعلومات والمهارات اللازمة للحياة المنتجة الفعالة، في مرحلة إعادة البناء.

والله من وراء القصد،،،،

مقدمة المحرر

يوماً بعد يوم تتسع مظاهر استهداف المسلمين في الهند، حتى أصبحت الاعتداءات التي يتعرضون لها سياسة ممنهجة، ولم يقتصر هذا الاستهداف على أحداث طائفية هنا أو هناك، بل بات توجهاً يقوده النظام السياسي في البلاد بشكل واضح، يستخدم خلاله الإعلام كأداة سياسية للتحريض ضد المسلمين ورميهم بالاتهامات فيتحول أفراد الأقلية المسلمة إلى جناة مسؤولين عن نشر فيروس كورونا كنوع من الجهاد، أو ما سبقه من «جهاد الحب».

وباتت تتكرر مشاهد حرق مساجد المسلمين وسحلهم في الشوارع كما حدث في تريبورا خلال أكتوبر ٢٠٢١م، أو دلهي في فبراير ٢٠٢٠م، بينما يستمر التضييق على المسلمين في آسام، في الوقت الذي تكررت حوادث منع المسلمين من أداء صلاة الجمعة في عدة مناطق بالهند.

هذه مظاهر طائفية بالشوارع، وفي أروقة السياسة يزداد الواقع بشاعة، ففي ٥ أغسطس ٢٠١٩م ألغي الحكم الذاتي في ولاية«جامو وكشمير» الجزء الخاضع لسيطرة نيودلهي من كشمير، وهي الولاية ذات الأغلبية المسلمة في الهند، ضاقت بهم حكومة ناريندرا مودي التي سارعت في إجراءات من شأنها تحويلهم إلى أقلية بمرور الوقت، وفي الذكرى الأولى لهذا القرار وضع حجر الأساس لمعبد هندوسي محل مسجد بابري التاريخي.

هذا بخلاف ترسانة القوانين التمييزية ضد المسلمين وتستهدف تحويلهم إلى مواطنين من الدرجة الثانية، مثل تعديلات قانون المواطنة، وقانون السجل الوطني الذي تم العمل به في آسام.

لكن هذا الواقع الصعب الذي يعيشه المسلمون اليوم يعكس كيف تحولوا من بناة حضارة خلال حكمهم للهند عقوداً طويلة، إلى أقلية غير مرغوب في وجودها بحسب خطاب المتطرفين الهندوس، لكنه في الوقت نفسه يعكس كيف تقزمت الهند المعروفة بتعدديتها إلى بئر للكراهية في ظل حكم حزب الشعب الهندي الهندوسي وأذرعه من متطرفي الحركات الهندوسية مثل منظمة «R.S.S» أو أصحاب نظرية«هندوتفا».

لا شك أن هذا الواقع لم يولد بين عشية وضحاها، أو أن سياسة حزب مودي المتطرفة تعني أن وضع المسلمين قبله كان أفضل كثيراً، الأمر لا يتعدى فروقاً هامشية، فالمسلمون على مدى عقود في تراجع مزعج؛ تعليمياً واقتصادياً، منذ سياسات الاحتلال البريطاني لشبه القارة الهندية، وجزء من هذه الصورة القاتمة نتاج تعاون هندوسي مع الاحتلال الذي أعاد التأريخ لحكم المسلمين في هذه البلاد بصورة تكفل تشويههم، واتبع نظريته المعروفة «فرق تسد» ليباعد بين المسلمين والهندوس.

السؤال الذي يطرح نفسه الآن ليس فقط كيف يمكن للمسلمين أن يعبروا بسلام من تحت هذه الموجة العاتية، وإنما كيف لهم أن يعيدوا ترتيب أوضاعهم مجدداً ويخرجوا من العزلة التي فرضها عليهم نظام مودي؟ فإذا كانت هناك أطراف تتبنى منهج التطرف انطلاقاً من نظرية أن الهند للهندوس، لكن هذا لا يعني أن كل الهندوس يؤمنون بهذه النظرية، فمن الضروري أن يعيد المسلمون جسور التواصل مع الجميع، وأن يحاولوا اللحاق بما فات أجيالهم تعليمياً، فالتحرك على الأقل أفضل كثيراً من انتظار الطوفان.

وهذا الكتاب «المسلمون في الهند» الذي جاء بمبادرة من مجلة «المجتمع» الكويتية؛ انطلاقاً من اهتمامها بقضايا المسلمين حول العالم، ويشارك فيه نخبة من الباحثين والكتَّاب من مسلمي الهند، هو في الأساس الهدف منه أن يميط اللثام عما يحدث للمسلمين في الهند، وأسبابه والأجواء التي يتضاعف فيها هذا التضييق.

ويرصد الأبعاد التاريخية، ويفكك المشهد وأطرافه الفاعلة ومنطلقاتها في هذه السياسات التي تتبناها، كما يتطرق إلى المشهد الإسلامي في الهند ومكوناته وتموضعه في المجتمع ككل، ويكشف بكل حيادية أسباب تراجع المسلمين الهنود سواء الذاتية منها أو

تلك التي بفعل أطراف أخرى، فهو يقدم للقارئ الصورة كاملة يستفيد منها في فهم الواقع العام لمسلمي الهند، كما لا غنى عنه للمؤسسات المعنية بشؤون المسلمين؛ إذ يعينها على تكوين صورة شاملة عما يتعرض له مسلمو الهند من تحديات، والمستقبل الذي ينتظرهم في ظل هذا الواقع.

محمد سرحان

المحـرر

تمهيد

يتناول هذا الكتاب واقع المسلمين في الهند وما يتعرضون له من اضطهاد ممنهج وسياسة طائفية واضحة في عدة مسارات سياسياً وقانونياً واجتماعياً، وتتم شيطنتهم إعلامياً، وعلى أرض الواقع تستهدفهم الجماعات الهندوسية المتطرفة فتحرق مساجدهم وبيوتهم وتقتل أبرياءهم في الشوارع، ويأتي في شكل أوراق يقدمها باحثون من أبناء الأقلية المسلمة في الهند، يقدمون من خلال هذا الكتاب صورة واضحة مفصلة للواقع الذي يعيشه مسلمو الهند والتحديات التي تهدد وجودهم.

الفصل الأول: وصول الإسلام إلى الهند- مبين أحمد الأعظمي

هذا الفصل يستعرض مراحل وصول الإسلام إلى شبه القارة الهندية وأهم محطاته التاريخية، ويعرض للفتوحات التي قامت بها جيوش المسلمين في هذه البلاد منذ عهد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكيف ساهم التجار المسلمون بنصيب كبير في تعريف أهل هذه البلاد بالإسلام، سواء من خلال تجارتهم من أهلها أو خلال رحلاتهم إلى سرنديب وخليج البنغال مروراً بالهند، وسيلتهم الأولى في ذلك الأمانة وحسن الخلق، وكذلك دور العلماء الذين جاؤوا لتعليم الإسلام لأهل هذه البلاد.

الفصل الثاني: المؤسسات الإسلامية الدعوية في الهند- د. محمود عاصم

عند الحديث عن الهند ومسلميها، فلا بد من الإشارة إلى الجمعيات والجماعات والمؤسسات الدعوية في الهند وخلفياتها التاريخية ومساهماتها في خدمة مسلميها، وهو ما يركز عليه هذا الفصل؛ إذ يستعرض أبرز المؤسسات مثل جمعية علماء الهند ومساهمتها في تحرير البلاد، والجماعة الإسلامية التي أنشأها أبوالأعلى المودودي، وأيضاً جماعة التبليغ، وجمعية أهل الحديث، وواقع هذه المؤسسات حالياً وما تحتاج إليه من تطوير ومواكبة.

الفصل الثالث: التعليم الإسلامي في الهند- د. محمد نوشاد النوري القاسمي

انطلاقة الأمم تبدأ من تعليم جيد، ولأهمية التعليم يقوم د. محمد نوشاد في هذا الفصل باستعراض التعليم لدى الأقلية المسلمة في الهند ومراحله التاريخية وأسباب ضعفه، ولماذا أحجم المسلمون عن التعليم لفترات طويلة ما جعلهم في ذيل المكونات الهندية تعليمياً، كما يستعرض مناهج المدارس الإسلامية ومحاسنها ومساوئها، ويقدم مقترحات يأمل من خلال العمل أن تسهم في تحسين واقع مسلمي الهند تعليمياً.

الفصل الرابع: المدارس الإسلامية في الهند- محمد سعود الأعظمي

ارتباطاً بالتعليم كان لا بد من التعريف بالمدارس الإسلامية التعليمية في الهند وتاريخها ومناهج وأفكار كل منها، وهو ما ركز عليه الأستاذ محمد سعود الأعظمي، باستعراض أبرز المدارس مثل دار العلوم ديوبند، وجامعة عليجراه الإسلامية، ودار العلوم ندوة العلماء، ومدرسة الإصلاح، والجامعة السلفية، وجامعة الفلاح، واستعرض إشكالات هذه المدارس إلى جانب مقترحات للنهوض بها.

الفصل الخامس: مساهمات علماء الهند في خدمة السُّنة النبوية-
د. محمد عمر عابدين

في هذا الفصل، يتطرق د. محمد عمر عابدين إلى دور علماء الهند في خدمة السُّنة النبوية، وكيف نشأ علم الحديث في الهند ومروره بمراحل ضعف ثم تطور وأشهر محدثي الهند ومصنفاتهم في شرح أمهات الكتب.

الفصل السادس: مسلمو الهند بين فكي الاحتلال الإنجليزي والهندوس
د. محمد أحمد بيغ الندوي

يستعرض هذا الفصل كيف كان مسلمو الهند أصحاب التاريخ الحضاري الواضح في هذه البلاد التي حكموها لقرون، وأسهموا في نهضتها، واحترموا تنوعها، وحافظوا على تعدديتها، وكيف أصبحوا ضحية للمؤامرات المشتركة بين البريطانيين والهندوس، فمن جهة أعاد الاحتلال كتابة تاريخ حكم المسلمين للهند بطريقة تكفل تشويههم، ومن جهة أخرى ينظر لهم المتطرفون الهندوس باعتبارهم دخلاء يجب التخلص منهم.

الفصل السابع: حركة القومية الهندوسية وتغيير الحياة السياسية في الهند
د. ظفر الإسلام خان

في هذا الفصل، يقوم د. ظفر الإسلام خان بعمل تشريح للواقع السياسي في الهند، وكيف تحكمت الكراهية والطائفية في المشهد السياسي ولا سيما مع صعود حزب ناريندرا مودي، ودور الحركة القومية الهندوسية في ذلك التحول، وموقع المسلمين في هذا المشهد والمذابح والأحداث الطائفية التي يتعرضون لها من وقت لآخر، وكيف يتم تقنين اضطهاد المسلمين عبر تشريعات عنصرية تصب في مشروع الدولة الهندوسية التي يتآكل فيها المسلمون ومساجدهم التاريخية وإرثهم الحضاري.

الفصل الثامن: هندوتفا: منظماتها وأفكارها الرئيسة- برهان أحمد الصديقي

يواصل هذا الفصل كشف اللثام عن الهندوتفا والحركة الهندوسية القومية ومؤسسوها وأهم نظرياتها وأفكارها وكيف تنظر للمسلمين.

الفصل التاسع: تأطير المسلمين في قضايا الإرهاب- د. محسن عتيق خان

هذا الفصل يستعرض كيف يمكن أن تُعطَّل القوانين إلا ضد المسلمين، وكيف يتم جر الأبرياء منهم دون ذنب، فإذا كانت القواعد القانونية تقضي بأن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، إلا في الهند؛ فالمسلم إرهابي حتى تثبت براءته ولو بقي في السجن سنين.

الفصل العاشر: حصة مسلمي الهند في الجهار البيروقراطي
محمد أحمد الجعفري

هذا الفصل يستعرض كيف يتكامل مخطط تهميش المسلمين في الهند، فإذا كانوا ضحية قوانين تمييزية، وسياسة تقوم على الطائفية؛ فهذا يظهر بشكل واضح في التمييز ضدهم في الوظائف بالجهاز الإداري للدولة، فرغم أن مسلمي الهند يمثلون نحو ١٤٪ من السكان، فإن نسبتهم في مختلف الوظائف الحكومية أقل من ٥٪ يعانون سياسة الإقصاء والتهميش.

الفصل الحادي عشر: تهميش مسلمي الهند في مجالات الإعلام والثقافة والفنون

تفسير حسين

يفترض أن يعكس الإعلام الصورة الكاملة للمشهد، لكن هذا الفصل يكشف كيف يعكس الإعلام الهندي صورة مجتزأة لواقع المسلمين، بل لم يعد هذا كافياً، بل في أغلب الأحيان تؤدي الشخصيات المسلمة في الأعمال الفنية أدوار المجرمين، وفي مجالات الإعلام والثقافة والفنون يتم تغييب المسلمين وتهميشهم حتى يستمر معهم فقط دور المتهم.

الفصل الثاني عشر: كشمير.. المسلمون تحت وطأة التطرف الهندوسي

محمد سرحان

خصصنا هذا الفصل لقضية كشمير نظراً لخصوصيتها، يستعرض كشمير ككل تاريخياً، وكيف عرفت الإسلام ومعاناة مسلميها تحت حكم عائلة الدوغرا الهندوسية قديماً، ثم مرحلة التقسيم، يليه تركيز على واقع «جامو وكشمير» الجزء الخاضع لسيطرة الهند، وكيف تسعى الهند لتحويل أغلبيتها المسلمة إلى أقلية.

الفصل الثالث عشر: الإعلام الهندي والتحريض على إبادة وكراهية المسلمين

فايز الحق

يستعرض هذا الفصل كيف لم يعد الإعلام الهندي يتناول الواقع في سبيل تحسينه، وإنما أصبح أداة سياسية لتشويه المسلمين وتأجيج كراهيتهم والتحريض على إبادتهم وتحميلهم مسؤولية كل شيء، حتى إن الإعلام الهندي يصور للهندوس أن فيروس كورونا ما هو إلا حرب بيولوجية شنه المسلمون ضدهم كنوع من الجهاد.

الفصل الرابع عشر: تقنين الاضطهاد (دراسة للقوانين التمييزية ضد المسلمين والمكونات المهمشة في الهند)

أبو ظفر

في الوضع الطبيعي يتم سن القوانين لتنظيم العلاقة بين مختلف الأطراف ووضع حدود للحقوق والواجبات، لكن هذا الفصل يوضح لك كيف يمكن أن يتم اضطهاد مكون من مكونات المجتمع باسم القانون، إذ يستعرض قوانين تستهدف المسلمين في الهند،

وكيف يمكن استخدام القانون للتمييز ضد فئة من فئات الشعب.

الفصل الخامس عشر: مستقبل مسلمي الهند

د. محمد ضياء الله

يستعرض هذا الفصل واقع المسلمين في الهند إجمالاً في ظل ما قدمته الفصول السابقة، ويحاول أن يستشرف المستقبل من خلال مجموعة من المقترحات، من المهم أن يضعها المجتمع المسلم بالهند في الحسبان لتخطي كبوة الاضطهاد والتهميش التي يعيشونها في ظل السياسات الطائفية.

وصول الإسلام إلى الهند وأهم محطاته التاريخية

مبين أحمد الأعظمي الندوي[١]

مما يعرفه الجميع أن الإسلام دين البشرية جمعاء، ودين النشر والدعوة، ودين التوجيه والإرشاد؛ ولذا، فإن المسلمين منذ أن تلقوا رسالة الإسلام وخلطت بشاشةُ الإيمان قلوبهم، لم يتوانوا ولو ليوم واحد في إيصال هذا الدين إلى أبعد ما يمكن. وقد سجل لنا التاريخ الكلمة التاريخية لفاتح بلاد المغرب عقبة بن نافع الفهري الذي عندما بلغ آسَفي آخر سواحل أفريقيا في الجانب الغربي ورأى المحيط الأطلنطي يتموج على مد بصره فقال:«يا رب، لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك»[٢]، وفي رواية: «اللهم اشهد، إني قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد»[٣]، وبالتالي انتشر الإسلام في مدة قصيرة في أرجاء المعمورة، في العرب والعجم على حد سواء.

ومن بين البلدان التي وصل إليها الإسلام في القرن الأول بلاد الهند والسند، وذلك عن طريق التجار العرب، والغزاة المسلمين، والعلماء والمشايخ الذين هاجروا من بلادهم إلى الهند وأقاموا فيها. يقول المؤرخ الإسلامي القاضي أطهر المباركفوري: «وفي آخر القرن الأول الهجري، كانت مناطق كثيرة من بلاد الهند والسند قد انضوت تحت راية الإسلام، وكان العمال والحكام الأمويون ومن بعدهم العباسيون يحكمون السند ويسيطرون

(١) أستاذ اللغة العربية والعلوم الشرعية في المعهد الثانوي لدارالعلوم لندوة العلماء لكناؤ الهند.

(٢) ابن الأثير: الإمام عزالدين أبوالحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، دارالكتب العلمية بيروت، ١٤٠٧هج-١٩٨٧م، ص: ٤٥١.

(٣) محمود شيت خطاب: قادة فتح المغرب العربي، الجزء الأول، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤هج- ١٩٨٤م، ص: ١١٠.

عليها حتى اعتبرت تلك المنطقة جزءاً من العالم الإسلامي تابعاً للخلافة»[١].

وإننا اليوم في معرض الكلام عن هذا الجانب المهم للتاريخ الإسلامي، ولكن قبل أن أدخل في صلب الموضوع، أرى من اللازم أن أوضح أن الهند في تاريخنا القديم تشمل شبه القارة الهندية بالإضافة إلى مناطق أفغانستان، كما أن السند كما يقول د. مظفر عالم في تقسيم العرب كانت تمتد إلى حدود الصين، وقامهل كانت الحد الفاصل بين الهند والسند، وهي تقع بين بيكانير وجيسلمير (في ولاية راجستهان) أو جوناجراه في ولاية غجرات[٢]، فعلى الدارس لهذا الموضوع أن يأخذ هذا الأصل في الاعتبار.

ومن المعلوم أن العلاقة التجارية بين العرب والهند كانت قائمة منذ القديم، وهذه التجارة أكثر ما تكون عن طريق البحر، والتجار العرب كلما كانوا يأتون إلى الهند أو يقصدون أي بلد يجاور الهند، كانوا يمرون حتماً بشواطئ الهند وموانئها، ويتبادلون فيها السلع التجارية. وقد ذكر السيد سليمان الندوي أسماء تلك الموانئ وتلك المنتجات في كتابه «العلاقات العربية الهندية»، فهو يقول مخبراً إيانا عن طريق العرب البحري إلى الهند: «وكان طريق العرب البحري يبدأ من مصر والشام إلى شواطئ البحر الأحمر، ومنه إلى الحجاز واليمن، ومن هنالك، عن طريق المراكب الشراعية، كان يقصد البعض مناطق أفريقيا والحبشة، والبعض الآخر يتجه صوب شواطئ حضرموت، وعُمان، والبحرين، والعراق مروراً بسواحل إيران في خليج فارس، وكانوا إما ينزلون في ميناء بلوجستان، أو يتقدمون صوب ميناء السند في كراتشي، ثم بعد ذلك يتجهون إلى ميناء كتهياوار والكجرات، ومنها إلى تهانه ومومباي وكهمبايت، حتى يصلوا إلى كاليكت وراس كماري، وأحياناً كانوا يقيمون فترة من الزمن في شواطئ مدراس، وأحياناً أخرى كانوا يواصلون سيرهم إلى سرنديب أندمان، ومنها مباشرة يطوفون كل موانئ مدراس حتى يدخلوا خليج البنغال، وهناك يمرون على موانئ البنغال، برهما وسيام، ومنها إلى الصين، ومن هذه الطريق كانوا يعودون»[٣].

(١) المباركفوري: القاضي أطهر، الحكومات العربية في الهند والسند، ترجمة: الأستاذ عبدالعزيز عزت عبدالجليل، ص: ٤٢.

(٢) د. مظفر عالم، المدارس الإسلامية في الهند بين الأمس واليوم، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حيدرآباد، ٢٠١٠م، ص: ١٩.

(٣) الندوي: السيد سليمان، العلاقات العربية الهندية، تعريب: أحمد محمد عبدالرحمن، شارع الجبلاية بالأوبرا-

أما المنتجات الهندية التي كان العرب يأخذونها فكانت فيها أنواع من اللآلئ والعطور والتوابل والفواكه والأدوية والأقمشة والألوان والحيوانات وغيرها، ومما يدل على علاقة العرب بالهند أننا نجد في العربية عدداً لا بأس به من الألفاظ ذات الأصل الهندي، التي تخبر بنفسها عن موطنها الأصلي، وجلها من التوابل والعطور والأدوية، والأكبر من ذلك أنه ورد في وصف الجنة ثلاثة ألفاظ من روائح هذا البلد الشبيه بالجنة، ألا وهي: المسك، والزنجبيل، والكافور[١].

وإن هذه الألفاظ لم ترد في القرآن الكريم إلا بعد أن مرت عليها السنون ثم أصبحت كأنها من الكلمات العربية الخالصة، وذلك لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين.

المحطة الأولى لوصول الإسلام في الهند:

بحسب البيان التاريخي، فإن الجيش الإسلامي كان قد وصل إلى نهر السند عام ٢٣هـ/ ٦٤٣م في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان قائد هذا الجيش الحكم بن عمرو التغلبي، وفي نفس السنة، قام المسلمون بشن غارات بحرية على السواحل الغربية للهند ولكنهم لم يفتحوا بلداً تقوم فيه حكومة إسلامية؛ لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد أصدر الأمر بمنع هذه الغارات[٢]؛ لئلا يقع الجيش الإسلامي في مهلكة، ومع أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يأذن لجيش المسلمين بالتقدم إلى الأمام، إلا أن وصول الإسلام إلى أرض الهند تحقق عن طريق البر. ويجدر بالذكر أن الصحابة الذين مارسوا دوراً قيادياً في هذه المعركة كان منهم عاصم بن عمرو، وعبدالله بن عبدالله بن عتبان، وسهيل بن عدي، بالإضافة إلى الحكم بن عمرو التغلبي رضي الله عنهم أجمعين.

وكما يقول المؤرخ الإسلامي محمد قاسم فرشته: إن القائد الأمير مهلب بن أبي صفرة فتح المناطق الهندية المجاورة لأفغانستان في عهد معاوية بن سفيان رضي الله عنه،

الجزيرة- القاهرة. ٢٠٠٨م. ص: ٢٩- ٣٠.

(١) المصدر السابق: ص: ٨٠.

(٢) د. محمد إسحاق: علم حديث مين برعظيم باك وهند كا حصه (إسهامات الهند وباكستان في علم الحديث) نقلها من الأصل الإنجليزي «Contiribution of India to the Study of Hadith Litrature» في لغة أردو شاهد حسين الرزاقي، ١٩٨٣م، ص: ١٧.

وسبى ما بين عشرة آلاف واثني عشر ألفاً من الغلمان والجواري، فدخل كثير منهم في الإسلام وآمنوا برسالته[١].

ووجه الحجاجُ بن يوسف الثقفي، محمدَ بن القاسم سنة ٩٢ أو ٩٣هـ إلى الهند تلبية لنداء امرأة مسلمة أسرها ملك السند، فجاء محمد بن القاسم وحاصر ديبل (كراتشي حالياً)، وقاتل حماتها بشدة، وهزمهم هزيمة نكراء، واغتنم الكثير، فأنزل فيها أربعة آلاف من المسلمين وبنى أول جامع فيها، وثبت هذا الفتح فتحاً مباركاً، فشق له الطريق إلى فتح كثير من البلاد المجاورة[٢]، كما أنه كان لبنة أولى قام عليها صرح الحكم الإسلامي المتين، وهكذا رفرفت راية الإسلام في هذه المنطقة، ومن غير الممكن ألا يصل خبر هذا الدين الجديد إلى أهالي الولايات المجاورة أيضاً.

المحطة الثانية: ولاية مهاراشترا وغجرات:

وقبل ذلك، قام المسلمون بشن غارة بحرية لأول مرة على الهند بقيادة الصحابي الجليل الحكم بن أبي العاص الثقفي على تانة التي تقع في ممبائي (مهاراشترا)، وكان أرسل الحكمَ أخوه عثمان أبي العاص الثقفي الذي استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البحرين وعُمان عام ١٥هـ/ ٦٣٧م. يقول عنه المؤرخ العلامة عبدالحي الحسني، رحمه الله، في كتابه «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام»: الحكم بن أبي العاص.. الثقفي الرجل المجاهد، وجهه أخوه عثمان بن أبي العاص -أمير البحرين وعُمان- سنة خمس عشرة من الهجرة في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تانة، وأقطع له جيشاً، فلما رجع كتب إلى عمر يُعلمه ذلك، فكتب إليه: يا أخا ثقيف، حملت دوداً على عود، وإني أحلف بالله أن لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم.

قال البلاذري: ووجَّهه عثمان أيضاً إلى بروص، وبروص (بروج) بندر كبير من بنادر الهند[٣]، وتقع في ولاية غجرات الهند، ويقول المؤرخ العلامة الحسني في كتابه «ياد أيام»:

(١) فرشته: محمد قاسم، تاريخ فرشته، الجزء الأول. مكتبة فريد بدهلي، ٢٠١٤م، ص: ٥٨. (في الأردية).
(٢) راجع للتفصيل المصدر السابق الجزء الثاني، ص ٨٢٠ – ٨٢٤. والمجلد السادس عشر لمجلد المجمع العلمي العراقي: محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند، لمحمود شيث خطاب، ١٣٨٨هج- ١٩٦٨م. ص: ١٣٧ – ١٤٣.
(٣) الحسني: العلامة عبدالحي بن فخر الدين ، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمي بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، دار ابن حزم بيروت لبنان، ١٩٩٩م- ١٤٢٠هـ، الجزء الأول، ص: ٣١

إن الخليفة هشام بن عبدالملك قام بتعيين جنيد بن عبدالرحمن المري أميراً على السند، فجاء السند وفكر في فتح غجرات، فأرسل جيشاً إلى كجهة من غجرات، فتوغل جيشه في بروص وتوجه منها إلى مالوه فاتحاً كثيراً من مناطق غجرات[١].

سنة ١٥٩هـ، أرسل الخليفة العباسي المهدي بالله جيشاً كبيراً إلى الهند بقيادة عبدالملك بن شهاب المسمعي سنة ١٥٩هـ فوصل إلى باربد التي يبدو أنها من كهمبايت (كنبايه) من غجرات، وحصلت له فتوحات كثيرة[٢].

وقد ذكر بعض المؤرخين منهم الطبري أن طائفة من مسلمي العراق هاجرت إلى الهند خوفاً من بطش الحجاج بن يوسف، واستوطنت الساحل الغربي لكونكن في مهاراشترا وشرق راس كماري في مدراس، ومن هذه الطائفة المخدوم علي المهائمي الذي قبره في ماهيم[٣].

وهكذا تعرفت أرض مهاراشترا وغجرات وما جاورهما من الولايات على رسالة الإسلام. أما هجوم محمود الغزنوي فأشهر من أن يذكر، يقول الشيخ أبو الحسنات الندوي: صحيح أن المسلمين دخلوا الهند في آخر القرن الأول الميلادي وأضاءها نور الإسلام في ذلك الوقت، إلا أن الإسلام لم يكن قد انتشر في أرجاء الهند بشكل ملموس، ولكن عندما قصد السلطان محمود الغزنوي الهند وأقام دولة غزنوية قوية كانت عاصمتها غزنة؛ انتشر الإسلام في الهند انتشاراً واسعاً، وحصل للمسلمين قوة ومنعة فيها، إنه قصد الهند سنة ٣٩٠هـ ودخلها غازياً في سبيل الله، حتى انضوت تحت رايتها أكثر المناطق الهندية الغربية[٤].

المحطة الثالثة: ولاية كيرالا وتامل نادو والمناطق المجاورة من جنوب الهند:

ومن الواضح أن البحارة العرب كانوا يمرون بشواطئ جنوب الهند في طريقهم إلى سرنديب (سريلانكا الحالية) وخليج بنغال ويقيمون فيها فترة من الزمن في بعض

(١) الحسني: العلامة عبدالحي بن فخر الدين، ياد أيام (ذكرى الأيام)، المجمع الإسلامي للتحقيق والنشر، ندوة العلماء لكناؤ، ١٤٠٣هج - ١٩٨٣م، ص: ٤٥ - ٤٦.
(٢) المصدر نفسه: ٤٦.
(٣) الشيخ محمد إكرام: آبِ كوثر، شركة تاج بدهلي، ٢٠٠٤م، ص: ٤١ - ٤٢.
(٤) الندوي: أبوالحسنات، هندوستان كي قديم إسلامي درس كاهين، دارالمصنفين أعظم جراه، ١٣٩١هج - ١٩٧١م، (المعاهد الإسلامية القديمة في الهند) ص: ١٦ - ١٧.

الأحيان، فمن المؤكد أن يبلغ الإسلام مسامع أهلها لأول مرة عبر هؤلاء التجار، وقد سبق أن طائفة من مسلمي العراق استوطنت شرق راس كماري وأقامت هناك، وبالإضافة إلى ذلك، ثبت تاريخياً أن مالك بن دينار رحمه الله هو الذي قام بنشر دعوة الإسلام في هذه المنطقة، وليكن في أذهاننا أن مالك بن دينار هذا غير مالك بن دينار العابد الزاهد الشهير المتوفى سنة ١٣١هـ، ولا نعرف عنه إلا قليلاً، جاء إلى الهند وحصلت له القربة من ملك مليبار فأسس مساجد ودوراً لتعليم الدين فيها.

يقول السيد عبدالرحمن العيدروس الأزهري: ويرتبط تاريخ الشيخ مالك بن دينار رضي الله عنه وشهرته بنشر الإسلام في ربوع الهند بعلاقته بالملك الحاكم ببلاد مليبار التي تطل على البحر الغربي من الناحية الغربية الممتدة من قرب كووا (Goa) شمالاً إلى رأس كماري (Kanyakumari) جنوب الساحل الطويل لشبه القارة الهندية في الجنوب الغربي حوالي ٨٠٠ كيلومتر.

وكتب المؤرخ الكبير بزرك بن شهريار، والمؤرخ الهندي أكبر شاه وغيرهما من المؤرخين أن الناس في الهند عرفوا عن الإسلام في أول عهده (عهد مالك بن دينار)، وذكر بزرك بن شهريار في عجائب الهند قصة الوفد الهندي الذين سافروا إلى المدينة المنورة للمعرفة عن الدين الجديد وصاحبه الذي سمعوا من تجار العرب عنه وعن معجزاته الباهرة، وخاصة عن انشقاق القمر، ليعلموا حقيقته عن كثب واختاروا طريقاً وعراً برياً من مسالك الهند الصعبة إلى البلاد العربية ولم يصلوا إليها إلا بعد مدة مضت في السفر القاسي توفي فيها الرسول عليه الصلاة والسلام، والخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه، ووصلوا أيام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي رجوع هذا الوفد مات رئيسه في قرية مكران الواقعة الآن في جمهورية باكستان، وذكر أكبر شاه في كتابه «آئينه حقيقة نامه» أن بعض الصحابة جاؤوا إلى الهند وماتوا فيها كما ذكر مواقع قبور بعض الصحابة، لكن الإسلام لم ينتشر إلا بواسطة الشيخ مالك بن دينار[1].

(١) الأزهري: السيد عبدالرحمن العيدروس، تاريخ الشيخ مالك بن دينار وأهمية المجمع الإسلامي باسمه، ص: ٢-٤ بحذف وتعديل.

المحطة الرابعة: ولاية بنغال والمناطق المجاورة من شرق الهند:

إن تجار العرب كانوا يمرون بميناء شلاهط (Sylhet) وبندر صادجام (Chattogram/ Chittagong)، ويمكثون هناك لبيع سلعهم التجارية وشراء منتوجات الهند، وإنهما من موانئ خليج بنغال الذي هو الجزء الشمالي الشرقي من المحيط الهندي، والجانب الشمالي لهذا الخليج تم تقسيمه الآن إلى بنغال الغربية الهندية وبنغلاديش، وقد ثبت تاريخياً أن التجار من الحجاز والشام واليمن ومصر والعراق وفارس الذين كانت بينهم وبين الصين علاقة تجارية كانوا يمرون حتماً بخليج بنغال.

يقول السيد سليمان الندوي: «أما الطريق الآخر بين العرب والهند، فكان عن طريق الخليج العربي الذي ظل مفتوحاً بين العرب والفرس من سكان السواحل، فيحملون بضائعهم براً وبحراً، عبر جميع المدن الهندية الساحلية، وجميع جزر المحيط الهندي، ثم مروراً بالبنغال وآسام حتى الصين، ثم يعودون قافلين من هذا الطريق نفسه»[1].

ولذلك نجد أن الإسلام كان قد وصل إلى بنغال في القرن الثامن الميلادي.

يكتب الباحث سعيد الرحمن نقلاً عن كتاب الشاه نور الرحمن «Hindu Muslim Relations in Mugal Bengal» (علاقات الهندوس والمسلمين في بنغال المغولية): كانت قد نشأت علاقة بين العرب وسكان بنغال في الوقت الذي تم فيه فتح السند والملتان على يد محمد بن القاسم، وهناك ثلاثة أنواع من الشهادات التي تدل على نشوء العلاقات بين العرب وسكان بنغال منذ القرن الثامن الميلادي:

١- الشهادات الآثارية.

٢- كتابات الجغرافيين العرب.

٣- العادات والتقاليد السائدة في مختلف أنحاء المنطقة.

وقد عثر علماء الآثار القديمة على عملة فضية في فهارفور (Pahar Pur) في راج شاهي (بنغلاديش حالياً)، وكانت العملة صادرة من الخليفة العباسي هارون الرشيد عام ٧٨٩م، بناء على هذه العملة الفضية يدعي بعض المؤرخين أن العملة المذكورة وصلت بنغال

(١) الندوي: السيد سليمان، العلاقات العربية الهندية، تعريب: أحمد محمد عبدالرحمن، شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ٢٠٠٨م. ص٦١.

على أيدي التجار، كما كانت العلاقات التجارية قائمة بين العرب وأهالي بنغال آنذاك[١].

ويقول نقلاً عن كتاب «Preaching of Islam»: في بنغال نجح الدعاة المسلمون نجاحاً باهراً في الدعوة الإسلامية، حيث اعتنق سكانها الإسلام في عدد كبير، وأسست مملكة مسلمة في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي على يد محمد بن بختيار الخلجي في غور(Gaur) بعد أن فتح بهار وبنغال، والسيادة المسلمة لأزمان طويلة قد ساعدت في نشر الإسلام[٢].

وإن الأمير قطب الدين أيبك اختيار الدين محمد بن بختيار الخلجي الذي فتح أرض بنغال قام ببناء المساجد والمدارس والزوايا ونفذ قوانين الإسلام، وخلال عدة سنوات فتح جميع مدن بنغال[٣]، وهكذا تأسس الحكم الإسلامي في هذه المنطقة، وتأصلت جذور الإسلام فيها.

انتشار الإسلام في الشعوب الهندية بشكل عام:

إلى هنا، درسنا عن دَور العلاقة التجارية بين العرب والهند، ودَور الحملات العسكرية والفتوحات الإسلامية في التعريف بدين الإسلام في الهند، والآن نلقي نظرة عابرة على جهود العلماء الربانيين والكتَّاب الإسلاميين الذين مارسوا دوراً ريادياً في نشر الإسلام في الهند وتزويد الناس بالعلوم الإسلامية.

وكما يقول د. سعيد الرحمن الأعظمي الندوي: لما فتح محمد بن قاسم الهند جاء معه جماعة من العلماء أمثال ربيع بن صبيح البصري السعدي التابعي، وحباب بن فضالة التابعي، وبتربية هؤلاء الأعلام نبغ من أهالي الهند الشيخ أبو معشر نجيح بن عبدالرحمن السندي المدني المتوفى سنة ١٧٠هـ، الذي يعد من أقدم كتَّاب السيرة النبوية، والشاعر العربي أبوعطاء السندي.

ثم قامت الحكومة الغزنوية، فكان في الهند وقتذاك المؤرخ أبو ريحان البيروني،

(١) الباحث سعيد الرحمن: المدارس الإسلامية لولاية بنغال الغربية ودورها في الدراسات العربية، مركز الدراسات العربية والأفريقية، جامعة جواهرلال نهرو، دلهي، ٢٠٠٧م، ص: ٣- ٤.
(٢) المصدر نفسه: ص٥.
(٣) فرشته: محمد قاسم، تاريخ فرشته الجزء الثاني: مكتبة فريد بدهلي، ٢٠١٤م، ص: ٧٩٠.

وقدم إلى الهند الشيخ محمد إسماعيل، وعاش في رحاب الهند أيضاً مسعود بن سلمان اللاهوري.

وحكم الغوريون الهند عشرين سنة، فكان من أبرز علمائها الشيخ الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني الذي عرف بمؤلَّفه الجليل «العباب الزاخر واللباب الفاخر» في عشرين مجلداً، و«مشارق الأنوار النبرية من صحاح الأخبار المصطفوية».

واستمر عهد الخليج التغالقة بعد العهد الغوري، وقد نبغ فيه الشيخ نظام الدين أولياء الذي كانت خطبته العربية مشهورة.

ثم جاء عهد آل تغلق ومن أعلامها الشيخ أبوبكر إسحاق بن تاج الدين الملتاني، والقاضي حميد الدين الدهلوي، والشيخ حسام الدين الدهلوي، والشيخ علي بن أحمد المهايمي، وعالم بن العلاء الأنصاري صاحب الفتاوى التاتارخانية.

وحكم المغول الهند مدة طويلة، وكان من أعلامها الشيخ محمد طاهر الفتني، وملا محمود الجونفوري، ومحمد أعلى التهانوي، والعلامة ولي الله الدهلوي، والعلامة غلام علي آزاد البلكرامي، والشيخ مرتضى الزبيدي[1].

وبالإضافة إلى ذلك، هناك عدد كبير من العلماء الذين اختاروا السلوكيات في جنب أعمالهم العلمية واهتدى كثير من الناس بهدى الإسلام على أيديهم، منهم الشيخ معين الدين الجشتي الأجميري (٦٢٧هـ) الذي أسلم على يده مئات آلاف من عبدة الأصنام في أجمير وما جاورها من البلدان، والشيخ إسماعيل اللاهوري المتوفى سنة ٤٤٨هـ، والشيخ فريد الدين مسعود الأجودهني المتوفى سنة ٦٦٤هـ، اللذان أسلم على يديهما آلاف في بنجاب، والسيد علي بن الشهاب الهمداني المتوفى سنة ٧٨٦هـ الذي أسلمت كشمير كلها على يده، وفي هذه السلسلة الذهبية للعلماء الصوفية يأتي كثير من المشايخ أمثال الشيخ قطب الدين بختيار الكاكي، والشيخ نظام الدين أولياء الدهلوي، والشيخ علاء الدين صابر الكليري، والشيخ نصير الدين جراغ الدهلوي، وقام كل واحد منهم بتوجيه الناس إلى دين الإسلام، ومنهم الشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري الذي

(١) الأعظمي : د. سعيد الرحمن، اللغة العربية في الهند، مقالة «مناهج تعليم اللغة العربية في الهند ومدارسها»، مركزالملك عبدالله بن العزيز الدولي، ٢٠١٤م - ١٤٣٦هـ، ص: ١٨ - ٢٠ بحذف وتعديل.

دائرة عمله المناطق الشرقية للهند، وفي الألف الثاني الهجري نهض المجدد الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندي وصمد في وجه البدع والضلالات صمود الجبال الراسيات، ولم يخف في ذلك بطش السلطان جلال الدين أكبر المتربع على عرش الحكومة المغولية آنذاك، فاهتدى به خلق كثير في الهند وخارجها، وإن رسالاته لا تزال تنفع دارسيها حتى الآن، والسلطان أورنك زيب عالمكير ليس إلا ثمرة من شجرة غرسها السرهندي في أرض الهند، وفي الربع الأول من القرن الثاني عشر الهجري لمع في سماء الهند شخص تتلمذ على يد الشاه عبدالعزيز الدهلوي، نجل الشاه ولي اللّٰه المحدث الدهلوي، وفاق كثيراً ممن سبقه من العلماء في الدعوة إلى التوحيد واتباع الإسلام، واستفرغ جهده في إزالة البدع ومحو الضلال من الهند، فتاب على يده آلاف من المسلمين، وقام بجولات واسعة في بلاد الهند بما فيها السند وباكستان وأفغانستان، وحارب السيخ، وقاوم الإنجليز، وأقام إمارة إسلامية على منهج الخلافة الراشدة في أفغانستان أصبحت فيما بعد ضحية للخيانة والغدر، وكان معه في هذه الدعوة الشيخ إسماعيل الشهيد، والشيخ عبدالحي البدهانوي، مات الأول شهيداً مع السيد أحمد في معركة بالاكوت سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م، وإن حركة السيد أحمد الشهيد أثرت على مسلمي الهند تأثيراً كبيراً، ويُرى أثرها جلياً حتى الآن.

والآن بحسب تعداد عام ٢٠٢٠م، المسلمون في الهند ١٤,٩٪ بالنسبة إلى جميع سكان البلاد؛ أي نحو ١٩٥ مليون نسمة تقريباً، وإن كل ذلك لم يتيسر ولم يحصل إلا بفضل العلاقات العربية الهندية القائمة منذ القدم، وبحكم الجهود المخلصة للغزاة المسلمين والدعاة المصلحين والعلماء الربانيين الذين بذلوا كل غالٍ ونفيس في سبيل الإسلام.

وبالنظر إلى تزايد مستمر في عدد المسلمين في الهند، وإلى الصفات التي كانوا متصفين بها عبر تاريخهم الطويل، بما فيها العلم، والثقافة، والسياسة النزيهة، والصدق في القول، والأمانة في التعامل، والجرأة في العمل، والإقبال على الخير، يمكن التكهن بأنهم سوف يمارسون دوراً قيادياً في رقي بلاد الهند وتطورها في المستقبل أكثر من قبل.

وقد رأت الهند أن المسلمين فيها ساهموا بدور كبير في مساعدة المواطنين من ذوي الحاجة خلال الإغلاق الكامل في البلاد، وفي إنقاذ العالقين في الفيضانات العارمة في مختلف مناطقها في هذه الفترة، بصرف النظر عن الدين والعرق واللون؛ ومن أجل ذلك،

فإن أيديولوجيات هندوتفا التي لا تزال تستهدف المسلمين في الهند، وتريد أن تجعلهم مواطنين من الدرجة الثانية فيها لم تنجح في أهدافها، ولن تنجح إن شاء الله تعالى، وفي مثل هذه الظروف، يتحتم على المسلمين ألا يحيدوا عن طريق الحق، مهما اشتدت الأحوال، فإن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّه مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣)، ويقول: ﴿إِنَّ اللَّه لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

المؤسسات الإسلامية الدعوية في الهند.. الدور والتأثير

د. محمود عاصم- نيودلهي

ملخص البحث:

يتناول هذا المقال تعريفاً موجزاً عن الجماعات الرئيسة التي تمثل المسلمين في الهند وأهدافها ونشاطاتها التي تسعى من خلالها إلى تحسين مستوى المسلمين من النواحي المختلفة والمجالات العديدة من الحياة.

مقدمة:

يعتبر الإسلام ثاني أكبر الديانات بعد الهندوسية في الهند، ويشكل المسلمون الأغلبية الثانية، مما يجعل الهند ثالث أكبر بلد من حيث عدد المسلمين في العالم بعد إندونيسيا وباكستان[1].

يمثل المسلمون ١٤٪ من سكان الهند، وينتشرون في جميع ولايات البلاد، حيث يمثلون الأغلبية في ولاية جامو وكشمير، ويمثل الإسلام أغلبية السكان في جزر لكشديب، فيما تتنوع نسبتهم بين ارتفاع وانخفاض في باقي الولايات.

وتهتم بشؤون هذه الأقلية عدة منظمات وجمعيات، منها أحزاب سياسية بما فيها مجلس اتحاد المسلمين لعموم الهند الذي يرأسه عضو البرلمان الهندي أسد الدين أويسي بجنوب الهند، وجبهة عموم الهند الديمقراطية المتحدة المتمركزة في ولاية آسام بشمال شرق الهند وحزب السلام أي بيس بارتي، ومجلس العلماء لعموم الهند في ولاية أترابراديش.

(1) https://www.islamweb.net/ar/article/

لكن رغم تواجد هذه الأحزاب، يتم التعامل معهم كأقلية في نهاية المطاف، وأصواتهم ضئيلة، كما أن مشاركتهم في الأحزاب السياسية ضعيفة، وبالتالي فإن قضاياهم أقل طرحاً وتمثيلاً مقارنة بغيرهم[1].

يوجد لدى الأقلية المسلمة الهندية جامعات لتدريس العلوم الإسلامية وأخرى للعلوم العصرية، ومن أهمها:

١- دار العلوم ببلدة ديوبند.

٢- ندوة العلماء في لكناؤ.

٣- مدرسة الإصلاح بسراي مير.

٤-جامعة الفلاح بأعظم جراه.

٥- مظاهر العلوم بسهارفنفور.

٦- جامعة على جراه الإسلامية.

٧- الجامعة الملية الإسلامية بنيودلهي.

هناك مؤسسات تعليمة واجتماعية أخرى بما فيها مجلس المشاورة الإسلامي لعموم الهند، ومجلس الأحوال الشخصية للمسلمين، وهذه الجماعات نشطة في المجالات المختلفة، وتسعى جاهدة لتحسين مستوى المسلمين الهنود على المستويات كافة.

ولكن نحن هنا بصدد الجماعات والمنظمات والمؤسسات الدينية التي تعالج قضايا المسلمين الاجتماعية والسياسية، وترفع الأصوات ضد أعمال العداء والتمييز ضدهم في عموم الهند، ونقدم هنا تعريفاً موجزاً للجماعات الرئيسة في الهند، ونسلط الضوء على أهم أهدافها ونشاطاتها وجهودها لنيل حقوق الأقلية المسلمة في الأراضي الهندية.

(1) https://www.noonpost.com/content/38021

جمعية علماء الهند:

تأسيس الجمعية:

تعتبر جمعية علماء الهند واحدة من أقدم المنظمات الإسلامية التي مارست -ولا تزال- دوراً ملموساً في تحسين ورفاهية المسلمين في الهند، ولا سيما دورها في مواجهة ورفع قضايا تأطير المسلمين في قضايا الإرهاب في المحاكم الهندية.

تنتمي هذه الجمعية إلى مدرسة الفكر الديوبندي في الهند، وتأسست في عام ١٩١٩م من قبل مجموعة من علماء الديوبندية، وانتخب المفتي كفاية الله الدهلوي كأول رئيس للمنظمة[١].

تهتم هذه الجمعية منذ تأسيسها بأمور المسلمين السياسية والاجتماعية، كما تنحصر نشاطاتها في نشر العلوم، وتوفير الخدمة الإنسانية للمسلمين، وترتبط نشاطاتها بمعظم الأمور المتعلقة بالدولة والديانة.

حركة استقلال الهند ودور جمعية علماء الهند فيها:

شاركت الجمعية في حركة الخلافة قبل استقلال الهند بشكل نشط، وذلك بالتعاون مع حزب المؤتمر الوطني الهندي، وعارضت تقسيم الهند، واتخذت موقفاً بأن أفراد جميع الطبقات والديانات في الهند يشكلون أمة واحدة، وهي أمة هندية مع اختلاف دياناتهم وعقائدهم،

وأدت جمعية علماء الهند دوراً بارزاً في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني، واستطاعت أن تدون اسمها في التأريخ بحروف ذهبية؛ لما قامت به من نشاطات وسياسات وتدابير محكمة في القضاء على الحركات التبشيرية والتنصيرية، والعمل على تفكيك القوة المستعمرة، وذلك من خلال مشاركتها في جميع العمليات التي كانت تهدف إلى إبعاد المستعمرين عن البلاد، حتى ظفرت البلاد بالاستقلال عام ١٩٤٧م[٢].

وقامت بدورها في مواجهة القضايا المتعلقة بتأطير الشبان المسلمين بتهمة الإرهاب في الهند، واعتقالهم في السجون لسنوات عديدة، من خلال مواجهتها عن طريق الدستور

(1) https://areq.net/m/٪

(2) https://www.msf-online.com

الهندي في المحاكم الهندية المختلفة.

بعد وفاة رئيسها السابق أسد مدني، انقسمت جمعية العلماء إلى فصيلين؛ أحدهما يرأسه أرشد مدني، والآخر يرأسه قاري عثمان منصوربوري، وفي عام ٢٠١٩م، احتفلت جمعية العلماء الهندية بالذكرى المئوية لتأسيسها عام ١٩١٩م[١].

الجماعة الإسلامية بالهند:

التأسيس:

تعتبر الجماعة الإسلامية من أهم المنظمات التي تمثل المسلمين في الهند بالمجالات المختلفة، وتبذل جهودها لتحسين مستواهم في المجالات التعليمية والاجتماعية والخيرية، أسسها الإمام أبو الأعلى المودودي في مدينة لاهور عام ١٩٤٧م، وكان الهدف من هذه الجماعة هو الإصلاح الشامل لحياة المسلمين.

وذكر المودودي أهداف جماعته، حيث دعا مسلمي الهند إلى الانضمام إليها عبر مجلته «ترجمان القرآن»، فكتب: «لا بد من وجود جماعة صادقة في دعوتها إلى الله تعالى، جماعة تقطع كل صلاتها بكل شيء سوى الله وطريقه، جماعة تتحمل السجن والتعذيب والمصادرة، وتلفيق الاتهامات، وحياكة الأكاذيب، وتقوى على الجوع والبطش والحرمان والتشريد، وربما القتل والإعدام، جماعة تبذل الأرواح رخيصة، وتتنازل عن الأموال بالرضا والخيار»[٢].

توفي المودودي في عام ١٩٧٩م، ودفن في مدينته لاهور، وأمّ المصلين على جثمانه الشيخ يوسف القرضاوي، ويذكر القرضاوي عن تشييع الشيخ أبو الأعلى: «لم أرَ في حياتي تجمُّعاً لصلاة أو لغيرها، مثل هذا التجمع، الذي كان على رأسه رئيس جمهورية باكستان الرئيس ضياء الحق رحمه الله، وكان هذا التجمع الإسلامي الكبير دليلاً على مكانة هذا الرجل في قومه، وإن كان هناك مَن يخالفونه في بعض المسائل، ولكن جمهور

(1) https://stringfixer.com/ar/Jamiat__Ulema-e-Hind

(٢) من إقبال إلى المودودي.. حكاية الإسلام في الهند عبر ٤ شخصيات لامعة، تمام أبوالخير
https://www.noonpost.com/content/38238

علماء باكستان ودعاتها ومثقفيها يعرفون منزلة الرجل، ويقدرون فكره وفقهه وجهاده، ووقوفه في وجه الحضارة الغربية الغازية»[١].

أهداف الجماعة الإسلامية:

تهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية والوقوف بحزم أمام جميع أشكال العلمانية، وهي جماعة تهدف إلى جعل الإسلام نظاماً شاملاً للبشرية كافة وللمسلمين عامة، وترى ضرورة استخلاص المسلمين الحكم من الطواغيت، خروجاً من النظرية القومية الضيقة ونأياً عن تحكم الحضارة الغربية ووأداً لكل الأفكار التي تعارض الفكر الإسلامي وتحقيقاً لسيادة الأفكار التي تقضي على الجمود الديني[١].

تتميز هذه الجماعة بين الجماعات الهندية المسلمة بكتبها وموادها الدعوية وأدبها الإسلامي، وتمثل دوراً في سد الفجوة بين الجماعات المسلمة وغير المسلمة، حيث تشكل تحالفاً مع الجماعات العلمانية ذات الفكرة المماثلة من أجل الحصول على الحقوق والحريات الدينية في الهند، وهي جماعة تعتبر أكثر تنظيماً وهيكلة من بين الجماعات المسلمة الأخرى، وتقارن في بعض الأحيان بأكبر جماعة هندوسية «آر إس إس» في تنظيم أفرادها ونشاطاتها وهيكلها.

جماعة التبليغ:

تأسيس الجماعة:

قام الشيخ محمد إلياس بن الشيخ محمد إسماعيل الحنفي الديوبندي بتأسيس هذه الجماعة في عام ١٩٢٧م، والهدف وراء تأسيس هذه الجماعة هو أنه لما رأى الكثير من الميواتيين، وهم قبائل يقطنون بالهند بمقربة من دلهي، أنهم بعيدون عن الإسلام، واختلطوا مع الوثنيين الهندوس وسمّوا بأسمائهم ويتزيون بأزيائهم وتصاهروا معهم ولم يبق من الإسلام عندهم شيء إلا معرفتهم أنهم أبناء المسلمين ومن سلالة مسلمة، فالشيخ إلياس أخذته الغيرة في دين الله، فعمد إلى مشايخه وشيوخ طريقته مثل الشيخ رشيد أحمد كنكوهي، والشيخ أشرف علي التهانوي، واستشارهم في الأمر؛ فأسس هذه الحركة

(١) الهند والإسلام السياسي: المودودي والجماعة الإسلامية، عمير أنس،
https://www.ida2at.com/india-and-political-islam-13-/

التبليغية الدينية في الهند[١]، ومقر جماعة التبليغ يوجد في قرية نظام الدين قريب من دلهي.

تركز جماعة التبليغ عنايتها على أمرين أساسين؛ الأول: دعوة التاركين وعدم المهتمين والعاصين من المسلمين إلى أداء الصلاة بوصفها ركناً أساسياً من الدين، ثم يخرجون بهم للدعوة في سبيل الله تعالى أياماً لمشاهدتهم صورة من صور إيمانهم وإخلاصهم والمحبة بينهم. والأمر الثاني: تبليغ من لم تبلغه الدعوة الإسلامية، وهدايته إلى الإسلام، ولكن في الزمن المعاصر تبذل الجماعة جل اهتمامها على الأساس الأول.

ويعرف الكاتب العربي جماعة التبليغ حيث يقول: إنها جماعة إسلامية أقرب ما تكون إلى جماعة وعظ وإرشاد منها إلى جماعة منظمة، تقوم دعوتها على تبليغ فضائل الإسلام لكل من تستطيع الوصول إليه، ملزمةً أتباعها بأن يقتطع كل واحد منهم جزءاً من وقته لتبليغ الدعوة ونشرها بعيداً عن التشكيلات الحزبية والقضايا السياسية، ويلجأ أعضاؤها إلى الخروج للدعوة ومخالطة المسلمين في مساجدهم ودورهم ومتاجرهم ونواديهم، وإلقاء المواعظ والدروس والترغيب في الخروج معهم للدعوة، وينصحون بعدم الدخول في جدل مع المسلمين أو خصومات مع الحكومات[٢].

يصف الباحث الفرنسي أوليفر روي جماعة التبليغ بـ «الأصولية الجديدة»، ويفصلها عن الحركات الإسلامية العنيفة والسياسية الأخرى، بينما يعتبر الباحث الهندي يوغيندرا سكاند الذي نال شهادة الدكتوره لبحثه حول جماعة التبليغ من جامعة لندن، جماعة التبليغ كجزء من «المشروع الإصلاحي الصوفي» لدار العلوم بديوبند، حيث تركز الدار على عناصر عديدة وهي التوحيد والسُّنة والالتزام بالفقه الحنفي والتصوف والإحسان[٣].

تعتبر جماعة التبليغ اليوم من أكبر الجماعات المسلمة حول العالم، وهي راسخة بشكل متزايد في المجتمع المسلم في دول جنوب آسيا، وأثرت على الناس في جميع مناحي الحياة، وتعمل حالياً في أكثر من مائة وخمسين دولة في العالم.

---

(١) جماعة التبليغ https://www.marefa.org/٪

(2) جماعة التبليغ والدعوة، عبدالرزاق. https://ansarsunna.com/vb/showthread.php?t=2403&page=2

(3) Yoginder Sikand، The Origins and Development of the Tablighi-Jama'at: A cross-country comparative study (1920-2000)

قضايا وحوادث مهمة:

واجهت جماعة التبليغ خاصة، والمسلمون عامة، في الهند، اتهامات لا أساس لها من الصحة بنشر فيروس «كوفيد-١٩»، ويأتي ذلك بسبب تجمع حاشد عقدته الجماعة في نيودلهي، ومارست وسائل الإعلام الهندية دوراً كبيراً في إشعال النار والغضب والمقاطعة لتجارة المسلمين لهذا السبب، ولكن الناشطين ومعارضي السلطات الهندية وجهوا انتقادات إلى الحكومة والإعلام، وقامت المحاكم الهندية بتبرئة أعضاء الجماعة في القضايا المزيفة بنشر الفيروس في الهند.

خلال الأيام الأخيرة، ورد ذكر وتغطية واسعة لجماعة التبليغ في وسائل الإعلام بشكل سلبي، حيث أصدرت السلطات السعودية فتوى من المفتي العام للبلاد الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن آل الشيخ، بحق جماعة التبليغ قال فيها: إنها «جماعة سلكت التصوف في كثير الأحوال، وتوشك أن تكون مرجعيتها وثنية»، مؤكداً «حرمة المشاركة معهم في نشاطهم حتى يلتزموا بالكتاب والسُّنة»، بحسب تعبيره، فيما ذهب وزير الأوقاف لأبعد من ذلك حين وصفها بأنها قد تشكل «باباً من أبواب الإرهاب»[١].

وبعد أيام من تحذير السعودية من جماعة التبليغ والدعوة التي قالت: إنها إحدى بوابات الإرهاب، عبر كبار قادة الجماعة عن صدمتهم وغضبهم، ملقين اللوم على ما وصفوها بـ «مؤامرة غربية» لتشويه سمعة جماعة ذات بصمة عالمية في التصوف[٢].

جمعية أهل الحديث في الهند:

تأسيس الجمعية:

تم تأسيس جمعية أهل الحديث المركزية في الهند بتاريخ ٢٢ ديسمبر ١٩٠٦م، حيث أسست هذه المنظمة أولاً باسم «مؤتمر جمعية أهل الحديث»، ثم صار اسمها «جمعية أهل الحديث المركزية»، وكان رئيسها الأول العلامة المحدث عبدالله غازيفوري، وسكرتيرها

(١) السعودية تحظر جماعة التبليغ
https://arabi21.com/story/

(٢) جماعة التبليغ ترد على قرار السعودية
https://www.alhurra.com/saudi-

الشيخ محمد ثناء الله الأمرِتْسَرِي، ثم فتحت الفروع في طول الهند وعرضها، وكان يوجد في كل مدينة تقريباً فرع للجمعية، وقد تجاوز أعضاؤها مئات الآلاف في الهند بفضل الله تعالى[١].

بعد تأسيس هذه المنظمة بدأ دورها البارز في نشر التعاليم الإسلامية وإصلاح ما فسد من العقائد والتصورات، ودفع الفرق الضالة المنحرفة، خاصة القاديانية والشيعة ومنكري السُّنة، والمسيحية وبعض الفرق التي تتفرع من الهنادك[٢].

وشملت نشاطاتها ثلاثة أقسام بشكل رئيس، وهي: إشاعة علوم السُّنة عن طريق المدارس الدينية الأهلية، وإصلاح وتزكية المسلمين، والتصدي للبدع والخرافات، ورد أفكار الفرق الضالة من المسلمين وغير المسلمين.

تصدر جمعية أهل الحديث لنشر رسالتها عدة مجلات وصحف أسبوعية وشهرية في اللغات المختلفة، نحو «جريدة ترجمان» التي يصدرها مركز الجمعية والتوعية في المعهد التعليمي، و«المحدث» من الجامعة السلفية في الأردية ببلدة بنارس في شمال الهند، بالإضافة إلى إصدار مجلة «صوت الأمة» من الجامعة نفسها بالعربية.

تعتبر هذه الجمعية في الأوساط الدينية بالهند جمعية تظهر ولاءها دوماً للسعودية وحكامها، ولكنها تمارس أيضاً دورها في تحسين مستوى المسلمين من خلال نشاطاتها المختلفة في كافة مستويات الحياة.

(١) محمد عبدالهادي العمري، تاريخ موجز عن جمعية أهل الحديث،
https://al-maktaba.org/book/15411432/

(٢) تعريف موجز عن أهل الحديث في الهند، محمد عبدالهادي العمري،
http://islamport.com/w/amm/Web/1351432/.htm

الخلاصة:

رغم تواجد الجماعات المختلفة والمؤسسات العديدة التي يشرف عليها المسلمون ويديرها في طول الهند، توجد هناك شكاوى، وفي بعض الأحيان انتقادات، ولا سيما من الشبان المسلمين من عدم مؤهلات القيادة المسلمة في مواجهة التحديات المعاصرة بشكل ناجح التي تواجهها الأقلية المسلمة في الهند.

خلاصة القول في هذا الموضوع: إن كل مؤسسة وجماعة تبذل جهدها وتسعى إلى تعزيز وتطوير مستوى المسلمين الهنود، ولكل جماعة هناك أولويات وسياسات واهتمامات، حيث تولي تركيزها حسب خطتها، ولكن الهدف المشترك بين الجماعات المختلفة هو العمل من أجل نيل حقوق المسلمين في الهند وتوعيتهم لتمثيل دورهم في بلد غير إسلامي.

التعليم الإسلامي في الهند..
محطات وإشكالات

محمد نوشاد النوري القاسمي[١]

إن الأقلية المسلمة في الهند كغيرها من الأقليات الإسلامية في كل مكان تواجه مشكلات كثيرة في عدد من جوانب الحياة البشرية؛ ولكنها في الوقت نفسه أقلية متميزة، إن النظام السياسي العالمي جعل المسلمين في الهند أقلية، مع كونهم بُناة الوطن وحُماته، واعتلاءهم عرش الحكومة العظيمة لمدة ثمانية قرون، ظلوا فيها يديرون دفة أمور البلاد بلباقة وإتقان، وتفانوا في سبيل تطويرها والحفاظ عليها.

أما بالنسبة لتاريخ التعليم الإسلامي في الهند، فاتفق المؤرخون على أن معظم سلاطين الهند اشتهروا برعاية العلوم والفنون والآداب، وحب العلماء والأدباء والشعراء والعاملين في مجال الثقافات المتنوعة؛ حتى «إن الإمبراطور المغولي العظيم شاهجهان قد وزن الملا عبدالحكيم السيالكوتي مرتين بالفضة، والقاضي محمد أسلم الهروي (والد العلامة مير زاهد) مرة بالذهب، وكانت هذه عادة الملوك القدماء لإظهار احترامهم وتقديرهم وإجلالهم»[١].

وحسبي أن أنقل هنا قبساً مما كتبه المفكر الإسلامي الكبير سيد أبو الحسن علي الندوي في مقدمة كتابه «المسلمون في الهند»، حيث قال: «وتدلُّ كذلك على تقصير علماء الهند في القيام بمهمَّة التعريف بهذا القطر العظيم، وبهذه الأمة الإسلامية العظيمة التي مثَّلت دوراً رائعاً في تاريخ الإسلام وتاريخ العلم العام، وأضافت ثروة ذات قيمة عظيمة إلى مكتبة الإسلام العامة، وأتحفتها بطُرَفٍ غالية تتجمل بها المكتبة العربية، وتزدهر بها على

(١) الندوي، أبو الحسن، المسلمون في الهند، (بيروت: دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)،ص١٢١.

سعتها وغناها، وتفرَّدت ببعض العلوم الإسلامية، التي كانت ولا تزال فيها الهند زعيمةَ العالم الإسلامي وحاملةَ لوائها عدة قرون، كعلم الحديث والفقه وأصوله، والسيرة النبوية وعلم الكلام والدعوة إلى الإسلام في هذا العصر، وأنجبت الهند رجالاً شهد لهم علماء العرب بالفضل، وعكفوا على كتبهم ومؤلفاتهم ينقلون ويقتبسون، ويستدلون ويحتجُّون، وقد أنجبت كذلك علماء، يندُرُ نظيرهم في الذكاء وخصوبة الفكر والابتكار العلمي، وأنجبت كذلك فضلاء لا يضارعون في كثرة المؤلفات والإنتاج»[1].

ولم يكن الشيخ الندوي فيما كتبه مجانباً للصواب والحقيقة، فهذا جزء لامع من تاريخ الثقافة الإسلامية في الهند، بيد أن سقوط الحكم الإسلامي في الهند بيد الاستعمار البريطاني عام ١٨٥٧م كان سداً على تيار فكري وتعليمي وسياسي واقتصادي، كأنما أُلقي ماءٌ على نار، حيث قام حاجز سميك لجميع أنواع الازدهار والتطور، إلا أن الأمة المسلمة تماسكت أمام الطوفان، وشقَّت طريقها -بجهد جهيد وكدٍّ وتيد -إلى الأمام، وحاولت أن تقشع غياهب الظلم والاستبداد بعزيمة وفُتُوَّة، أجل! اختلف المفكرون الإسلاميون في وضع نظام تعليمي، وسلكوا طرائقَ قِدَداً، مما أوجد عدداً من النُّظُمِ التعليمية المعاصرة، كما سيأتي بيانها.

النظام التعليمي القديم وأطواره التاريخية:

وقبل أن أخوض في واقع التعليم الإسلامي في الهند، أريد من المناسب التصريح بأن النظام القديم الذي كان شائعاً حتى ما قبل عهد الاستعمار كان نظاماً واحداً، لا يفرق بين الدين والدنيا، ولا يقسم التعليمَ إلى ديني ودنيوي، حيث كان المنهج المتبع في المدارس آنذاك يحتوي في الغالب على مواد دينية وغير دينية، وقد مرَّ نظام التعليم القديم بأطوار عديدة، جرى فيها تغيير وتعديل، وها هي خريطة تاريخية شاملة للنظام التعليمي القديم وأطواره التاريخية:

قد مر نظام التعليم القديم بأربعة أطوار تاريخية كالتالي:

الطور الأول وخصائصه:

يبتدئ هذا الطور من القرن السابع الهجري، وينتهي إلى القرن التاسع الهجري، ومن

(١) المصدر السابق، ص١٠.

أهم خصائصه التركيز الزائد على الفقه وأصوله والمنطق والفلسفة، مع الإلمام الطفيف بالعلوم العربية والإسلامية الأخرى.

الطور الثاني وخصائصه:

يبتدئ هذا الطور من بداية القرن العاشر الهجري إلى نهايته، والمنهج التعليمي قد احتوى على مواد جديدة، منها شروح المواقف والمطالع (كلاهما من كتب المنطق للمنتهين)، المطول والمختصر (في فن البلاغة)، والتوضيح والتلويح وشرح الوقاية (في الفقه وأصوله)، وشرح العقائد النسفية (في علم الكلام)، وشرح ملاجامي (في النحو).

الطور الثالث وخصائصه:

يبتدئ هذا الطور من نهاية القرن العاشر إلى نهاية القرن الحادي عشر، ومن أبرز رجال هذا الطور الشيخ فتح الله الشيرازي (المتوفى عام ٩٩٧هـ)، الذي أدخل في المنهج التعليمي كتب المتأخرين، والشيخ عبدالحق الدهلوي (المتوفى عام ١٠٥٢هـ) الذي بدأ تدريس علم الحديث في الهند.

الطور الرابع وخصائصه:

يبتدئ هذا الطور من بداية القرن الثاني عشر إلى سقوط الحكم الإسلامي في الهند عام ١٨٥٧م، الموافق ١٢٧٤هـ، ومن أبرز رجال هذا الطور الشيخ ملا نظام الدين السهالوي (المتوفى عام ١١٦١هـ) ومسند الهند الشاه ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ)، والمنهج التعليمي في هذا الطور قد جمع بين المعقول والمنقول، وبين العلوم الإسلامية والعلوم العقلية باتزان إلى حد كبير، وما زال هذا المنهج بعد تعديل مستمر متبعاً لدى معظم المدارس العربية في الهند.

المناهج التعليمية المعاصرة في الهند بالنسبة إلى الأقلية المسلمة:

إن الاستعمار البريطاني قد قضى على الجوانب الحية من البلاد، وبعد أن استولى على البلاد بقوة الحديد والنار، وبالبطش والقهر والقتل والنفي والتشريد، عاد ليستأصل الروافد الفكرية ومصادر الغذاء الروحي والعطاء الثقافي المتمثلة في المدارس الإسلامية، ويبدِّل منها منهاجاً تعليمياً جديداً، يرمي إلى تغريب وتنصير الهنود ومنهم المسلمون بشكل

مكشوف أو مستور، وقد أبعد التعليمَ الإسلاميَّ القديم عن النظام الحكومي الجديد ودوائره الحساسة، وعاد التعليم الإسلامي القديم لا يقدر على أداء دوره الفعال في تطوير البلاد وتقديم عجلتها إلى الأمام.

في هذا السياق، نشأ اتجاهان للتعليم في وقت مبكر؛ الاتجاه الأول هو الذي اختاره العلماء الأحرار، الذين شاركوا في النضال والكفاح القومي، ونازلوا الاستعمار في عدد من المعارك الثورية، كان هذا الاتجاه يرى النظام التعليمي الجديد حرباً على الدين والثقافة الشرقية، وحبالةً استعماريةً وضعها الاستعمار ليصيد العقل الهندي في الماء العكر، وكان أصحاب هذا الاتجاه يرون الإنجليز عدواً لدوداً، فأقاموا مدارس إسلامية جديدة، ترفض تماماً كل مادةٍ تَمُتُّ إلى النظام الغربي بصلة، ومن أبرز رجال هذا الاتجاه الإمام محمد قاسم النانوتوي (١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م)، مؤسس الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند أكبر المدارس الإسلامية في الهند.

بينما الاتجاه الثاني يرى أن التعليم الإسلامي القديم لا يؤدي إلا إلى إبعاد المسلمين عن الاتجاه الوطني الجديد، وانحصارٍ في إطار ثقافي ضيق، مما يؤثر سلباً على التعليم والاقتصاد والسياسة، فلا بد من اختيار منهج تعليمي جديد، يجعل من المسلمين خادمين للوطن، موالين للنظام الجديد، ومن أبرز رجال هذا الاتجاه السير سيد أحمد خان (١٨١٧هـ/ ١٨٩٨م)، مؤسس جامعة علي كراه الإسلامية.

ولكل من الاتجاهين أثر فعال في المسلمين، فالاتجاه الأول قاد حركة التعليم الديني في شبه القارة الهندية، ونشر شبكة المدارس الإسلامية في طول البلاد وعرضها، بينما الاتجاه الثاني هو الآخر لفت انتباه الآباء والمربين، ووجد أعواناً له وأنصاراً، حيث انتشرت المدارس والكليات والجامعات الحكومية والأهلية في كل البلاد بشكل ملموس.

وبما أن الهدف من هذه السطور عرض صورة متكاملة من تعليم أبناء المسلمين في الهند، فلا أريد أن أقتحم ميدان ترجيح منهج من بين المناهج أو أذكر عوامل اختلاف الاتجاهات والميول.

ولكنه يبدو بعد دراسة عميقة أن اختلاف المقاصد والغايات هو السبب الرئيس وراء اختلاف المنهجين المذكورين أعلاه، فاتجاهُ المدارس الإسلامية يهدف إلى تخريج

علماء أكفاء، متمكنين في العلوم الإسلامية، قادرين على قيادة المجتمع الإسلامي من الناحية الدينية، بينما اتجاه المدارس العصرية يرمي إلى تخريج رجال ماهرين في العلوم الإنسانية، ليسهموا في بناء الوطن من جميع الجوانب، ويكونوا عضواً فعالاً في الحركة القومية، كما وضعوا في الاعتبار مبدأ التحسن الاقتصادي، الذي تتوفر فرصه وإمكانياته لدى الحائزين شهادات المدارس الحكومية والعصرية.

ولا شك أن كلاً من المنهجين نجح في تحقيق غاياته وأهدافه، فخرَّجت المدارس الإسلامية رجالاً، قادوا الأمة الإسلامية من الناحية الدينية والفكرية، وشغلوا مجالات العمل الإسلامي بجميع أنواعه، وبفضل هذه المدارس وجدتْ كلُّ حركةٍ تجديدية وإصلاحية في الهند رجالاً، يقفون بجانبها ويحققون أهدافها، بينما اتجاه التعليم المدني قد نجح أيضاً في إعداد رجال، لهم مشاركات فعالة في مجالات القيادة؛ السياسة والاقتصاد والتكنولوجيا والطب والتاريخ، والعلوم الإنسانية والمجالات القومية الأخرى.

وقد نشأ في كل من المنهجين رجال متعصبون، ينظرون إلى منهجهم بعين الإعجاب والتقدير، وإلى منهج الآخرين بعين الازدراء والتحقير، مما أحدث فجوة كبيرة، ما زالت في اتساع، واضطرَب أمر المسلمين بين منهجين متعارضين لا يبغيان، وبين نظامين متصادمين لا يلتقيان، لكلٍّ محاسنه ومساوئه، ومن ثم أردت أن أقف وقفة قصيرة مع كل من المنهجين في التالي:

منهج المدارس الإسلامية: محاسنه ومساوئه:

ليس بوسعي أن أحصي محاسن هذا المنهج، فأكتفي بشيء واحد، وهو أن من عظيم محاسن هذا المنهج أنه ما زال يخرِّج أفواجاً من العلماء المتمكنين في العلوم الدينية، الذين يحملون في صدورهم عاطفة قوية لإصلاح المجتمع الإسلامي وترشيدهم نحو الطريق الأمثل للحياة الإسلامية، كما يملكون تياراً فكرياً وعملياً فـَّواراً، من شأنه أن يحدث التغيير، ويدافع عن الدين بأقصى ما يمكن، وفي الأوضاع الحرجة يبرز أعلام هذا المنهج جبلاً راسياً أمام التحديات والمشكلات، وإلى هذا المنهج يرجع الفضل في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الهند، وبقاء الأقلية المسلمة على كيانها الفكري والعملي وتشخصها الديني والملِّي.

مساوئ هذا المنهج:

إن هذا المنهج مع قيمته وأهميته لم يخلُ من المساوئ، ومن أهمها ما يلي:

١- لا بد من اختيار كتب علمية متميزة في المقررات الدراسية، وإبعاد كتب معقدة، تُملُّ الطلبة، وتعقِّم فكرهم.

٢- كما يجب تغيير جذري في نظام التدريس باختيار الوسائل التدريسية الحديثة، فهو لم يعد جذَّاباً.

٣- لا بد من الاهتمام الزائد بتربية الطلاب فكرياً ودينياً وتعليمياً، فإن كثيراً من خريجي المدارس لا يقتنعون بدورهم بمنهجهم التعليمي، حتى ثقافتهم الدينية، ولا سيما إذا اعتراهم ضيق اقتصادي عادوا يلومون منهجهم الدراسي ومدارسهم التعليمية، وهذا شيء خطير، يجب تداركه.

٤- لا بد من محاولات جادة في الموافقة الرسمية على قبول شهادات المدارس لدى الجامعات الحكومية، وجميع المصالح الحكومية، لينفتح الطلبة على الآفاق الأرحب، ويشاركوا في مجالات الثقافة والاجتماع والاقتصاد مشاركة فعالة، ولم يكن مؤسس هذا المنهج الإمام محمد قاسم النانوتوي ضد الالتحاق بالمدارس الحكومية، بل أبدى رغبته في ذلك.

تعديلات واقعة في منهج المدارس الإسلامية:

وقد تنبه عدد من العلماء لما يحمله هذا النظام من مساوئ، فقاموا بتعديل في مدارسهم وجامعاتهم؛ كدار العلوم ندوة العلماء لكناؤ، وجامعة الفلاح أعظم جراه، ومدرسة الإصلاح أعظم جراه، وجامعة سبيل الرشاد بنكلور وما إليها من المدارس، لكنها تعديلات خفيفة، لا تتجاوز وضع كتاب مكان كتاب، وبعض الأمور الفرعية التي لا تؤثر في المقاصد ولا تحقق الغرض من التعديل، ومَثَلُهُمْ في ذلك -كما قال اللّه تعالى- كل حزب بما لديهم فرحون.

منهج المدارس العصرية (أهلية وحكومية):

إن منهج المدارس العصرية في الهند قائم أساساً على المنهج الغربي، الذي ينقسم

إلى مراحل آتية:

- مرحلة الروضة.
- مرحلة الدراسة الابتدائية (خمس سنوات).
- مرحلة الدراسة المتوسطة (ثلاث سنوات).
- مرحلة التعليم الثانوي (سنتين).
- مرحلة التعليم الثانوي العالي (سنتين).
- مرحلة البكالوريوس (ثلاث سنوات).
- مرحلة الماجستير (سنتين).
- مرحلة ما قبل الدكتوراه (سنتين).
- مرحلة الدكتوراه (ثلاث/ خمس سنوات).

ولا شك أن الأوضاع التعليمية في البلاد الهندية أحسن بكثير من البلاد الشرقية الأخرى، والحكومة الهندية اعتنت كثيراً بتطوير المجال التعليمي في البلاد، حيث أقامت شبكات المدارس والكليات والجامعات الحكومية في جميع أنحاء البلاد، والهنود أيضاً أدركوا خطورة وضرورة التعليم؛ فزاد إقبالهم على التعليم بشكل ملحوظ.

محاسن هذا المنهج:

إن هذا المنهج له محاسن كثيرة، ومن عظيم محاسنه أنه سدَّ حاجات العباد والبلاد بإعداد النابهين في شتى العلوم الإنسانية، التي يقوم عليها قصر الحضارة الحديثة، ومن محاسنه كذلك التحرك والانطلاق فيما يتعلق بالمقررات الدراسية والأساليب التدريسية، ومن محاسنه الالتزام -إلى حد كبير- بمبدأ ديمقراطية التعليم واحترام جميع الثقافات والاتجاهات الدينية والفكرية؛ ولكنه أصبح هذا المبدأ مهدَّداً في الهند.

وبما أن هذا المنهج مرتبط بالحياة المتحركة وكفيل -إلى حد ما- بتحسن الوضع الاقتصادي زادت فيه رغبة المسلمين؛ فكثرت مدارس عصرية أهلية للمسلمين في كل البلاد الهندية، تقوم على الرسوم التعليمية التي يدفعها أولياء الطلبة إلى مديري هذه المدارس.

وهذه المدارس أيضاً تملك عدداً من النظم التعليمية المختلفة، إلا أنها تنخرط في سلك تعليمي واحد.

مساوئ هذا المنهج:

- بالنسبة إلى الأقلية المسلمة لا يفي هذا المنهج بحاجتهم الدينية؛ بل الجو التعليمي في هذه المدارس يقطع صلتهم بالدين أو يضعِّفها إلى حد ما.

- مبدأ ديمقراطية التعليم أصبح مهدَّداً في الهند، فإن المتعصبين قد وضعوا في بعض كتب المقررات الدراسية مواد تعليمية تتصادم مع روح الدين الإسلامي

- فقدان التربية في هذه المدارس فكرياً وخلقياً.

- غلاء التعليم المدني من معوقات تحسن الوضع التعليمي في الهند؛ فإن المطلعين على الوضع الصحيح للمدارس يعرفون جيداً أن المدارس العصرية أصبحت محلات تجارية.

نسبة المسلمين في التعليم:

في الحقيقة، إن بيان النسبة التعليمية لدى المسلمين الهنود يكشف عن مدى انحطاط ثقافي وتخلف فكري للأقلية المسلمة في الهند، حيث أكَّدت دراسة لجنة حكومية بقيادة القاضي راجندر ساشار، في عام ٢٠٠٦م، أن الوضع التعليمي للمسلمين في الهند مصدر قلق ومثار عجب؛ فيقول التقرير: إن ٨٨٪ من المسلمين يتوقف تعليمهم عند المرحلة الابتدائية أو قبل هذا، أما الذين يتلقون التعليم في المدارس الحكومية فلا تتجاوز نسبتهم ٨٪ من المسلمين، بينما الذين يدرسون في المدارس الإسلامية نسبتهم ٤٪ فقط، والمعنى أن ٩٠٪ منهم جهلاء بالدين والدنيا معاً.

وإني على يقين بأن النسبة قد زادت في العقد الأخير، ولكنها بحال من الأحوال لم تبلغ من بعد إلى ٢٥٪، وعلى مثلها فلتبك البواكي.

أهم أسباب التخلف التعليمي لدى المسلمين في الهند:

١- عدم إدراك المسلمين ضرورة العلم الديني والإنساني.

٢- الفقر المدقع هو العامل الرئيس في قطع صلة الطلبة عن العلم؛ فالآباء الفقراء

يدفعون الأبناء في حداثة سنهم إلى الانشغال بالعمل الوظيفي رغم الأنوف.

٣- يقال: إن فساد النظام التعليمي في المدارس الأهلية والحكومية هو الآخر مسؤول جزئياً عن هذا، ورأيي أن هذا مسؤول عن انهيار المستوى التعليمي لدى الخريجين دون انتشار الجهل والأمية.

٤- إن الطلاب المسلمين في الجامعات الحكومية -كما يقال- يواجهون مضايقات وسخرية مما يسبب نفورهم من التعليم، وما إليها من الأسباب، ولكن أكبر المسؤولية ملقاة على عاتق المسلمين؛ حيث يجب عليهم إقامة مدارس وجامعات كبيرة تفي بحاجاتهم الثقافية.

عقبات في طريق التعليم الإسلامي في الهند:

وهناك كثير من العقبات والتحديات الداخلية التي يعانيها كل من المؤسسات المعترَف بها حكومياً، والمدارس الأهلية الإسلامية، فمنها:

١- إمكانية العمل غير متوفرة، بحيث إن الخريجين من المدارس الإسلامية والعصرية أيضاً يعانون المشكلات الاقتصادية، فينشغل كثير منهم بالأعمال الوظيفية عن النشاطات العلمية، مما يسبب نفوراً من التعليم، فإن الآباء يظنون أن الأولاد بعد الدراسة والتعليم لا يجدون بداً من الأعمال الوظيفية المختلفة، فما فائدة الالتحاق بالمدارس؟

٢- قلة التسهيلات والإمكانات في المؤسسات التعليمية الإسلامية.

٣- فقدان التنظيم والتنسيق بين المؤسسات التعليمية والجماعات الإسلامية في البلاد، وهذه عقبة بعيدة المدى؛ فإن التنسيق بين المؤسسات التعليمية الإسلامية وتبادل التجارب والخبرات يتم به التغلب على كثير من المشكلات، ويسهِّل وضع منهج تعليمي، هو أكثر نفعاً وتحقيقاً للغايات المنشودة.

٤- عدم قبول شهادة المدارس الدينية في المؤسسات الحكومية والجامعات العصرية، إلا في إطار ضيق، وفي بعض الجامعات دون الجميع؛ مما يفوِّت على الخريجين من المدارس فرصةَ الاستفادة من الجامعات العصرية، ويؤدي إلى بعدهم عن المناصب الحكومية، وأداء دورهم البارز في هذا المجال.

٥- الاعتماد الكامل على طريقة تقليدية روتينية في التدريس دون التنوع في الطرق والإستراتيجيات المختلفة في التدريس.

٦- اقتصار طريقة التعليم على نقل المعلومات دون الاهتمام بالأنشطة الطلابية الفعالة.

٧- انقطاع المناهج التعليمية للمدارس الإسلامية عن الحياة وعن المجتمعات الموجودة في الهند، وعدم توافر الإمكانيات المادية التي تساعد في ازدياد النشاطات التعليمية، ونشرها على نطاق واسع.

٨- كثرة المدارس وتطرق الضعف الشديد في نظامها التعليمي، ويرجع ذلك إلى أنه لا توجد سياسة تعليمية هادفة للمدارس الإسلامية؛ فإن كثيراً منها لا يهمها إلا التكثير في عدد الطلاب، بدون أن تهتم بإجادة التعليم، وترفع المستوى التعليمي للطلاب.

ما يجب تحقيقه في التعليم الإسلامي بالهند:

وأنا -كطالب علم يودُّ للمؤسسات التعليمية البروز والتطور- أوجه إليها رسالتي المخلصة، التي تتمثل في الآتي:

- لا بد من حملة توعية تعليمية شاملة، تجعل المسلمين رجالاً ونساء آباء وأبناء يدركون ضرورة التعليم وما يجرُّ الجهل عليهم من ويل ودمار.

- على المؤسسات الإسلامية التعليمية أن تغرس في قلوب الطلبة السعة الفكرية، فلا تجعلهم رجالاً ضيقي الفكر، ومحدودي الثقافة.

- ولا تحصر العلم في إطار ضيق، بل تعتني بجميع العلوم النافعة للأمة والإنسانية.

- وتُعْنَى عناية فائقة بالتربية الإسلامية السليمة، فإن المواد الدراسية مهما كانت إسلامية لن تكون للطلبة قناعة تامة بما يدرسه ما لم تصاحبهم تربية إسلامية سليمة، ومن هنا تعد التربية الإسلامية تحدياً صارخاً للمؤسسات والأسر الإسلامية.

- لا بد من وضع منظومة تعليمية إسلامية، تعمل في مجال التنسيق بين المؤسسات التعليمية الإسلامية؛ فالتعاون والتنسيق بين المؤسسات التعليمية يحققان الأغراض التعليمية، ويحدثان تطويراً وتجديداً وتحسيناً في الإدارة والأدوات والنتائج، ويحلان

المشكلات العديدة التي تواجهها المؤسسات، كما سيكون لهما أثر كبير في تعزيز التنوع الثقافي، والتبادل المعرفي، مما يجعل الطالب أكثر انفتاحاً وعمقاً وموضوعية.

- ضرورة تدريب المعلمين، فإن الأساتذة هم بناة الأجيال، فلا بد أن تكون لديهم مؤهلات تدريسية تحقق الغرض، ولباقة عملية تحبب العلم إلى الطلبة.

- إقامة مدارس وجامعات، تجمع -مع إلمام بتعليم اللازم من العلم الديني- بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية، وبذلك تتقلص الفجوة، وينكمش إطار اختلاف الاتجاهات التعليمية وما بينها من حدة وشدة، فيتخرج منها مهرة في العلوم الإنسانية ونابهون في العلوم الإسلامية جنباً إلى جنب، وقد أطلق هذا النداء عدد من العلماء، ولكن الفكرة ما زالت تحتاج إلى التطبيق والتنفيذ.

المدارس الإسلامية في الهند..
مشكلات وحلول

محمد سعود الأعظمي[١]

خلفية تأسيس المدارس الإسلامية في الهند:

لا شك في أن المجتمع يتأثر بالحكومة، والحكومة تتأثر بالمجتمع، كلما كانت الحكومة قوية وراقية كان المجتمع أقوى، وإذا كانت الحكومة عادلة عمَّ العدل والإنصاف، وإذا كانت الحكومة ظالمة تأثر المجتمع بالظلم والفساد، وإذا تقدمت الحكومة تقدم المجتمع إلى الأمام، ولكن حينما تميل الحكومة إلى الانحطاط فالمجتمع يتأثر بذلك ويواجه أزمات لم تخطر ببال من كان قبلهم.

هكذا حدث حينما ضعفت دولة المسلمين في الهند، وازداد الاستعمار البريطاني قوة، فدخل في المسلمين الهنود ما لم يكن يدخل فيهم من الصفات السلبية، والمآثم القبيحة حتى تركوا الدين الخالص وتعاليمه المطهرة، وتمسكوا بالمراسيم الباطلة والبدع والخرفات، التي لا علاقة لها بالدين، وبدؤوا يقعون فريسة للمنظمات التبشيرية، التي تدعو الناس إلى النصرانية، والمنظمات الهندوسية التي تدعو إلى الردة قائلة: إنكم دخلتم في الإسلام من الهندوسية، وحان الوقت إلى أن ترجعوا إلى البيت الأصيل، وجعل المسلمون يتأثرون بأفكارها وتقاليدها كما يتأثر المحكوم بأفكار الحاكم وتقاليده، وتركوا تاريخهم المنور ولم يأخذوا العبرة والدرس منه، بل جعلوا يتشاجرون ويتنازعون فيما بينهم لأسباب تافهة وأمور عادية، ووقعوا في الخلافات الفقهية، مع أن الأوضاع القلقة تتطلب تحليل أسباب الهزيمة، وتخلف المسلمين في المجالات العلمية والسياسية والاقتصادية.

(١) باحث في جامعة جواهر لال نهرو دلهي الهند.

وصف العلامة أبو الحسن علي الندوي هذا الوضع وهو يقول: «وتشاغل العلماء بعلوم ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، وبمسائل لا تجدي نفعاً، تشاغلوا في الزمن الأخير بالجدل والشقاق والتكفير والتضليل، وصاروا يجاهدون في غير جهاد، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فكم سالت دماء! وجرت محاكمات لأجل مسائل فقهية في محاكم الكفار! وكم وقعت إهانات ذلت رقبة المسلمين في الهند[١]»!

لذلك، حينما فكر العلماء والمثقفون في أوضاع المسلمين وأرادوا أن يُخرجوا المسلمين من الظروف القاسية، فلم يروا أمامهم سبيلاً سوى تأسيس المدارس والمعاهد، ويركزون عنايتهم بالتعليم والتربية.

يقول الأستاذ أبو الحسن علي الندوي: «خاف علماء الحق على الدين وعلى علوم الدين، وخافوا على مستقبل الإسلام في بلاد الهند بعد زوال دولته وحلول دولة الكفار، ورأوا أنهم لا تنجدهم دولة ولا تحميهم قوة ولا يملكون أموالاً ينفقونها ولا مناصب ووظائف يجذبون الناس إليها، وإنما هم مستضعفون في الأرض فقراء، ثروتهم العلم، ورأسمالهم الدين، وزادهم التوكل، وسلاحهم الإخلاص، فقاموا وقالوا: نبني معقلاً للدين تأوي إليه الشريعة الإسلامية وتلجأ إليه العلوم الدينية»[٢].

فقام العلماء والمثقفون بتأسيس دار العلوم بديوبند، وجامعة عليجراه الإسلامية، فاختارت كل واحدة منهما المناهج التي خلقت الصراع الدائر بينهما، فآمنت طائفة منها بأن النجاح في تقليد الغرب تقليداً كاملاً، وآمنت طائفة أخرى بأن التمسك بالقديم برمته يضمن النجاح والفوز في الدنيا والآخرة.

وترى هذه الطائفة مخالفة القديم مروقاً عن الدين الإسلامي، فدارت رحى الصراع الفكري بين الطائفتين، مع أنهما كانتا على القمة في الإخلاص وصدق النية، فأمطرت الطائفتان بعضهما بعضاً وابلاً من الانتقادات اللاذعة، وتأججت نيران النزاع والخلاف؛ فهذا جاحد، وهذا جامد، لا يلين واحد منهما للآخر، وجعلت الحالة تتدهور يوماً بعد يوم، ولم تكن هنا حلقة وصل بينهما؛ فدعت الحاجة إلى تأسيس مدرسة جامعة بين الدين والدنيا.

(١) القراءة الراشدة، للشيخ أبيالحسن علي الحسني الندوي، ج ٣، ص١٦٨.
(٢) الندوي، أبو الحسن، مركز العلم والثقافة الإسلامية في الهند، ص٢-٣ (مقالة في كتاب « المسلمون في الهند »).

يقول أبو الحسن علي الندوي واصفاً هذه الحالة المؤلمة: «فحدث في الإسلام بدعة فصل الدين والدنيا؛ فاستبد الملوك بدنياهم، وانقطع العلماء بدينهم، وبقي العامة لا قائد لهم ولا رائد، وصار الإسلام كالنصرانية عرش وكنيسة، ولكلٍّ رجال، وقيصر والإله، ولكل نصيب ولكن عرش بدون قوائم وكنيسة بغير حراس»[١].

تأسيس ندوة العلماء:

فنهض بعض العلماء الذين يحملون قلوباً تتحرك في أجسادهم، واجتمعوا في مدينة كانفور -تبعد المدينة من لكناؤ عاصمة أوتارابراديش حوالي ثمانين كيلومتراً- بمناسبة احتفال سنوي في مدرسة «فيض عام»، وتشاوروا فيما بينهم، وقالوا: علينا أن نسوق الأمة الإسلامية الهندية من هذا الوضع الهالك، وبعد المشاورة والتباحث عن الحل اتفقوا على تشكيل لجنة تدعو جميع العلماء الهنود إلى المشاركة في الاحتفال السنوي القادم لمدرسة «فيض عام» الواقعة في كانفور وسموها بـ «ندوة العلماء»، وعُين السيد محمد علي المونغيري أول رئيس لهذه اللجنة، ومن العلماء الذين شاركوا في هذه الجلسة الأولى أستاذ الأساتذة لطف الله العليجري،، والشيخ محمد أشرف علي التهانوي، والشيخ خليل أحمد السهارنفوري، والشيخ ثناء الله الأمرتسري، والشيخ محمد علي المونغيري، والشيخ السيد ظهور الإسلام الفتحفوري وكبار العلماء الآخرين[٢].

فجعل ممثلو ندوة العلماء تحت رئاسة الشيخ محمد علي المونغيري يجولون في بلاد الهند وخارجها، ويخبرون العلماء والمثقفين بمراميهم ويدعونهم إلى المشاركة في جلستها الأولى التي ستنعقد في مدرسة «فيض عام».

اجتمع فيها لأول مرة على رصيف واحد العلماء العباقرة من مختلف الفرق والمذاهب من السُّنة والشيعة، كما كتب الأمير حبيب الرحمن خان الشيرواني[٣].

تأسيس دار العلوم التابعة لندوة العلماء:

فبمساعي ندوة العلماء صارت الفوارق تتقلص، وأخذ العلماء والمثقفون من جميع

(١) القراءة الراشدة، للشيخ أبيالحسن علي الندوي، ج١، ص ١٦٧.
(٢) تاريخ ندوة العلماء، للشيخ إسحاق جليس الندوي، ج١، ص٩٧-٩٦.
(٣) المرجع السابق.

الفرق والمذاهب يجتمعون على منبر واحد، وأصبحوا يفكرون في شؤون الأمة الإسلامية؛ فانكمش البعد فيما بينهم، وأحست ندوة العلماء أنها تنجح في هذا الهدف الذي كان ولا يزال من أهدافها الرئيسة، ولكن كلما دعت ندوة العلماء إلى تغيير المنهاج الدراسي لم تتلق رداً إيجابياً، فبعد تأمل كثير اتخذ المسؤولون لندوة العلماء قراراً لتأسيس دار العلوم التابعة لندوة العلماء لكي يتيسر تنفيذ منهاجها، وتقدم الندوة نموذجاً أمام أمناء المدارس ورؤسائها، فطُبع هذا القرار ووُزع في أرجاء الهند، ولكي تعرف آراء الناس في هذا الصدد، فنال هذا القرار أهمية كبرى من قبل الأوساط العلمية، ووُضع الحجر الأساسي لندوة العلماء بلكناؤ عاصمة ولاية أترابراديش عام ١٨٩٨م.

وعُين السيد محمد علي أول أمين عام لدار العلوم التابعة لندوة العلماء، كما أصبح شبلي النعماني أول وكيل لشؤونها التعليمية، وكان من الأساتذة الأولين الشيخ حفيظ الله، والشيخ عبدالشكور الكاكوروي، والشيخ عبداللطيف السنبهلي، والشيخ عبدالحي[١].

أهداف تأسيس دار العلوم التابعة لندوة العلماء:

كانت الأهداف كثيرة لتأسيس دار العلوم التابعة لندوة العلماء، ولكن من أهمها وأعظمها كما يلي.

- تشكيل المنهاج الدراسي الجديد وتنفيذه في دار العلوم.

- إنشاء الإتقان لدى الطلاب في العلوم والفنون وفي اللغات الأجنبية عامة، واللغة العربية خاصة.

- تزويد الطلاب بالأخلاق الفاضلة والصفات النبيلة وخلق الشجاعة والسعة في الفكر وعلو الهمة فيهم، وجعلهم محبين للعادات الحسنة والصفات الكريمة[٢].

- إعداد جماعة من العلماء المتضلعين بالعلوم الإسلامية تضلعاً كاملاً، وخاصة تكون لهم يد طولى في علم الكلام والفقه لتكون فتاواهم وتوجيهاتهم تعتبر كلمة نهائية، ولديهم إلمام واسع بأوضاع العالم وشؤون المسلمين الدنيوية والقضايا التي يواجهها المسلمون وحلها، ويعرفون التغيرات التي تقول بها الحكومة ومدى تأثيرها على المسلمين.

(١) تاريخ ندوة العلماء، للشيخ إسحاق جليس الندوي، ج١، ص٢٢٠.
(٢) أيضاً ٢١٩.

- إعداد العلماء الأكاديميين الذين يهتمون بنشر المصنفات وتحقيق المخطوطات للقدماء وتقديم البحوث الجديدة وترجمة الكتب من العربية والإنجليزية إلى الأردية والعكس.

- إعداد الخطباء والواعظين المتقين الذين يستطيعون أن يبثوا رسالة الدين إلى عامة الناس في أسلوب جذاب خلاب، ويقدموا المحاضرات حول الموضوع السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

- جعل العلماء مستقلين في كسب المعاش بعد التخرج في دار العلوم دون أن يكونوا كَلاً على الآخرين[١].

مدرسة الإصلاح:

كما ذكرنا أن المسلمين شعروا بالقلق جراء الحوادث والثورة التي حدثت في الهند وأسفرت عن تخلف المسلمين في المجالات التعليمية والسياسية، فتأثرت جميع المدن والمناطق الهندية، ومن بينها مدينة أعظم جراه التي كانت ولا تزال تؤدي دوراً مرموقاً في جميع المجالات الإصلاحية والتعليمية والثقافية، فحينما رأى علماء المدينة أن مواطنيها يواجهون مثل النظريات الباطلة، فقاموا بتأسيس جمعية تدعو الناس إلى الدين الحنيف وتصلح السيئات الشائعة فيما بينهم؛ فاجتمع بعض العلماء المخلصين، وقرروا تأسيس جمعية باسم «أنجمن إصلاح المسلمين» (جمعية إصلاح المسلمين)؛ لإصلاح الشؤون الاجتماعية للمسلمين، وعُين الشيخ شفيع رئيساً لها[٢].

نظمت الجمعية حوالي اثنتي عشرة جلسة في قرى مختلفة لمدينة أعظم جراه وأطرافها، وأرشدت الناس فيها إلى التمسك بالدين الخالص، وإلى ترك الرسوم والطقوس؛ فأسفرت الجلسات عن النتائج الحسنة.

ولكن الجلسات فحسب لا تكفي ولا تثمر بنتائج مرجوة، فاستقر الرأي على أن يفتحوا مدرسة تحت هذه الجمعية، فوهب المواطنون المسلمون قطعة كبيرة من عقاراتهم، وفي عام ١٩٠٦ أو ١٩٠٨م، تم إرساء الحجر الأساس للمدرسة في بلدة سرائ مير، باسم

(١) المرجع السابق، ملخص من ص ١٤٠- ١٤١- ١٤٢.
(٢) ذكر فراهي، للشيخ د. شرف الدين الإصلاحي، ص٣٤٧.

الجمعية؛ أي مدرسة إصلاح المسلمين، ثم غير أعضاء المجلس الإداري اسم المدرسة وسموها بمدرسة الإصلاح[١].

أهداف المدرسة:

تهتم المدرسة بتعليم المسلمين الديني والدنيوي مع اعتبار التعليم الديني مرجحاً عند توسيعه، ولا بد أن تراعي المدرسة دوماً في منهاجها التعليمي الأسس التالية:

- الاهتمام القوي بتعليم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه الإسلامي والأدب العربي كفنٍّ، فضلاً عن الاهتمام بالمقررات والكتب الدراسية الخاصة.

- العناية الكاملة بالتربية الدينية وإكساب الطلاب الأخلاق الفاضلة، والالتزام القوي بشرائع الإسلام وروحه.

- تسهيل المنهاج الدراسي ومقرراته، والاهتمام بخلق المواهب العلمية والكفاءة العالية[٢].

- وستتم إدارة المدرسة ومصدر تمويلها من معونات المسلمين وتبرعاتهم، وتكون المدرسة بعيدة عن النفوذ الحكومي.

- وتكون هذه المدرسة ملتقى للمذاهب المختلفة لأهل السُّنة والجماعة، ومجمعاً لمدارسهم الفكرية المختلفة، على أن تكون عقيدتهم صافية وخالية من البدع والمنكرات، فيمكن أن يدرس الحنفي والشافعي وأهل الحديث والمالكي والحنبلي في هذه المدرسة معاً، ويعيشوا فيها في جو ودي وأخوي بالرغم من خلافاتهم في الفروع، لكي يُقضى على الشقاق والخلاف الذي لا جدوى منه، ولا يسمح لأساتذة المدرسة ومنسوبيها أن يرتبطوا بالأحزاب السياسية المحلية[٣].

الجامعة السلفية:

ومن المدارس الإسلامية الكبرى الجامعة السلفية التي تقع في الجزء الجنوبي من مدينة بنارس (التي تعرف الآن بـ «فارانسي») بشرق ولاية أترا براديش على الشاطئ

(١) ذكر فراهي، للشيخ شرف الدين الإصلاحي، ص ٤٢٤.
(٢) دستور العمل، مدرسة الإصلاح، ص٢- ٣، وتاريخ جامعة الفلاح، ص٤٣.
(٣) ذكر فراهي، للشيخ شرف الدين الإصلاحي، ص ٣٨٠.

الغربي لنهر «جانجا»، وتأسست هذه المدرسة بعد تأسيس جمعية أهل الحديث؛ لأن مذهب أهل الحديث ليس عنده أي مدرسة مركزية ذات أهمية تذكر، فمنذ عام ١٩٠٦م، تشاور العلماء في ملتقى أهل الحديث لعموم الهند عدة مرات حتى شكلوا لجنة في نوفمبر عام ١٩٢٧م، وكان من أعضائها كبار العلماء من أهل الحديث الشيخ ثناء الله الأمرتسري، والشيخ إبراهيم السيالكوتي، والشيخ عبدالرحمن المباركفوري، والشيخ محمد الجوناغري، والشيخ عبدالمجيد البنارسي، والشيخ عبدالمتين البنارسي.

وكان من المفترض أن يضع الحجر الأساسي لدار العلوم المركزية جلالةُ الملك سعود بن عبدالعزيز، ولكن بسبب مرضه لم يستطع أن يحضر في حفل التأسيس، بل أرسل سفيره الذي وضع الحجر الأساس لدار العلوم المركزية في ٢٩ نوفمبر ١٩٦٣م، في بلدة نوغدة[١].

أهداف الجامعة:

- الاعتناء بتدريس الكتاب والسُّنة باعتبارهما مصدرين أساسيين للشريعة الإسلامية الخالدة، على منهج السلف الصالح -رضي الله عنهم- وتدريس اللغة العربية وآدابها، وتدريس العلوم النافعة الأخرى.

- الاهتمام بإعداد الدعاة الصالحين والكتَّاب الإسلاميين المتزودين بثقافة إسلامية واسعة، للإسهام في نشر تعاليم الإسلام، وللرد على أعداء الإسلام بأقوى الحجج والأساليب.

- محاربة البدع والعادات المعارضة للدين، وصيانة المسلمين من الحركات الهدَّامة والمذاهب الإلحادية والاتجاهات المنحرفة التي تسربت إلى صفوف المسلمين، وقضت على روحهم المعنوية وشخصيتهم الإسلامية.

- بذل الجهود لتحقيق التبادل والتعاون بين الجامعات والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، والأخذ بيد شباب الأمة الإسلامية وتوعيتهم بروح دينية قوية، وتوجيههم إلى مبادئ الإسلام السامية وأهدافه البناءة حتى يساهموا في تحقيق أهداف الإسلام[٢].

(١) الجامعة السلفية ببنارس: تعريف بنشاطات وإنجازات، للشيخ مقتدى حسن الأزهري، مجلة ثقافة الهند، ١٩٩١م.
(٢) الموقع الرسمي للجامعة السلفية، الرابط: http://aljamiatussalafiah.org/?p=69&lang=ar

جامعة الفلاح:

قبل امتداد شبكات المدارس الحديثة والكليات والجامعات، كانت للكتاتيب أهمية بالغة في نفوس الناس، وكان الطلاب يتعلمون في الكتاتيب من مبادئ العقيدة وتعليم القرآن الكريم، وكان التعليم في الكتاتيب بطريقة سهلة رخيصة. ويحتوي على كل ما يحتاج إليه الطالب في حياته اليومية من أحكام الصلاة والصوم والقراءة والكتابة، وقواعد الخط والإملاء، والمعلومات العامة والتاريخ والجغرافيا والعلوم، وحفظ بعض الأشعار والمتون الأخلاقية والرياضة والمهارات الحياتية والاجتماعية، التي تسهل عليهم أمور حياتهم.

فلتعليم البنين والبنات تم تأسيس جامعة الفلاح بشكل كُتَّاب ابتدائي إسلامي في بيت ولي محمد خان، عام ١٩١٤م، في منطقة بلرياغنج، الواقعة في شمال مديرية أعظم جراه بولاية أترابراديش الهند؛ بفضل جهود مواطني البلدة وعلى رأسهم الشيخ منشي لال، والشيخ علي أحمد، واستمر التعليم في البيت حوالي سنتين، ثم نقلوا هذا الكُتَّاب الإسلامي من البيت إلى المبنى الخاص به.

كان لعامي ١٩٦١ و١٩٦٢م أهمية كبيرة في تاريخ جامعة الفلاح؛ لأن هذا الكُتَّاب الإسلامي تحول خلال هذين العامين إلى جامعة الفلاح، وأمكن ذلك بسبب مغادرة بعض الأساتذة من مدرسة الإصلاح إلى جامعة الفلاح، وجاؤوا مع طلابهم إليها، وعلى رأسهم الشيخ شبير أحمد الإصلاحي، فأعد الشيخ الإصلاحي منهاجاً مستقلاً لهذه الجامعة، وجعل يكرس الجهود في إبلاغ الجامعة إلى المكانة العليا، فنظراً لجهوده تم تعيينه رئيس المدرسين في الجامعة، وفي العام نفسه (١٩٦٢م) بدأ تعليم المراحل العالية بعد التعليم الابتدائي، وتغير اسم الجامعة الإسلامية إلى جامعة الفلاح[1].

ومنذ تأسيسها، شهدت الجامعة تطوراً تدريجياً لا بأس به حتى احتلت المكانة التي عليها الجامعة الآن، يتهافت الطلاب عليها من كل فج عميق، وأصبحت من المدارس الكبرى في الهند التي تعادلها الجامعات العصرية والدينية في الهند وخارجها، وتمتاز جامعة الفلاح بكونها مدرسة تجمع بين تعليم البنين والبنات.

وهناك العديد من المدارس الإسلامية المشهورة الأخرى التي أدت دوراً مرموقاً في

(١) تاريخ جامعة الفلاح للشيخ د. ضياء الدين ملك الفلاحي، ص ٥٠ – ٧٠.

نشر الدعوة الإسلامية في الهند، وقامت بإعداد نخبة من العلماء والدعاة، وأسهمت في بناء المجتمع الإسلامي في شبه القارة الهندية، منها الجامعة الأشرفية في منطقة مباركفور التي تمثل المذهب السُّني المعروف بالمذهب البريلوي الذي يعتمد على تعاليم الشيخ أحمد رضاخان البريلوي، وجامعة دار السلام في منطقة عمر آباد لعلماء أهل الحديث، والمدارس الأخرى الخاصة بالمسلمين الهنود يصل عددها إلى خمسين ألفاً.

وجدير بالذكر أن هذه المدارس وجميع مؤسسات التعليم الديني الإسلامي في الهند تعتمد على تبرعات المسلمين في الهند من أموال الزكاة والصدقات، وهذه التبرعات والأموال التي يجمعها سفراء المدارس الدينية خلال السنة من مكان إلى مكان آخر لإطعام الفقراء من الطلبة والطالبات ولسداد حاجات المدارس ونفقاتها، كما تُنفق في بعض المدارس لأداء رواتب المدرسين والموظفين، والمدارس الإسلامية لا تقبل أي معونة مالية من الحكومة الهندية؛ لأنها إن أعطت شيئاً فإنها تتدخل في الشؤون التعليمية والمقررات الدراسية، وتطلب منها أضعافاً مضاعفة في حقها.

مشكلات وتحديات:

لا يختلف اثنان أن المدارس الإسلامية مارست دوراً مهماً في القيام بنهوض المسلمين في الهند، ولها أهمية كبيرة في تثقيف الطلاب بالمعارف الإسلامية، ونشر اللغة العربية، لا يمكن أن يغض التاريخ الطرف عنها، ولكن شوهد في الأيام الأخيرة أن المتخرجين في المدارس لا يستطيعون مواكبة العصر الراهن، ولا يلبون متطلبات العصر الحديث، فطلابها يشعرون بالخجل من تقديم أنفسهم كطلاب متدينين في مجال أكاديمي، وخاصة أمام طلاب الكليات والجامعات، فجعل معدل تسرب الطلاب من المدارس يزيد يوماً بعد يوم، ويترك العديد من الطلاب تعليمهم الديني ويهربون أو يتجهون إلى المدارس التي يُدرَّس فيها النوعان من التعليم، بينما لوحظ أن بعض الطلاب يلتحقون بكلية أو جامعة، ويودّعون التعليم الديني إلى الأبد.

وتعجز المدارس الإسلامية عن إنجاب العباقرة في العلوم والفنون كما كانت تنجب في القرون الماضية، فمن الضروري البحث عن الأسباب التي تضع الحواجز في سبيل ازدهارها وإتيانها بثمار يانعة، فقمت بالبحث عن الأسباب والمشكلات، ووصلت خلال

البحث والدراسة إلى الأمور الآتية:

هناك مشكلات داخلية وخارجية، ومن أكبر المشكلات الداخلية للمدارس الدينية منهاجها التعليمي؛ لأن المدارس لا تضع نظاماً خاصاً لإعداد المقررات الدراسية وفق مراحل الطلاب العمرية، ولا يوجد نظام لتعليم الطلاب وفقاً لمستواهم العقلي؛ على سبيل المثال، الطالب الذي عمره ٢٤ عاماً وأكمل الماجستير ويريد التعلم في المدارس فعليه أن يتعلم بنفس المنهج وبنفس الطريقة التي يتعلم بها الطالب المبتدئ.

وليس هناك نظام لتغيير مواد الكتب وتقديم الأشياء بطريقة جديدة جذابة، ويتمسك الطلاب بالكتب القديمة لفترة طويلة، وعندما حان الوقت للقيام بخدمة عملية في المجتمع، لا يجدون أنفسهم متهيئين لها.

ومن العوامل المهمة التي تعرقل في سبيل المدارس الدينية، أنها لا تمتلك أي نظام مستقل لتعيين الأساتذة وتربية المعلمين وتطويرهم ونموهم الأكاديمي.

ومن المشكلات الرئيسة للمدارس الدينية فقدان التواصل فيما بينها، حيث تنقسم المدارس الدينية في الهند إلى الشيعة، والسُّنة، والوهابية، والديوبندية، والبريلوية، وليس هناك لجنة تربطها.

تضع المدارس طلابها منقطعين عن الدنيا وما يدور فيها من مؤامرات ومكائد، وليست لديهم أي معرفة بما يحدث من تغييرات في مجال الاقتصاد والسياسة.

ومن المشكلات الخارجية التي تواجهها المدارس الدينية سياسة الحكومة تجاه المدرسة؛ لأنها تعرف قوة المدارس، ومدى تأثيرها في المجتمع؛ وبالتالي تقوم الحكومة بوضع إستراتيجيات ربما لا تصب في صالح المدارس الدينية.

ويمارس الإعلام دوراً مهماً في خلق جو سلبي ضد المدارس الدينية. ويقوم بإنشاء برامج خاصة تحجب الحقائق الصحيحة عنها، وإنما تحاول في تشويه الصور.

دائماً تطالب وزارة التعليم والتربية تغيير مناهج المدارس الدينية، ولكن الذين يجلسون في الوزارة لا يعرفون ما المقصود بالتربية الدينية، ولا يعرفون أهمية الدين والهيكل التربوي للمدارس الدينية، وفي نهاية المطاف، فإنهم يشكلون لجنة لتقديم الخطط في

صالح الحكومة، وبعد ذلك يتم إلقاء هذه الخطط في سلة المهملات.

نشأت فجوة كبيرة بين خريجي المدارس وخريجي الجامعات، وهناك بون شاسع بين طريقة التدريس في المدارس الإسلامية وطريقة التدريس في المعاهد العصرية.

إن المنهاج يعض بالنواجذ على بعض العلوم والكتب التي لا حاجة لها في أيامنا هذه، مثل الفلسفة القديمة والمنطق القديم، بل يحتاج الطلاب إلى المنطق الحديث والفلسفة الحديثة.

الاقتراحات والتوصيات:

وهناك بعض الاقتراحات التي أود أن أطرحها على المدارس الدينية، لإصلاح المناهج الدراسية والشؤون التعليمية، وهي كما يلي:

على المدارس الإسلامية الكبرى أن تجتمع في أسرع وقت ممكن على رصيف واحد، وتخوض في التفكير عن تشكيل لجنة التعليم الابتدائي والعالي، واللجنة تتكون من علماء ومفكرين لمراجعة واجبات المؤسسات التي تعمل في مجال النظام التعليم الديني، وتقدم التقرير سنوياً وتخطط له المشروع والبرامج التعليمية، ومن المؤسف جداً أن هناك في الهند أكثر من خمسين ألف مدرسة ولا توجد لديها أي لجنة تشرف عليها وتضع لها منهاجاً مستقلاً يسد حاجات الطلاب الهنود اليومية والمستقبلية وتعادلها الجامعات.

ومن اللازم للمدارس الإسلامية أن تجعل أعضاء لها من الخبراء الأكاديميين في مختلف المجالات العلمية، وتأخذ آراءهم بعين الاعتبار، كما يجب على المثقفين الهنود أن يركزوا عنايتهم بالمدارس الإسلامية.

يحتاج المنهاج إلى تغيير كبير من قبل نخبة من العلماء والأدباء وخبراء التعليم تحت إشراف لجنة متخصصة في التعليم والتربية؛ ليكون منهاجاً نافعاً شاملاً يسد حاجات العصر الراهن.

يجب على المدارس الإسلامية أن تغير طرق تدريسها وتختار التقنيات الحديثة لجعل الطريقة سهلة وجذابة، ولا بد أن يكون هنا الاحتكاك الثقافي والتبادل البرامجي بين طلاب المدارس الإسلامية الهندية ومدارس البلدان العربية والجامعات العالمية في

الدورات التعليمية، ومن الضروري أن يكون في المدارس الإسلامية بعض الأساتذة من البلدان العربية تكون لغتهم الأم اللغة العربية، لا بد أن تهتم المدارس بهويتها الإسلامية والعلمية بدلاً من هويتها المذهبية (الحنفية، والشافعية، الشيعية، السُّنية، الوهابية، الديوبندية).

ومن اللازم أن تجمع اللجان الماهرة في المجال الاقتصادي لوضع برنامج قوي لتمويل الدعم المالي للمدارس الدينية.

يجب تقديم خطط العمل لاختيار المعلمين وتطويرهم الأكاديمي وتحديث نظام التعليم، وينبغي النظر بجدية لإنهاء تقسيم التعليم الديني والدنيوي في المدارس الدينية، وإقامة اندماج جميل بين الكلية والجامعة، يجب إنشاء مراكز بحثية داخل المدارس لجعل العلم عمليًا قابلاً للاستخدام في مجالات الحياة.

خلاصة القول:

إن المدارس الإسلامية أدت دوراً بارزاً في القيام بنهوض المسلمين الهنود، وفي نشر الدعوة الإسلامية والعقيدة الصحيحة المتوارثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين، ومكافحة البدع والخرافات والرسوم الباطلة، وغيرت أحوال المسلمين، ومحت الأمية، وأثارت رغبة التعليم فيهم، وبثت تعليم الكتاب والسُّنة والتفسير والعقائد والعلوم الأخرى، وقامت بتوعية المسلمين بأحكام الدين والشريعة الإسلامية الخالدة، ونشرت شبكة المدارس والكتاتيب في بلاد الهند وخارجها، وأنجبت رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله تعالى عليه، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وقامت بتربية الطلاب على الأخلاق الإسلامية وأثارت روح الإسلام في نفوسهم وحثتهم على القيام بتبليغ الدين، وحمايته والدفاع عنه، والمحافظة الكاملة الدقيقة على الشرائع الإسلامية عن طريق الخطابة والكتابة، ولولا هذه المدارس الإسلامية لكانت أوضاع المسلمين أسوأ حالاً من الناحية الدينية والتعليمية والسياسية.

وبعد الاعتراف بهذه الخدمات القيّمة التي قامت المدارس بها، أعيد القول: إن المدارس الإسلامية في حاجة ماسة إلى اتخاذ خطوات صارمة لإصلاح حالتها، وجمع المدارس تحت هيئة لها منهاج جديد يواكب العصر الراهن، والاهتمام بقضايا الأمة

الإسلامية وتعليمها وتربيتها وتوجيهها وإرشادها؛ إذ هي المراكز الوحيدة التي يرجى منها أن تفعل شيئاً وتنفخ الروح الإسلامية في جسدها.

وهذا عرض يسير لتاريخ المدارس الإسلامية وخدماتها، والمشكلات التي تواجهها الآن، والاقتراحات والتوصيات التي يمكن للمدارس أن تأخذها بعين الاعتبار.

مساهمات علماء الهند
في خدمة السُّنة النبوية

د. محمد عمر عابدين[١]

تمهيد:

السُّنة النبوية هي ما ورد عن الرسول محمدﷺ من أقوال أو أفعال أو صفات خَلقية وخُلقية. وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم.

ما زالت السُّنة النبوية ذات أهمية عظيمة وقيمة عالية منذ عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم الناس هذا، وقد اهتم العلماء على مر العصور بالسُّنة النبوية؛ جمعاً وتدويناً ودراسة وشرحاً، واعتنوا بحفظها ونقلها إلى الأجيال القادمة، حتى كان أحدهم يرحل المراحل، ويقطع الفيافي والمفاوز، ويجوب البلاد في مشارق الأرض ومغاربها في طلب حديث واحد، فتناقلوه كابراً عن كابرٍ.

وكان اعتمادهم أولاً على الحفظ والضبط بالقلب، غير ملتفتين إلى الكتابة، ولكن حينما اتسعت الأمصار، وامتدت الحكومة الإسلامية وقل الحفظ والضبط، احتاج العلماء إلى جمع وتدوين الحديث.

وكان أول من أمر بتدوينه الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز؛ حيث كتب إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سُنته فاكتبه، فنادى العلماء إلى الجمع والتدوين، فدونوه.

ثم تلاهم كثير من الأئمة الكبار حسب مرور الأيام، وقاموا بالتدوين والتصنيف حسب ما سنح لهم وانتهى إليه علمهم، حتى جاء الإمامان الأعظمان أبو عبدالله محمد

(١) نائب الرئيس بالمعهد العالي الإسلامي في حيدر آباد – الهند.

بن إسماعيل البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، فدونا كتابيهما وأثبتا فيهما من الأحاديث الصحيحة، ثم انتشر هذا العلم وكثر التصنيف فيه، وهكذا انتشر هذا العلم في كثير من البلدان من العرب والعجم[١].

وإن لعلماء الهند جهود مشكورة ومساهمات كبيرة في خدمة علم الحديث؛ يكتب الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة «المنار»، رحمه االله تعالى، في مقدمة كتاب «مفتاح كنوز السُّنة» معترفاً بجهود علماء الهند لخدمة علم الحديث: «لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعف في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة»[٢].

نشأة علم الحديث وتطوره في الهند:

دخل علم الحديث في شبه القارة الهندية مع دخول الإسلام والمسلمين في عصر الصحابة، رضي االله عنهم، حيث تنورت الهند بأشعة الإسلام في عصر الصحابة بجهودهم الفردية والجماعية لنشر الدعوة الإسلامية، وانتشر الإسلام في هذه المناطق على أيدي التجار المسلمين[٣].

ثم جاء المجاهد محمد بن القاسم الثقفي في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك في سنة ٩٣هـ/ ٧١٢م وفتح بلاد السند، وأسس دولة إسلامية على مساحة واسعة من الهند.

يكتب الشيخ عبدالحي الحسني في كتابه «الثقافة الإسلامية في الهند»: «اعلم أن محمد بن القاسم الثقفي فتح بلاد السند في عهد الوليد بن عبدالملك الخليفة الأموي، وتمكنت فيها دولة العرب كسائر البلدان، ودخلها أتباع التابعين ورجال من أهل بيت النبي صلى االله عليه وسلم مخافة الخلفاء من الأمويين، وبني العباس، وتتابع الناس بعد ذلك من أهل العلم، وسكنوا بها وتوالدوا وتناسلوا، وسافروا من بلاد إلى بلاد أخرى، وأخذوا الحديث ورووه بالحفظ والإتقان مدة أربعة قرون»[٤].

ساهموا في خدمة السُّنة النبوية، وبذلوا جهودهم المشكورة في نشر علم الحديث، درّسوا

(١) ملخصاً من: الثقافة الإسلامية في الهند، عبدالحي الحسني، ص: ١٢٣-١٢٥.
(٢) مقدمة مفتاح كنوز السُّنة لمحمد فواد عبدالباقي، ص: ق.
(٣) جهود مخلصة في خدمة السُّنة المطهرة، لعبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي، ص٣.
(٤) الثقافة الإسلامية في الهند، عبدالحي الحسني، ص١٢٥.

وصنّفوا وسافروا البلدان لطلب الحديث، ومن أشهر المحدثين في هذه المرحلة: إسرائيل بن موسى البصري نزيل الهند، ومنصور بن حاتم النحوي، وإبراهيم بن محمد الديبلي، وأحمد بن عبدالله الديبلي، وأحمد بن محمد المنصوري أبو العباس، وخلف بن محمد الديبلي، وشعيب بن محمد الديبلي، وأبو محمد عبدالله المنصوري، وعلي بن موسى الديبلي، وفتح بن عبدالله السندي، ومحمد بن إبراهيم الديبلي، وخلق آخرون[١].

ضعف علم الحديث في شبه القارة الهندية:

بعد انقراض دولة العرب من السند وتغلُّب الغزنويين عليها في أوائل القرن الخامس للهجرة، أدت الخلافات السياسية والعصبيات القبائلية في الهند إلى ضعف علم الحديث فيها، وأضرت بالحركات الدينية والعلمية، حتى ندر وجود المحدثين في القرن الخامس في الهند.

يكتب الشيخ العلامة عبدالحي الحسني: «ولما انقرضت دولة العرب من بلاد السند، وتغلبت عليها الملوك الغزنوية والغورية، وتتابع الناس من خراسان وما وراء النهر، صار الحديث فيها غريباً كالكبريت الأحمر وعديماً كعنقاء المغرب، وغلب على الناس الشعر والنجوم والفنون الرياضية، وفي العلوم الدينية الفقه والأصول، ومضت على ذلك قرون متطاولة حتى صارت صناعة أهل الهند حكمة اليونان، والإضراب عن علوم السُّنة والقرآن إلا ما يُذكر من الفقه على القلة، وكان قصارى نظرهم في الحديث مشارق الأنوار للصغاني، فإن ترفّع أحد إلى مصابيح السُّنة للبغوي، أو إلى مشكاة المصابيح ظنّ أنه وصل إلى درجة المحدثين، وما ذلك إلا بجهلهم بالحديث»[٢].

ومع هذا نجد هناك بعض الخدمات في السُّنة النبوية في هذه العصور، من أشهرها كتاب «مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية»، ألفه الشيخ رضيّ الدين حسن بن محمد الصغاني، جمع فيه أحاديث الصحيحين القولية فقط[٣].

ونذكر هنا بعض علماء الحديث الذين رفعوا لواء علم الحديث في هذه العصور، على

(١) الثقافة الإسلامية في الهند، عبدالحي الحسني، ص ١٢٥ – ١٢٦.
(٢) الثقافة الإسلامية في الهند، عبدالحي الحسني، ص١٢٦.
(٣) جهود مخلصة، ص١٦–١٧.

سبيل المثال: الشيخ أبو الحسن علي بن عمر بن الحكيم اللاهوري، والإمام المحدث أبو الفضل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني اللاهوري، والشيخ نظام الدين البدايوني، وقد ساهم كل واحد منهم في خدمة السُّنة النبوية تدريساً أو تأليفاً.

نهضة علم الحديث مرة ثانية في الهند:

ذُكر فيما سبق أن حركة السُّنة النبوية قد ضعفت في أوائل القرن الخامس، ولم تزل على تلك الحالة حتى جاء القرن العاشر، فمنّ الله تعالى على بلاد الهند بالعلماء الذين جددوا حركة السُّنة النبوية وأحيوها، وقاموا بتدريس هذا الفن ونشره، حتى أصبحت هذه البلاد مركزاً لعلم الحديث في القرن العاشر وما بعده.

المحدثون المشهورون في هذه القرون:

نذكر هنا بعض العلماء الذين ساهموا في خدمة علم الحديث واشتهروا فيه في هذه القرون بإيجاز:

الشيخ محمد بن طاهر بن علي الفتني:

الشيخ محمد بن طاهر بن علي الفتني المتوفى سنة ٩٨٦هـ، فإنه درّس وخرّج وصنّف كتباً عديدة في ذلك العلم الشريف، كـ «مجمع البحار في غريب الحديث»، و«المغني في أسماء الرجال»، و«التذكرة في الموضوعات»[١].

الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي:

«ثم جاء الله سبحانه بالشيخ عبدالحق بن سيف الدين البخاري الدهلوي المتوفى سنة ١٠٥٢هـ، وهو أول من أفاضه على سكان الهند، وتصدى للدرس والإفادة بدار الملك دهلي، وقصر همته على ذلك، وصنّف وخرّج ونشر هذا العلم على ساق الجد، فنفع الله به وبعلومه كثيراً من عباده المؤمنين، حتى قيل: إنه أول من جاء بالحديث بالهند، وذلك غلط كما علمت»[٢].

(١) الثقافة الإسلامية في الهند، ص١٢٧.
(٢) الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٢٧.

الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي:

وكذلك تصدى له الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندي، إمام الطريقة المجددية، وولده محمد سعيد شارح المشكاة وأبناؤه ولا سيما فرُّخ شاه، يقال: إنه كان يحفظ سبعين ألف حديث متناً وإسناداً وجرحاً وتعديلاً[١].

ثم قام أبناء المجدد وأحفاده بخدمة علم الحديث، ولهم جهود مشكورة في خدمة السُّنة تدريساً وتأليفاً، من أشهرهم: الشيخ محمد معصوم بن أحمد المجدد، والشيخ محمد سعيد بن أحمد المجدد، والشيخ محمد أعظم بن سيف الدين بن معصوم السرهندي، له شرح مفيد على صحيح البخاري سماه «فيض الباري»، والشيخ فرُّح شاه بن محمد سعيد السرهندي، والشيخ سراج أحمد بن مرشد بن أرشد بن فرُّخ شاه السرهندي[٢].

الشيخ ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي:

ثم جاء الله سبحانه بالشيخ الأجل والمحدث الأكمل، ناطق هذه الدورة وحكيمها، وفائق تلك الطبقة وزعيمها، الشيخ ولي الله بن عبدالرحيم العمري الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦هـ، فإنه رحل إلى الحجاز، وأخذ عن الشيخ أبي طاهر المذكور، وعن غيره من أئمة الحديث، ورجع إلى الهند، وشمّر عن ساق الجد والاجتهاد لنشر ذلك العلم، فدرّس وأفاد، وخرّج وصنّف، وقد نفع الله بعلومه كثيراً من عباده المؤمنين[٣].

«وجملة الكلام أن الشاه ولي الله المحدث الدهلوي غرس في الهند شجرة علم الحديث، فاشتدت هذه الشجرة وتمكنت وطالت أغصانها، وعلت وتشعبت قضبانها، وانتشرت حتى أحاطت البلاد والأمصار، وبلغت فروعها في جميع النواحي والأقطار، وتخرج بإفاضة علمه جماعة عظيمة قاموا بنشر علوم الدين وإشاعة السُّنة النبوية، وظهر بسعيه طائفة كبيرة اجتهدوا في ترويج علوم الحديث وتبليغها، منهم: أبناؤه الكرام الشيخ الأجل الشاه عبدالعزيز، والشيخ العلامة الشاه عبدالغني، والشيخ العلامة الشاه

(١) الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٢٧-١٢٨.
(٢) جهود مخلصة، ص ٣٧-٣٨.
(٣) الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٢٨.

عبدالقادر، والشيخ العلامة الشاه رفيع الدين، وكان كل واحد منهم إمام زمانه في غزارة العلم، وملازمة التقوى، والنهاية في الورع والزهد رأساً في التحقيق والإتقان، قد أشرب في قلوبهم حب الحديث واتباعه»[١].

الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي:

امتاز الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي من بين إخوته الكرام بمزيد الاعتناء بعلوم الحديث والقرآن وسبقهم، حين كان عمره سبع عشرة سنة توفي والده المعظم، فانتقل إليه وظيفة التدريس والإفتاء والإرشاد والهداية، فأكب الناس عليه وصار مرجعهم في مهمات الدين والعلوم الشرعية، فلازم التدريس والإرشاد إلى آخر عمره، ونشأ بإفاضته العلمية كثير من العلماء العباد، والفضلاء النقاد، والجهابذة أولي الإصلاح والإرشاد[٢].

الشيخ محمد إسحاق المحدث الدهلوي:

وكذلك الشيخ محمد إسحاق بن محمد أفضل العمري، سبط الشيخ عبدالعزيز ولي الله المذكور، فإنه أخذ عن جده عبد العزيز، ولازمه ملازمة طويلة، ثم أفاضه على سكان الهند، وانتفع بعلومه خلق كثير، وانتهت إليه رئاسة الحديث في الهند[٣].

الشيخ محمد نذير حسين الدهلوي:

ومنهم السيد نذير حسين الحسيني الدهلوي المتوفى سنة ١٣٢٠هـ، أخذ عن الشيخ إسحاق المذكور، ودرّس وأفاد بدهلي، انتفع بعلومه خلق كثير من العرب والعجم، وانتهت إليه رئاسة الحديث في الهند[٤].

فهؤلاء شرذمة قليلة من أئمة الحديث الأجلاء ممن يرجع إليهم الفضل في نشر علم الحديث في بلاد الهند، عدا هؤلاء هناك عدد لا يحصى من أئمة الحديث في بلاد الهند، ولا يسع هذا المقال ذكر كل منهم.

---

(١) مقدمة تحفة الأحوذي ١، ص: ٥٠-٥١.
(٢) مقدمة تحفة الأحوذي ١، ص٥١.
(٣) الثقافة الإسلامية في الهند، ص١٢٩.
(٤) الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٣٠.

مصنفات أهل الهند في الحديث:

أما مصنفات أهل الهند في مجال الحديث وعلومه فهي كثيرة، وخدماتهم في هذا المجال عظيمة جليلة، نذكر هنا أشهر مصنفاتهم في الحديث وعلومه بإيجاز على سبيل المثال، لا الحصر:

- مشارق الأنوار للشيخ الإمام حسن بن محمد بن الحيدر الصغاني اللاهوري، وله: مصباح الدجى في حديث المصطفى، والشمس المنيرة.

- عين العلم والسبعين للشيخ علي بن الشهاب الهمداني، وفيه سبعون حديثاً في مناقب أهل البيت.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للشيخ علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي المتوفى سنة ٩٧٥هـ، وهذا الكتاب في أربعة مجلدات، رتّب فيه جمع الجوامع للسيوطي، كترتيب جامع الأصول.

- وملتقط جمع الجوامع للشيخ طاهر بن يوسف السندي البرهانْفوري.

- التنبيهات النبوية في سلوك الطريقة المصطفوية للشيخ ولي الله بن غلام محمد السورتي الغجراتي، جمع فيه أبواب الزهد، والآداب، وما يتعلق بذلك.

- طريق الإفادة شرح سفْر السادة بالفارسي للشيخ المحدث عبدالحق بن سيف الدين البخاري الدهلوي.

- كتاب بسيط للقاضي ثناء الله الباني بتي في مجلدين، وهو أحسن الكتب المؤلفة في الآداب النبوية وأخلاقه صلى الله عليه وسلم.

- النوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر للشيخ ولي الله بن عبدالرحيم المحدث الدهلوي.

- جوامع الكلم للمفتي إلهي بخش بن شيخ الإسلام الكاندهلوي المتوفى سنة ١٢٤٥هـ.

- العروة الوثقى لمتبع سُنّة سيد الورى، كتاب في الحديث على ترتيب أبواب الفقه للشيخ عبدالله الصديقي الإله آبادي، وله: معين الأبرار على الصلاة في الليل والنهار، جمع فيه السور القرآنية التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها في الصلاة.

- خير المواعظ في مجلدين للشيخ أبي رجاء محمد زمان الشاهجهانپوري، وهو كرياض الصالحين للإمام النووي.

- الكواكب الدرية منتخب أحاديث المجالس الدينورية للشيخ عبدالوهاب بن محمد غوث الشافعي المدراسي.

- ساطع الأنوار من كلام سيد الأبرار للمولوي نصير الدين البرهانفوري.

- وزاد السبيل إلى الجنة والسلسبيل مختصر بالعربي للشيخ غلام يحيى بن عبدالودود الحسيني النقوي الشيعي المدراسي، جمع فيه ما ورد في فضائل أهل البيت من الأخبار والآثار، وجمعها من كتب أهل السُّنة والجماعة.

- هداية الغوي إلى المنهج السويّ في الطب النبوي للشيخ محمد غوث بن ناصر الدين الشافعي المدراسي، وله: بسط اليدين في إكرام الأبوين، وزواجر الإرشاد إلى أهل دار الجهاد.

- نُزل الأبرار شرح منتقى الأخبار للسيد صديق حسن بن أولاد حسن الحسيني البخاري القنوجي، وله: ضالة الناشد الكئيب في شرح تأنيس الغريب، والحطة بذكر الصحاح الستة، والحرز المكنون من لفظ المعصوم المأمون في الأحاديث المتواترة، وغيرها[1].

مصنفاتهم في شرح كتب الحديث:

شروح الموطأ:

- المصفى شرح الموطأ بالعربي للشيخ يعقوب أبي يوسف البياني اللاهوري.

- المحلى شرح الموطأ بالعربي للشيخ سلام الله بن شيخ الإسلام البخاري الدهلوي.

- المسوي شرح الموطأ بالعربي للشيخ الأجل ولي الله بن عبدالرحيم العمري الدهلوي، اقتصر فيه على شرح الغريب وبيان المذاهب، وله: المصفى شرح الموطأ بالفارسي، صنفه على وجه الاجتهاد والتحقيق.

- وهداية السالك إلى موطأ الإمام مالك للمفتي صبغة الله بن محمد غوث الشافعي المدراسي.

(١) الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٣١-١٣٥.

- التعليق الممجد على موطأ الإمـام محمد للمولوي عبدالحي بن عبدالحليم اللكهنوي[١].

شروح صحيح البخاري:

- شرح للشيخ الإمام حسن بن محمد بن الحيدر الصغاني اللاهوري.

- فيض الباري شرح صحيح البخاري للسيد عبدالأول بن علي بن العلاء الحسيني.

- الخير الجاري شرح صحيح البخاري للشيخ يعقوب أبي يوسف البياني اللاهوري.

- تيسير القاري شرح عليه بالفارسي في ستة مجلدات للمفتي نور الحق بن عبدالحق البخاري الدهلوي المحدث.

- فيض الباري شرح عليه للشيخ محمد أعظم بن سيف الدين السرهندي.

- عون الباري في حل أدلة البخاري في أربعة مجلدات للسيد صديق حسن الحسيني البخاري القنوجي.

- فيض الباري شرحه بالأردو للشيخ فضل أحمد الأنصاري.

- الفيض الطارئ شرح صحيح البخاري بالعربي في مجلدين للشيخ جعفر بن محمد الحسيني البخاري الكجراتي[٢].

شروح صحيح مسلم:

- المعلم شرح صحيح مسلم للشيخ يعقوب أبي يوسف البياني اللاهوري.

- المطر الثجاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للمفتي ولي الله بن أحمد علي الحسيني الفرُّخ آبادي.

- وشرح عليه بالفارسي للشيخ فخر الدين بن محب الله البخاري الدهلوي.

- وشرح عليه بالفارسي للشيخ سراج أحمد السرهندي.

- وشرح عليه بالقول للمفتي صبغة الله بن محمد غوث الشافعي المدراسي.

- والسراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج، شرح عليه بالعربي

(١) الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٣٦-١٣٧.
(٢) الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٣٧.

للسيد صديق حسن بن أولاد حسن الحسيني البخاري القنوجي.

- والمعلم شرحه بالأردو للمولوي وحيد الزمان اللكهنوي في ستة مجلدات[١].

شروح جامع الترمذي:

- شرح عليه بالعربي للشيخ طيب بن أبي الطيب السندي.
- شرح عليه بالعربي للشيخ طيب بن أبي الطيب السندي.
- شرح عليه بالقول للمفتي صبغة الله بن محمد غوث الشافعي المدراسي.
- جائزة الشعوذي شرح عليه بالأردو للمولوي بديع الزمان اللكهنوي.
- شرح عليه بالأردو للمولوي فضل أحمد الأنصاري.
- شرح عليه بالأردو للمولوي وجيه الزمان بن مسيح الزمان اللكهنوي[٢].

شروح السنن لأبي داود:

- عون المعبود شرح عليه في أربعة مجلدات للمولوي شمس الحق الديانوي.
- التعليق المحمود شرح عليه بالقول للمولوي فخر الحسن الغنغوهي.
- الهدي المحمود شرح عليه بالأردو للمولوي وحيد الزمان اللكهنوي.
- فتح الودود شرح عليه لأبي الحسن السندي[٣].

شروح السنن للنسائي:

- تعليقات عليه للمولوي وصي أحمد الحنفي الكانپوري.
- روض الربى شرح عليه بالأردو للمولوي وحيد الزمان اللكهنوي[٤].

شروح السنن لابن ماجة:

- شرح عليه بالفارسي للشيخ سراج أحمد العمري السرهندي.
- إنجاح الحاجة شرحه بالعربي للشيخ عبدالغني بن أبي سعيد العمري الدهلوي.

---

(١) الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٣٨.
(٢) الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٣٨.
(٣) الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٣٨-١٣٩.
(٤) الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٣٩.

- ورفع العجاحة شرحه بالأردو للمولوي وحيد الزمان بن مسيح الزمان اللكهنوي.
- مفتاح الحاجة شرحه بالعربي للمولوي محمد بن عبدالله العلوي[١].

شروح الشمائل للترمذي:

- شرح عليه بالفارسي للشيخ محمد عاشق بن عمر الحنفي.
- شرح عليه للمفتي نور الحق بن عبدالحق بن سيف الدين البخاري الدهلوي.
- معين الفضائل شرح الشمائل للشيخ فاضل بن الحامد الكجراتي.
- أشرف الوسائل شرح الشمائل للشيخ سيف الله بن نور الله البخاري الدهلوي.
- درر الفضائل شرح الشمائل بالعربي للشيخ عليم الدين بن فصيح الدين القنوجي.
- سراج النبوة شرحه بالأردو للسيد بابا بن يوسف القادري الحيدر آبادي[٢].

شروح مشكاة المصابيح:

- شرح بسيط عليه للشيخ عبدالعزيز الكاهاتي السندي.
- شرح عليه للشيخ محمد سعيد بن أحمد العمري السرهندي.
- ذريعة النجاة شرح المشكاة للشيخ عبدالنبي بن عبدالله الشطاري الكجراتي.
- زينة النكات شرح المشكاة للسيد محمد بن جعفر الحسيني الكجراتي.
- شرح عليه للشيخ طيب بن أبي الطيب السندي البرهانپوري.
- شرح عليه بالفارسي في أربعة مجلدات لبعض علماء كجرات.
- لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح بالعربي للشيخ عبدالحق بن سيف الدين البخاري الدهلوي، وله شرح آخر بالفارسي: أشعة اللمعات في أربعة مجلدات.
- نجوم المشكاة شرحه للشيخ محمد صديق بالعربي في مجلد واحد.
- ومظاهر الحق بالأردو للمولوي قطب الدين الدهلوي[٣].

(١) الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٣٩.
(٢) الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٣٩.
(٣) الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٤٠.

تتمة:

هذه لمحات من خدمات علماء الهند في السُّنة النبوية، وأمثلة لجهودهم المشكورة في هذا المجال الكريم، وهذا غيض من فيض وقليل من كثير.

وخلاصة القول: دخل علم الحديث الهند في عصر الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، وإن لعلماء الهند جهوداً مشكورة ومساعيَ نبيلة في نشر وترويج هذا العلم في بلاد الهند خاصة، وفي بلدان العالم جمعاء، وقد اعترف علماء العالم الإسلامي بخدمات علماء الهند في الحديث، مرّ علم الحديث في الهند بأطوار مختلفة، فتارةً ضعف حتى صار الحديث عديماً كعنقاء المغرب، وأخرى نما وتطور حتى صارت الهند مركزاً لعلم الحديث.

ضعف علم الحديث في الهند في أواخر القرن الرابع في عصر الملوك الغزنوية، وبقي على تلك الحالة حتى القرن العاشر، ثم نهض وتطور في القرن العاشر، حتى أصبحت الهند مركزاً لعلم الحديث، وإن للشيخ الإمام أحمد السرهندي وأبنائه وأحفاده جهوداً عظيمة في إحياء ونشر السُّنة النبوية في الهند، وكذلك الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي وأبناؤه وتلاميذه؛ لهم جهود رائعة في ترويج السُّنة النبوية في الهند، وخاصة في منطقة دلهي، وبلغ الحديث كماله في الهند في عصر الشيخ الشاه ولي الله المحدث الدهلوي وأبنائه، حتى أحاطت البلاد والأمصار.

وخلف من بعدهم علماء أجلاء ومحدثون كبار، تفننوا في خدمة علم الحديث، وهذا بحر لا يُدرك قعره.

مسلمو الهند.. بين فكي الاحتلال الإنجليزي والهندوس

محمد أحمد بيغ الندوي[١]

لا يخفى على من له أدنى إلمام بتاريخ الإسلام والمسلمين في الهند أن الإسلام قد أرسل أشعته اللامعة إلى الهند عبر التجار العرب المسلمين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فبدأ الإسلام ينتشر في سواحل الهند من غجرات إلى كيرلا، في عهد الخلفاء الراشدين، ثم زحف محمد بن قاسم إلى الهند في أواخر القرن الأول الهجرى عام ٩١هـ وأقام دولة إسلامية عربية بها.

ومن هنا، بدأت سلسلة الحكومات المسلمة في الهند، إلى أن جاء محمود الغزنوي ٩٧١ – ١٠٣٠م في أوائل القرن الخامس الهجري، ففتح الهند ووصل إلى قنوج في شمال الهند، وتبعه شهاب الدين الغوري ١١٦٠ – ١٢٠٦م في أواخر القرن السادس الهجري، وحارب ملك الهند برتوي راج في ساحة ترائن في الشمال الغربي لمدينة دلهي عام ١١٩٢م، وهزمه هزيمة نكراء، وأقام حكومة تدرجت في مختلف الأسر والقبائل حوالي ستة قرون و٦٥ سنة إلى سيطرة الإنجليز سيطرة كاملة على الهند سنة ١٨٥٧م.

ازدهرت الهند ازدهاراً باهراً في عصر المسلمين في مختلف المجالات، وذاق سكانها المنبوذون المضطهدون بأيدي الطبقة العليا البراهمة والآخرون طعم العدل الاجتماعي للإسلام والمساواة بين إنسان وآخر.

(١) رئيس مجلس الأئمة لعموم الهند والأستاذ السابق للتفسير والأدب في دارالعلوم لندوة العلماء لكناؤ.

حكم المسلمون الهند طوال قرون، وهم كانوا في الأقلية، وأغلبية سكانها عباد الآلهة المختلفة الألوان والأنواع من الحيوانات والأشجار والأحجار، وأنهم موزعون بين النظام الطبقي الجائر توزيعاً غريباً مدهشاً، والطبقة المنبوذة التي كانت في الكثرة الكاثرة مكبلة بالسلاسل الهندوسية المختلفة، التي كان يقبض عليها البراهمة، ويحركونها كيف يشاؤون، ويلتقمون أموال الطبقات المنبوذة، ويمتصون دماءهم كأنهم يملكون كل أبيض وأسود مذهباً.

بداية دخول الأوروبيين في الهند:

أول رجل أوروبي برتغالي جاء إلى الهند مع مدفعيته ورجاله في عدد كبير إنما هو واسكو دغاما من مواليد ١٤٦٩ - ١٥٢٤م الذي وصل عبر البحر من طريق أفريقيا إلى كالي كت من أحد سواحل الهند جنوباً في ٢٠ مايو ١٤٩٨م، وعامة يكتب المؤرخون أن الغربيين توجهوا نحو الهند للتجارة فقط، بينما تشير بعض المصادر الموثوق بها في الاستعمار والتبشير إلى أن الغربيين لم يقصدوا الهند لمجرد التجارة، بل مع ذلك كانوا يحملون في طياتهم وحناياهم عاطفة تبشيرية واستعمارية، والحقائق الباهرة التي ظهرت بعد مجيء الغربيين تؤيد هذا الجانب المخطط المدبر من قوى غربية استعمارية توجه نحو الهند العديد من أقوام أوروبا خلال نهاية القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر الميلادي، منهم البرتغاليون، والفرنسيون، والولنديزيون المعروفون بـ dutch من هالےندا، والبرےطانيون المعروفون بالإنجليز من بريطانيا.

إن هؤلاء جميعاً لهم مطامع وطموحات بعيدة دينية وتجارية وسياسية في الهند، ولذلك كان الصراع بينهم مريراً، وجرت بينهم معارك دامية حامية لأغراضهم ومصالحهم التجارية والاستعمارية، ولم يتحقق الحلم كاملاً إلا للإنجليز، فساقهم حظهم إلى تجسيد طموحاتهم في الهند، ونالت الشركة الهندية الشرقية مرسوماً ملكياً للتجارة في الهند سنة ١٦٠٠م في عهد ملكة بريطانيا إليزابيث الأولى.

فبنى أصحاب الشركة بناء شامخاً في مدينة سورت إحدى المناطق الساحلية في ولاية غجرات حالياً، وجعلوا يوسعون نطاقهم الاستعماري وراء ستار التجارة، كما انكشف غطاء نياتهم الاستعمارية والتبشيرية عند معركة بلاسي التي وقعت في أرض مرشد آباد

بنغال في ٢٣ يونيو ١٧٥٧م بقيادة لارد كلائيو، أسفرت عن فشل المسلمين فشلاً ذريعاً وآلاف القتلى والجرحى، حتى قُبض على سراج الدولة نواب بنغال وأريسة وبهار، وقتل بغاية من الذل والوقاحة.

وكسرت هذه المعركة الساخنة همم المسلمين وأخمدت عواطفهم الجياشة، وأتاحت فرصة سائغة للإنجليز أن يشرئبوا أعناقهم إلى سدة الحكم والقوة السياسية، وجعل الهند مستعمرات بريطانية.

التعاون الإنجليزي الهندوسي:

لم يكن نهم الهند كلها أمراً هيناً يسيراً، لو لم ينجح الإنجليز في معركة بلاسي؛ لأن المسلمين كانوا عقبة كأداء في سبيل تجسيد أحلام الإنجليز المعسولة، ولذلك دبر الإنجليز العديد من المخططات، منها أن الإنجليز لما نجحوا في ساحة بكسر عام ١٧٦٤م نجاحاً فائقاً فوق حسبان المسلمين، واستولوا على بنغال وأريسة وبهار كلياً، فاحتاجوا إلى رجال أكفاء لهم قدرات ومؤهلات تسد فراغ المناصب الجديدة، فالمرشحون الذين انبروا لهذه المناصب بسبب معرفتهم واختصاصهم بإدارة النظام الحكومي إنما هم البراهمة.

وكان الإنجليز يتوخون منذ أمد طويل توطيد العلاقات والوشائج مع البراهمة لتحقيق أهدافهم الاستعمارية، وكتب مؤرخ هندوسي سوامي دهرما تيرت من مواليد عام ١٨٩٣ – ١٩٧٨م في كتابه الشهير «تاريخ الاستعمار الهندوسي» (history of Hindu imperialism)، تحت عنوان «البراهمة في أحضان التجار الإنجليز وسادتهم»، وكتب يقول: إن الإنجليز قلدوا البراهمة بالمناصب الرفيعة كونهم متصفين بميزات وخصائص منفردة، وكانت لهم مكانة مرموقة في المجتمع؛ لأنهم اختلقوا لهم بيئة متميزة عن سائر الناس، كأنهم مخلوق آخر، وكتب عالم فرنسي إيبﷺ دوبوئ الذي قام بدراسة نفسية البراهمة دراسة عميقة في كتابه الشهير «Hindu Manners Customs and Ceremonies» أن البراهمة بسبب دهائهم ومكرهم اندمجوا مع أصحاب المناصب والموظفين للطبقة الحاكمة تمام الاندماج، الذين سلموا مسؤولية المجالس الإدارية المختلفة إلى البراهمة، بالإضافة إلى مناصب عديدة ذات منافع مالية حتى عينوا في المحاكم لبعض المديريات، وبذلت جهود مكثفة ضخمة من جهة الإنجليز أن يصبح الهنادك متحدين مترابطين متراصين ومتماسكين كى يثوروا ثورة

عنيفة ضد المسلمين.

وتحقيقاً لهذا الغرض الخبيث، وتوحيد صفوف طبقات الهنادك المختلفة المتنازعة بينها، تم اختلاق كلمة حديثة معروفة بـ «هندو مت» أو «هندوتفا»، وقبل مؤامرة الإنجليز لم تكن هذه الكلمة معروفة بين الهندوس، كأن هذه الكلمة منحة سماوية تغير أوضاع البراهمة من ذل وهوان ونكسة إلى سمو وعلو وارتفاع يوصلهم إلى ماضيهم الزاهر ونيل قوتهم المفقودة المنطوية في صفحات التاريخ، فاعتبر البراهمة الإنجليز مسيحاً ومنقذاً لهم.

وبالمحصلة، أخذ البراهمة يساعدون الإنجليز ويعاضدونهم للحصول على ضالتهم المنشودة، وكتب سوامي دهرما تيرت في كتابه أن الإنجليز شكلوا الهيئات الإدارية للمعابد، وفوضوا الأمور الداخلية الإدارية كلها إلى البراهمة، ولم يدخر الإنجليز وسعاً لإرضاء البراهمة وتحبيب أنفسهم في أنظارهم لتتبلور وحدة الإنجليز والبراهمة لإخماد قوة المسلمين، وتمزيق شملهم.

وطلع وليم جونز (١٧٤٦ - ١٧٩٤م)، الكاتب البريطاني، لتجسيد الإستراتيجية المعادية للمسلمين، وتمكين أقدام البراهمة في بلاد الهند، وكان له باع طويل في اللغة العربية والفارسية، حضر كولكاتا على طلب من الحكام الإنجليز، وأسس بها مجلس آسيا للبحث والتحقيق في يناير ١٧٨٤م، وتولى مسؤوليته برعاية الإنجليز، وركز عنايته البالغة على جمع كتب الديانة الهندوسية القديمة ونقلها إلى لغات مختلفة، والتف حول مجلس آسيا لفيف من المستشرقين والكتَّاب الهندوس من طبقة البراهمة، وكانت لهم رواتب شهرية وفيرة.

وكان أول مرة في تاريخ الهند أن هؤلاء الكتَّاب جعلوا يرددون في كتاباتهم وخطبهم أن الهندوس في زمن الملوك المسلمين كانوا في محن وشدائد ومحرومين من حقوق حياتهم الأساسية، وهدمت معابدهم وأجبروا على اعتناق الإسلام، وكان الوضع في عصرهم سائداً؛ إما الإسلام وإما القتل والفتك، ومثل هذه الدعايات الفارغة بدأت تثار وتضرم نارها.

أما الإنجليز، فهم رحمة لهم سيقت إليهم، فمن الواجب على الهندوس جميعاً أن

يغتنموا هذه الفرصة المتاحة لاسترداد كرامتهم من أيدي المسلمين الذين اغتصبوا البلاد من الهندوس بالسيوف والخناجر، وهكذا زرع الإنجليز بذرة الفساد في أذهان الهندوس، وتعاونهم البراهمة كتفاً لكتف، فكانوا أصحاب اعتبار وكرامة وتقدير في أعين الإنجليز.

واستمرت سلسلة تواطؤ البراهمة والإنجليز ضد المسلمين إلى أن ثار بركان ثورة ١٨٥٧م، وانقرضت دولة المسلمين برمتها بعد ثمانية قرون تترا، واحتل طغاة بريطانيا الهند مشارقها ومغاربها، فأكثروا فيها الفساد، والمسلمون هم كانوا أشد تعذيباً وإهانة وفتكاً وتحريقاً، ودمرت بيوتهم ومعابدهم ومدارسهم، وتم شنق علمائهم بالمشانق والأشجار حتى لم تبق شجرة في مدينة دلهي إلا وعليها جثة من جثث المسلمين أو جثث عديدة، مر المسلمون بأحلك الأيام وأتعسها، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، لا ملجأ ولا منجأ إلا إلى الله.

هذا من جانب، وفي جانب آخر، إن البراهمة كانوا في ظل ظليل وارف، وراحة ونعيم، والسبب معلوم واضح لأن إشراف الإنجليز يترفرف عليهم، ولم يتنازل هؤلاء الطغاة قيد شعرة عن سياساتهم القديمة «فرِّقْ تَسُدْ»، بل بلغ السيل الزبى وطم الوادي على القرى، وإننا نرى بعد ثورة ١٨٥٧م أفاعي كثيرة تبث سمومها باسم كشف اللثام عن وجه التاريخ، فنجد كثيراً من حملة أقلام الغربيين الذين دبجت يراعتهم كتب التاريخ حول الهند وحضارتها، فإن هؤلاء الخونة ملؤوا كتبهم زوراً وتزييفاً ودعايات مضللة كاذبة، وأثاروا كثيراً من القضايا التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة مثل قضية المسجد البابري ومعبد راما في مدينة أيودهيا، ومن المؤسف الأليم أن كتَّاب الهند من غير المسلمين قد نهجوا على منوال الكتَّاب الأوروبيين بدون استحياء ومراعاة لأمن بلادهم وسلامتها.

ومما سبق القول: إن الإنجليز قد سلبوا الحكومة من المسلمين فكانوا خائفين منهم خوفاً شديداً، وبسبب ذلك ضموا الهندوس إليهم وخاصة البراهمة؛ لكيلا ينهض المسلمون لمقاومة الإنجليز مجدداً، ونلمس وجهاً آخر قد أدى دوراً مهماً في مجال توحيد عباد الآلهة على رصيف واحد باسم هندومت بقيادة حركة الإنجليز والبراهمة المدبرة، وذلك الوجه وجه برهمي يعرف باسم دياننند سرسوتي الذي ولد في كاتهيا وار غجرات عام ١٨٢٤م، وتوفي سنة ١٨٨٣م في مدينة متهرا بولاية أترابراديش، يعتبر دياننند أبا التطرف

بين الهندوس، وقام بإرساء الجذور الفكرية والنظرية للتطرف الهندوسي التي أقام عليها الهندوس المتطرفون بناء إستراتيجياتهم المتطرفة البغيضة، استخدم الإنجليز ديانند أيضاً لأغراضهم في مواجهة المسلمين.

حتى إن هناك معطيات قوية تدل دلالة واضحة على أن حزب المؤتمر الوطني تم تأسيسه بإشارة من الإنجليز بيد موظف رسمي معروف باسم هيوم (Hume) في ٢٨ ديسمبر ١٨٨٥م لصيانة مصالح الهندوس عامة والبراهمة خاصة، كما كتب مؤرخ هندي K M Panikkar في كتابه «Common Sense About India» أن الكونغرس على عموم الهند الذي أقيم عام ١٨٨٥م كان أيضاً حركة هندوسية The Indian National Congress Also A Dominantly. Hindu Movement Founded١٨٨٥

وكان ديانند رجل الفكرة والنظرية، فجند رجالاً حملوا راية فكرته وأيديولوجيته، فكان شردهانند، ولالة لاجبت رائے، وبال غنغا دهر تِلَك، ومدن موهن مالوية وغيرها من أتباعه وحاملين لنظريته، وهم الذين أسسوا المجلس الهندوسي سنة ١٩١٥م، وكان من أعضاء هذا المجلس الهندوسي الشبان هيد غيوار (١٨٨٩-١٩٤٠م) الذي كان مدفوعاً بعاطفة هندوسية، وراضعاً لبن التطرف والعداء للمسلمين.

إطلالة على منظمة «آر.إس.إس»:

«آر.إس.إس» منظمة هندوسية متطرفة إرهابية أسسها هيد غيوار مع رفاقه الأربعة في مدينة ناغفور، في ٢٧ سبتمبر ١٩٢٥م، تهدف المنظمة إلى إحياء الثقافة الهندوسية القديمة مع إحياء اللغة السنسكريتية المقدسة، وجعل الهند دولة هندوسية، وتقوم المنظمة بتقديس السلالة والقوم، ومعنى القوم لدى زعماء المنظمة أن تقدس الثقافة الهندوسية واللغة السنسكريتية والخضوع لأرض البلاد، وبسبب هذا التقييد يخرج المسلمون والمسيحيون واليهود من نطاق القوم.

ويدعي زعماء المنظمة أن الهند أرض الهندوس فقط، كما يقول غول والكر في كتابه الشهير «نحن وقوميتنا»: إن مما لا شك فيه أن الهند أرض الهندوس، وهذه تربة خصبة لنمو الهندوس وترعرعهم وارتقائهم، فما بال أولئك الناس الذين يسكنون فيها، إذ إنهم لا ينتمون إلى سلالة وديانة وثقافة هندوسية، واستطرد قائلاً: إن للعناصر الخارجية

طريقين؛ إما أن تقبل دمج ذاتها في سلالة قومية وتختار ثقافتها، وإما أن تعيش تحت رعاية السلالة القومية إلى مدة رضائها ورغبتها.

ويقول في الكتاب ذاته: إن محبي القوم والوطن الذين يحملون في قلوبهم عواطف تحميد السلالة والدولة الهندوسية، ويبذلون قصارى جهودهم في سبيل نيل هذا الهدف وسواهم إما غدرة، وإما أعداء الدولة أو حمق متجردون عن المخ، والبراهمة الطبقة العليا مؤسسوها ومديروها، كأن المنظمة أسست لتمجيد السلالة الآرية، وتعبيد الآخرين مهما كانت ديانتهم، فتعتبر المنظمة المسلمين والمسيحيين والطبقات السافلة المنبوذة من الهندوس أعداء صرحاء لها، ومن مخططاتها الدقيقة القضاء على الجميع ديانة وحضارة وثقافة ولغة.

وليكن في أذهاننا أن كلمة الهندوس كلمة عامة تشمل كل طبقات الهنادك، ولو أن بعض طبقاتهم تعتبر نفسها خارجة من ديانة هندوسية رائجة، كما لا تعد طبقة آدي واسي نفسها من الهندوس، وهي في مختلف ولايات الهند مائة مليون، وهكذا طبقة لنكايت لا تعتبر نفسها من الهندوس، والبوذيون والسيخ لهم معتقدات تختلف عن معتقدات البراهمة، ويتفق المؤرخون من غير المسلمين على أنه ليست هناك أي ديانة باسم هندو، ولا يوجد أي قوم بهذا الاسم، فمن خلال ذلك يتضح أن البراهمة الذين يشكلون ٤٪ في البلاد كلها قد جعلوا الجميع هندوساً لغرض سياسي، وإحكام نظامهم الجائر، فلم يجتمع الاحتلال والهندوس في مواجهة المسلمين طبق تعبير البراهمة بل أكثرهم منعزلون، وهؤلاء البراهمة الذين اتحدوا مع الاحتلال الإنجليزي لإضعاف المسلمين وتدميرهم وتطهيرهم العرقي.

وكتابُ «غول والكر» (نحن وقوميتنا) الذي سبق ذكره أعلاه هو بمثابة بائبل أو بروتوكولات حكماء صهيون، ومن زعماء هذه المنظمة المشهورين هيدغيوار، وساوركر من مواليد ٢٨ مايو ١٨٨٣م المتوفى في ٢٦ فبراير ١٩٦٦م مؤلف كتاب هندوتفا، وبي إيس مونجے من مواليد ١٢ ديسمبر ١٨٧٢م المتوفي في ٣ مارس ١٩٤٨م، وإنه لقي مونجے مسوليني دكتاتور إيطاليا في ١٩ مارس ١٩٣١م في إيطاليا، وقد تأثر بسذاجته وطموحاته وطبيعته الخشنة، كما ذكر ذلك مونجے في مذكراته، ومن زعمائها البارزين الممتازين غرو

غول والكر من مواليد ١٩ فبراير ١٩٠٦ المتوفى في ٥ يونيو ١٩٧٣م، ومن عملائها أيضاً دين ديال، وشاما برساد مكهرجي، ورجال كثيرون من زعمائها.

وكانت للمنظمة صلات قوية مع الإنجليز قبل استقلال الهند، بل كانت ممتعة بتميزات خاصة من قبل الإنجليز، ولا مساهمة لها في تحرير البلاد، وإنها اختارت طريق الابتعاد عن نشاطات التحرير ومجهوداته، وتمتعت بالقوة العسكرية فتدرب أعضاؤها تدريباً عسكرياً منذ أول يومها.

وإننا نرى هناك أيضاً أن الإنجليز كيف صهروا هذه المنظمة في بوتقة العداء للمسلمين، وأقاموها معهم لسحق حقوق المسلمين وكرامتهم، ونار عدائها لهم تتلظى من يوم تأسيسها، ولم تخمد هذه النار إلى الآن، بل ازدادت مستعرة وملتهبة، وبعد استقلال البلاد معظم الاضطرابات الطائفية قامت بإضرام نارها هذه المنظمة الإرهابية كما تدل إحصائيات الاضطرابات على هذا الجانب ولأعضائها مهارة تامة في التفجيرات بل في صنعها في مختلف الأحجام، وشبكات هذه المنظمة مترامية الأطراف داخل الهند وخارجها، حتى إنها وسعت نطاقها في البلدان الأوروبية والأمريكية والأقطار الإسلامية العربية، فيوجد أعضاؤها النشطاء في البحرين، والكويت، وعُمان، والإمارات، وقطر، وغيرها.

إن «آر إس إس» منظمة إرهابية خطيرة للمسلمين وللإنسانية جمعاء، ومنذ عقدين ماضيين وجدت حليفة قوية وهي «إسرائيل»، فارتفعت هممها ارتفاع السماء، والمسلمون في الهند يواجهون تحديات متنوعة جديدة في مختلف المجالات صباح مساء، ولكنهم يرجون من الله تعالى ما لا يرجون، وإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.

حركة القومية الهندوسية وتغيير الحياة السياسية الهندية

د. ظفر الإسلام خان[1]

الهِندُوتوا «هندوتفا» (القومية الهندوسية) حركة سياسية بدأت قبل نحو قرن بهدف تحقيق حاكمية الهندوس المطلقة في الهند، وقامت هذه الحركة ببث دعايات مكثفة ودعاوى كاذبة منذ حقب طويلة جعلت الغالبية الهندوسية تظن أن حقوقها مهضومة في بلدها، وأن الأقليات قد استحوذت على كل الفرص والخيرات، وأن ديانتها وثقافتها وحتى وجودها في خطر، وخصوصاً من قبل مسلمي الهند الذين لا تتجاوز أعدادهم ١٨٠ مليون نسمة أمام ٩٠٠ مليون هندوسي، وتشن هذه الحركة حرباً مستمرة على مسلمي الهند ومسيحييها باعتبارهم خطراً على أمن وهوية الهند الأصلية.

وقد استغلت هذه الحركة قضية بناء معبد هندوسي مكان المسجد البابري في بلدة إيودهيا منذ منتصف الثمانينيات إلى أن هدمت المسجد البابري في ديسمبر ١٩٩٢م، وباستغلال قضية المعبد تحول حزب الشعب الهندي، الجناح السياسي للحركة الهندوسية،

(1) درس د. ظفر الإسلام خان بجامعات الهند ومصر وبريطانيا، وحصل على الدكتوراه من جامعة مانشستر البريطانية، وعمل بليبيا وبريطانيا والهند، وهو مدير معهد الدراسات الإسلامية والعربية بدهلي، ورئيس تحرير مجلتها العلمية «Muslim & Arab Perspectives»، كما يرأس تحرير جريدة «ميلّي غازيت» .The Milli Gazette (www.milligazette.com)، وقد انتخب رئيساً لمجلس المشاورة الإسلامي لعموم الهند لثلاث فترات، وقد عمل رئيساً لمفوضية الأقليات بدهلي خلال أعوام 2017 – 2020م، وهي هيئة حكومية للمحافظة على حقوق الأقليات، وهو مؤلف ومترجم نحو 50 كتاباً باللغات العربية والأردية والإنجليزية، ومنها كتابه « 1998) «Hijrah in Islam م)، وقد ترجم كتاب «الإسلام يتحدى» (1969م)، وأسهم بـ8 مقالات إلى دائرة المعارف الإسلامية، ونظم نحو 10 ندوات كبيرة بلندن ونيودلهي، منها «الندوة الدولية للحوار بين الإسلام والأديان الشرقية» بدلهي الجديدة، وهو رئيس منظمة «Charity Alliance» الهندية الخيرية، وهو أيضاً معلق على قضايا الإسلام وجنوب آسيا في القنوات التلفزيونية والإذاعية الهندية والأجنبية، وقد كتب هذا البحث بصفته الشخصية.

إلى أكبر الأحزاب الهندية، وقد حكم الهند من عام ١٩٩٩ – ٢٠٠٤م، وهو يحكم الهند حالياً منذ عام ٢٠١٥م.

أحلام النهضة الهندوسية:

«النهضة الهندوسية» حلم راود زعماء الهندوس في القرنين التاسع عشر والعشرين، وظلت هذه الحركة بمختلف أشكالها معادية للمسلمين ومؤيدة للمستعمر الإنجليزي أو على الأقل محايدة بالنسبة له، ولم يعرف عن زعماء الحركة الهندوسية أنهم حاربوا المستعمر الإنجليزي، بل كانوا يسخرون من الذين يعارضون المستعمر ويُقتلون أو يذهبون للسجون خلال ذلك الكفاح، وكانوا يقولون عن أنفسهم: إنهم يستعدون لأمور أكبر من الاستقلال، مشيرين إلى أن هدفهم هو إنشاء دولة هندوسية، وكانوا يرون أن الإنجليز حلفاء لهم في هذه الحركة؛ لأنهم يقضون على نفوذ المسلمين وخصوصاً بعد هزيمة الثورة الكبرى سنة ١٨٥٧م التي صوّروها على أنها كانت محاولة لإعادة الحكم الإسلامي في الهند.

وقد ألف بانكيم تَشنْدرا تشاتَرجِيBankim Chandra Chatterjee (م ١٨٩٤م) رواية بعنوان «آنَنْد مَتْهْ» Anandamath (بيت السعادة، ١٨٨٢م) حول كفاح الهندوس ضد الحكم الإسلامي، وتنتهي هذه الرواية بهزيمة المسلمين، وعندها يطلب قائد الكفاح الهندوسي الإذن من معلمه أن يبدأ الكفاح ضد الإنجليز الذين بدؤوا يسيطرون على أجزاء من الهند، فيأمره المعلم أن يعود إلى أشغاله العادية في الحياة، حيث لا ضرورة لقتال الإنجليز؛ لأن الهندوس سيعيشون في سعادة تحت حكم الإنجليز[1]، وتحتوي الرواية على أغنية «وَنْدِيه ماتَرَم» يعترض عليها المسلمون لأنها تعني عبودية أرض الهند، ولكن يصر غلاة الهندوس على غنائها في كل مناسبة، وهم مستعدون لضرب وقتل من لا يرددها، وتشاترجي هذا

(1) A.G. Noorani, "Vande Mataram: Text in Context," Frontline, 14 Sept., 2018 -- https://www.frontline.in/the-nation/article24802519.ece?homepage=true ; Shyam Sunder, "Vande Mataram: Facts and Fiction," Mainstream, June 2006; Shyam Chand, Vande Mataram: Facts and Fiction,» The Milli Gazette, 1630- Nov. 2009, p. 2; Shamsul Islam, «The History And Politics Of Vande Mataram,» Academia.edu --
https://www.academia.edu/1103050/THE__HISTORY__AND__POLITICS__OF__VANDE__MATARAM__By__Shamsul__Islam__

هو الذي اخترع شعار «الهند الأم» (Mother India) بمعنى أن أرض الهند إلهة من آلهة الهندوس، وقد أصبح هذا الشعار جزءاً من عقيدة الحركة الهندوسية.

والهِنْدُوتوا؛ أي حركة القومية الهندوسية، هي المظهر السياسي والاجتماعي لهذه الحركة التي تهدف إلى إنشاء كيان هندوسي مستقل يرفض الديانات والثقافات غير الهندية التي دخلت الهند وترسخت بها، وخصوصاً الإسلام والمسيحية، ويرى عالم الاجتماع والمؤرخ المعروف رَجْنِى كوتَهارِي أن الهندوس يتكونون من عدد كبير من الأقليات، وهم موزعون على فرق وطوائف وطبقات، ولذلك ليس صحيحاً اعتبار الهندوس «أكثرية» في الهند[1].

وهدف الهِنْدُوتوا هو التغلب على هذا التشرذم وتوحيد الفرق والطوائف الهندية الخالصة تحت مظلة واحدة، على الأقل فيما يتعلق بأهدافها السياسية والثقافية، وترى هذه الحركة أن الهندوس هم أبناء الهند الحقيقيون؛ ولذلك لا بد أن يسودوا الهند سياسياً وثقافياً واجتماعياً وما على الفئات الأخرى مثل المسلمين والمسيحيين إلا أن يقبلوا العيش في الهند كمواطنين من الدرجة الثانية وضيوف يقبلون ما يعطى لهم ولا يطالبون بأي حق، ويمكن القول: إن الهِنْدُوتوا بالنسبة للهندوسية هي كالصهيونية بالنسبة لليهودية، فكلتاهما حركة سياسية عنصرية تدعي العمل لأجل أتباع ديانة معينة، وبسبب هذا التماثل قامت أوثق العلاقات بين الهند و«إسرائيل» منذ وصل أتباع الهِنْدُوتوا إلى سدة الحكم بالهند في أواخر القرن العشرين.

وقد سبقت «آر.إس.إس» حركاتٌ ومنظمات هندوسية كثيرة تبنت فكرة القومية الهندوسية الجامعة ابتداءً من تنظيم «الآرْيا سَماج» (Arya Samaj) (المجتمع الآري، أسّس سنة ١٨٧٥م)، و«الهِندو ماهاسابها» (المؤتمر الهندوسي الكبير، أسس سنة ١٩١٥م).

وقد قام د. هيدغيوار (Hedgewar) (م: ١٩٤٠م)، أحد منظِّري الحركة الهندوسية، وزعماء «آر.إس.إس»، باختراع مصطلح «هِنْدُوتْوَا» (Hindutva)؛ أي الهندوية أو الهندوسية السياسية، كمسمى لهذه الحركة، وذلك في كتابه «هِندُوتْوا» (Hindutva) المنشور سنة

(1) Rajni Kothari in Iqbal A Ansari (ed.), Readings on minorities, Delhi, Institute of Objective Studies, 1996, pp.1/36f.

١٩٢٣م، وقام بتنظيرها غولْوالْكَر في كتابه «We or Our Nationhood Defined»، المنشور لأول مرة سنة ١٩٣٩م، وهو يعتبر الكتاب المقدس لهذه الحركة.

أصول الحركة الهندوسية السياسية:

تعود أصول هذه الحركة إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حين قرر الإنجليز العمل على توسيع الهوة بين المسلمين والهندوس بعد القضاء على ثورة ١٨٥٧م التي اشترك فيها المسلمون والهندوس على حد سواء لإسقاط الحكم الاستعماري الإنجليزي، وبعد إخماد تلك الثورة، وعملاً بمبدأ «فرِّق تسد» حين أيقن الإنجليز أن حكمهم لن يستقر ما دام المسلمون والهندوس متحدين، قرروا تشجيع جماعات وأفراد من الطائفتين لإثارة الحقد والكراهية ضد الطائفة الأخرى، وهكذا تبنى بعض الإنجليز بعض الهندوس، بينما تبنى البعض الآخر منهم بعض المسلمين، وعمد الإنجليز إلى وضع تاريخ مزيف للهند يصف قرون الحكم الإسلامي بالهمجية والتعسف والظلم في حق الهندوس، وشجع الإنجليز جماعات هندوسية أخذت تثير الكراهية ضد المسلمين مثل حركة «الآريا سَماج».

«التطهير» أهم برامج الحركة الهندوسية:

كان أهم جزء من برنامج الحركة الهندوسية منذ نشأته، ولا يزال، هو ما يسمونه «شُودِّهي» (Shuddhi) (التطهير)؛ أي إعادة الملايين من الهنود الذين اعتنقوا الإسلام أو المسيحية عبر العصور إلى حظيرة الهندوسية؛ لأن أجدادهم كانوا هندوساً، وعلى أحفادهم أن يعودوا إلى دين آبائهم، وكانت منظمة «الآريا سماج» تركز على هذا البرنامج، وقد وقعت مواجهات عنيفة بين أتباع هذه الحركة والمسلمين في أوائل القرن العشرين، وبما أن هؤلاء كانوا ولا يزالون يركزون على المسلمين الأميين وعلى سكان المناطق المتخلفة والنائية لحملهم على الارتداد، فقامت «حركة التبليغ» الإسلامية سنة ١٩٢٧م لتعليم المسلمين الأميين مبادئ الدين الحنيف، وقد أصبحت بمرور الزمن حركة عالمية.

ونشاط الهندكة؛ أي تحويل المسلمين والمسحيين والقبليين إلى الهندوسية مستمر على قدم وساق في المناطق المتخلفة والأرياف على أيدي مبلغي «آر.إس.إس»، وخصوصاً بعد وصولهم إلى السلطة قبل عقدين من الزمان.

فرض اللغة «الهندية» على حساب الأردية:

من أهم إنجـازات الحركة الهندوسية فرض اللغة «الهندية» (Hindi)، التي تكتب بحروف «دِيوناغَرِي» الهندية، زاعمين أنها لغة الهندوس، بينما وصفوا «الأردية» الشائعة آنذاك على المستوى الشعبي والرسمي –وهي الأخرى لغة هندية ولكنها تكتب بالحروف العربية– فقالوا: إنها «لغة المسلمين»، وهكذا جرى تهميش اللغة الأردية السائدة حتى الاستقلال، وهذا رغم أن أصل اللغتين واحد وهما لا تختلفان في المحادثة العادية إلا عند إدخال الهندوسي كلمات سنسكريتية في حديثه وإدخال المسلم كلمات فارسية وعربية في حديثه بنفس اللغة الواحدة؛ أي أن النسيج العام مشترك بين اللغتين، وكلتاهما لغة هندية أصيلة، وكان زعماء حزب المؤتمر يقولون قبل الاستقلال: إن «الهِندُوسْتانية» ستكون لغة الهند الرسمية التي ستكتب بالحروف العربية والديوناغرية معاً، إلا أنهم تنكروا لهذا الوعد بعد الاستقلال وفرضوا اللغة الهندية بالحروف الديوناغرية وحدها كلغة الهند الرسمية.

ظهور «آر.إس.إس»:

في سنة ١٩٢٥م ظهرت من بطن حركات النهضة الهندوسية منظمة «راشتريا سُوايَم سِيواك سَنغ» (Rashtriya Suwayam Sewak Sangh) (منظمة الخدمة الذاتية القومية) التي تعرف بحروفها الأولى «آر.إس.إس» (RSS)، وهي حركة شبه عسكرية قامت بتأثير الحركتين النازية والفاشية، وقد اقتبست منهما أفكارها حول النقاء الجنسي والفلسفة السياسية، وحتى ملابس أعضائها ونظامها وتدريباتها تحاكي النازية والفاشية، وقد سافر زعماء حركة «آر.إس.إس» غير مرة إلى ألمانيا وإيطاليا خلال العهد النازي والفاشي، حيث التقوا بزعمائها ودرسوا أساليبها وعادوا لتطبيقها في الهند[1]، وهم لا يخفون في أدبياتهم الأولية هذه الحقيقة، فقد كتب غولوالكر، منظِّر «آر.إس.إس» ورئيسها خلال سنوات ١٩٤٠ – ١٩٧٣، في كتابه «نحن أو قوميتنا المحَّددة» (We or Our Nationhood Defined) المنشور لأول مرة سنة ١٩٣٩م بكل صراحة:

الفخر العرقي الألماني والحفاظ على نقاء العرق وثقافته هو حديث الساعة الآن، وقد

(1) انظر للتفصيل: Maria Casolari، In the Shade of Swastika، Bologna (Italy) 2011

صدم الألمان العالم بتطهير بلادهم من العروق السامية أي اليهود، لقد تم إظهار الفخر العرقي بأعلى أشكاله هنا، وقد أظهرت ألمانيا أنه من المستحيل تماماً أن تُدمَج في وحدة واحدة عروقٌ وثقافات تختلف عن بعضها حتى النخاع، وهو درس جيد، علينا في الهند أن نتعلمه وأن نستفيد به[1].

إحدى تجمعات «آر إس إس» حاملة العصي ورياتها الزعفرانية

وحري بالذكر هنا أن زعماء الحركة الهندوسية يرون أن الطبقات العليا من الهندوس هم «آريون» نزحوا من أوروبا قبل نحو ثلاثة آلاف سنة، وأنهم أبناء عمومة الألمان الذين هم أيضاً يعتقدون أنهم «آريون»، ويستخدم كل من النازيين وغلاة الهندوس علامة الصليب المعكوف أو«السواستيكا» (卐) كشعار، والجدير بالذكر أن منظمتين فقط باقيتان إلى اليوم من المنظمات التي قامت بتأثير النازية والفاشية؛ وهما منظمة «آر.إس.إس» في الهند، ومنظمة «الكتائب» في لبنان.

ولم تشترك الحركة الهندوسية بتاتا في حركة التحرير التي كان الهنود يشنونها

(1) M.S. Golwalkar، We Or Our Nationhood Defined، Bharat Prakashan، Nagpur، 1939، p.35 (republished in Shamsul-Islam (ed.)،Golwalkar's We Or Our Nationhood Define – A Critique، Phaors Media، Delhi، 2006)

آنذاك ضد الاستعمار الإنجليزي، بل كانوا يعتبرونها مضيعة للوقت، وكانوا يقولون لأعضاء الحركة: إنه لا ينبغي أن نضيع جهودنا في معارك جانبية، وعلينا أن نركز أنفسنا على المعركة الكبرى؛ وهي إقامة الدولة الهندوسية في الهند[1]، وحتى نشطاء الحركة الهندوسية الذين شاركوا في حرب التحرير بصورة فردية، مثل ساوَركار وأتال بيهاري واجبائي، فقد خرجوا من السجن بعد تقديم طلبات العفو للإنجليز.

وبعد الاستقلال سنة ١٩٤٧م لم تقبل هذه الحركة بالتوجهات العلمانية والديمقراطية التي كانت حكومة الهند المستقلة تنتهجها برئاسة جواهرلال نهرو التي كان أبوها الروحي هو المهاتما غاندي، وكان زعماء الحركة الهندوسية يعتبرون غاندي مسؤولاً عن التقسيم وحماية مسلمي الهند وقيام دولة علمانية في الهند والتخاذل أمام باكستان، فقتله أحد أعضاء هذه الحركة وهو ناتُهوْ رام غُودْسِيه (Nathu Ram Godse) في ٢٨ يناير ١٩٤٨م، وقد أعدم غودسيه بعد محاكمة، إلا أن ساوَرْكَر، المهندس الحقيقي لمؤامرة الاغتيال وزعيم «آر.إس.إس»، فلم يعدم لعدم ثبوت دوره في المؤامرة أمام المحكمة.

وتم حظر «آر.إس.إس» للمرة الأولى في فبراير ١٩٤٨م، وألغي الخطر في يوليو ١٩٤٩م بعد أن طلبت المنظمة العفو عنها ووضعت دستوراً لها، وأكدت للحكومة أنها منذ الآن فصاعداً ستكون منظمة «ثقافية» لا دور لها في السياسة.

ولكن الحقيقة هي أن «آر.إس.إس» لم تفِ بهذا الوعد ولو يوماً واحداً، وهي منذئذ دأبت على إنشاء عشرات من المنظمات الفرعية المتخصصة لكل ميدان من ميادين الحياة مثل العمل السياسي، والفلاحين، والعمال، والطلبة، والنشر، والقبليين، والعمل الجماهيري، والعمل المسلح، والعمل الديني، ورجال الجيش المتقاعدين، وتدوين التاريخ، وإدارة المدارس ووضع الكتب المدرسية.. إلخ.

وكان إنشاء هذه الفروع وفق إستراتيجية تقول: إنه لو تم حظر المنظمة في المستقبل، فهذه المنظمات الفرعية المستقلة ستظل تؤدي دورها، إذ سيكون صعباً على الحكومة أن تحظر كل هذه المنظمات، وكان تخمين المنظمة صحيحاً إذ تم حظرها مرتين بعد ذلك،

(1) Shamsul Islam. «EVERYDAY AGNIPRIKSHA (TRIAL BY FIRE) OF UP MADRASAAS TO PROVE PATRIOTISM: HINDUTVA ATTACK MUST BE FACED INNOVATIVELY» -- https://www.academia.edu/34266536/

والمرة الثانية كانت خلال حكم الطوارئ في عهد إنديرا غاندي (١٩٧٧م)، والمرة الثالثة كانت سنة ١٩٩٢م بعد تورط عناصرها في هدم المسجد البابري يوم ٦ ديسمبر ١٩٩٢م، وكلما وقعت منظمة فرعية من هذه المنظمات أو فرد من أفرادها في مشكلة مع الدولة أو القانون تدعي «آر.إس.إس» أنها لا شأن لها بتلك المنظمة أو ذلك الفرد، رغم أنه معروف ومعهود أن عناصر «آر.إس.إس» ممن يسمونه «Parcharak» (المبلِّغ)، يتم إعارتهم لإدارة هذه المنظمات ومنهم ناريندار مودي، رئيس الوزراء الهندي الحالي.

وعلى مر الزمن، أصبحت منظمة «آر.إس.إس» أكبر منظمة هندوسية مع بقاء منظمات صغيرة أخرى تعمل لنفس الهدف، ولكن تختلف مع «آر.إس.إس» حول الأسلوب أو الأولويات، أو أنها تعتبر «آر.إس.إس» متراخية، ومن هذه المنظمات «آريا سَماج»، و«هِندُو ماها سابها»، و«سناتَنْ سَنْسْتَها»، و«هِندو مُوناني»، وحزب «شِيو سِينا».. وغيرها كثير.

ومن فروع «آر.إس.إس» حزب الجان سانغ (تأسس سنة ١٩٥١م)، وحزب الشعب الهندي (تأسس سنة ١٩٨٠م)، والوِيشوا هِنْدو بارِيشاد (المنظمة الهندوسية العالمية، تأسست سنة ١٩٦٤م)، وجناحها المسلح الشبابي باجرانغ دال (جيش باجرانغ) للشباب ودُورْغا واهْني (جيش دورغا) للشابات.. إلخ، ويبقى حزب الشعب الهندي أكبر هذه المنظمات نفوذاً وتأثيراً بسبب دوره السياسي على مساحة واسعة في البلاد، وهو يحكم الهند حالياً منذ مايو ٢٠١٤م بعد أن أحرز الأكثرية في البرلمان لأول مرة، ثم فاز في انتخابات ٢٠١٩ مرة أخرى بأغلبية أكبر، وهذا قد سهّل كثيراً تنفيذ برامج «آر.إس.إس» باستخدام أجهزة الدولة.

«الأخطار» الثلاثة في نظر الهندوتوا:

ترى الحركة الهندوسية أن ثلاثة «أخطار داخلية» تواجه الهندوس أو الهند[1]، أولها المسلمون.

(١) حسب تصريح زعيم «آر. إس. إس» غولوالكر في الباب الثاني عشر من كتابه «باكورة أفكار» Golwalkar، Bunch of Thoughts،

A. G. Noorani، "RSS and Christians،" Frontline، 15:26، 19 Dec.، 1998– 1 Jan.، 1999 –– https://frontline.thehindu.com/static/html/fl152615261230/.htm

والمصدر الثاني للخطر في رأي الحركة الهندوسية يأتي من المسيحيين ومؤسساتهم التعليمية والطبية والاجتماعية، وقد بدأت المنظمات الهندوسية المتطرفة تهاجم المسيحيين ومؤسساتهم وكنائسهم منذ أوائل سبعينيات القرن الماضي، وكثرت الهجمات على الكنائس والمؤسسات المسيحية عقب مجيء مودي للحكم سنة ٢٠١٤م، ولكنها سرعان ما توقفت بعد تدخل الدول الغربية.

والمصدر الثالث للخطر في نظر القومية الهندوسية يأتي من الشيوعية، والصراع والاشتباكات بين الشيوعيين وحركة التطرف الهندوسي معروف بصورة خاصة في ولايتَي كيرالا وبَنْغال الغربية، حيث يوجد عدد كبير من الشيوعيين الذين حكموا الولايتين لبعض الوقت.

ومشكلة الهندوسية مع الإسلام تكمن في أن الإسلام لم يقبل الانصهار والاندماج في الهندوسية، كما يقول أشوك رُودْرا، الأستاذ بجامعة بومباي:

السبب في ٧٠٠ سنة من الحقد وعدم التسامح مع الإسلام يعود إلى فشل البرهمية في ابتلاع الإسلام بالهند، ولو كان الإسلام قد قبل بالانصهار لكانت البرهمية قد قبلت به بكل سعادة كجزء من البيت الهندوسي[١].

تقول «آر.إس.إس» عن هذه «الأخطار الثلاثة»: إلى أن يغير هؤلاء أسلوب فكرهم وينصهروا تماماً في الثقافة الهندوسية لن يتم قبولهم كهنود، بل سيظلون «ضيوفاً» ولن تكون لهم حقوق خاصة.. «آر.إس.إس» لا تكون صريحة حول هذه الأفكار في أدبياتها باللغة الإنجليزية، ولكنها لا تخفي شيئاً في كتاباتها ومنشوراتها باللغة الهندية، حيث يصفون المسلمين بـ«الأفاعي الأجنبية» (Yawan saanp)[٢]، ويتم مهاجمة حتى الهندوس من ليبراليين وعلمانيين ومتغربين بهذا الأسلوب الشديد في أدبيات «آر.إس.إس» باللغة الهندية[٣].

و«آر.إس.إس» تقلد الفكرة الإسلامية عن الأمة الواحدة لصهر الهندوس في أمة

(1) Sebastian Vempney، Minorities in contemporary India، Delhi، Kanishka، 2003، p. 305

(2) Haris Basheer، Aar Ess Ess- ek mutala'ah {«RSS-a study،» in Urdu} (Delhi: Cosmos، 2003)، p. 70

(٣) عن فلسفة منظمة «آر.إس.إس»، انظر كتاب منظِّرها غولوالكر: Golwalkar،Bunch of Thoughts، 1966

واحدة، وهي تحاكي أمنية وِيوِيكانَنْدا (Vivekananda) (م: ١٩٠٢م) القائلة بتشكيل أمة هندوسية واحدة تقوم على جسد إسلامي وفلسفة الأدويتا (Advaita) (الثنائية) أي وحدة الوجود ومعرفة الذات التي تؤمن بأن الخلاص يمكن الحصول عليه في هذه الحياة نفسها.

التخويف من المسلمين:

والنعرة المفضلة عند زعماء الحركة الهندوسية هي أن «الهندوسية في خطر»، وهم لا يكلّون عن الترديد أن المسلمين سيصبحون أكثرية في البلاد في المستقبل القريب، وأن المسلمين يستحوذون على كل تسهيلات الحكومة على حساب الهندوس.. والهندوس السذج يؤمنون بهذه الأكاذيب ويردّدونها، رغم أن الأبحاث العلمية قد أكدت زيف هذه الأكاذيب، فالحقيقة المعيشة هي أن الهندوس يحتكرون كل جوانب الحياة في الهند من سياسية وبيروقراطية واقتصادية وإعلامية وشرطة وجيش ومخابرات.. إلخ.

وقد كتب فِينود مِهْتا، أحد الصحفيين الهنود البارزين، يقول قبل سنوات: لا تخطئ! فرغم كل الدعاية المنشورة، الحكم الهندوسي للهند كامل ومطلق، هم بلا منازعة السادة لكل قوى الشعب السياسية والاقتصادية والعسكرية في الهند.. والهندوس يهيمنون ليس فقط لأنهم يمثلون ٨٠٪ من السكان، بل لأنهم قد استحوذوا على كل المفاتيح اللازمة لحكم دولة ذات سيادة، فمن هو المضطهِد ومن هو ضحية الاضطهاد؟ لقد تم تحويل مسلمي الهند إلى مواطنين من الدرجة الثانية، وهم لن يمثلوا تحدياً للذين يمسكون بزمام السيطرة على الدولة بقوة، ليس للهندوس أن يخافوا من شيء سوى الأساطير التي يختلقها الهندوس عن أنفسهم[1].

توحيد الهندوس المشتتين:

تهدف منظمة «آر.إس.إس» إلى توحيد الهندوس متغلبة على الطوائف والطبقية المترسخة بين الهندوس، وأيضاً متجاهلة المعتقدات الدينية الهندوسية المتصادمة ببعضها، إذ إن المعتقدات الدينية الهندوسية قائمة على الإيمان بعدد لا يحصى من الآلهة وعبادة

(1) Vinod Mehta، Sunday Magazine، Calcutta، 16 December 1990 – reproduced in Muslim & Arab Perspectives، 2:41995) 7–) pp. 136f.

أصنامها، ولكنها تحتضن في حظيرتها حتى الملحدين الذين ينكرون الآلهة ولا يعبدون الأصنام ولكن يشاركونها ثقافياً واجتماعياً.

ولجمع الهندوس على كلمة واحدة، اختارت منظمة «آر.إس.إس» ثلاثة أركان رئيسة؛ أولاً: الوحدة الجغرافية، ثانياً: الأصول العرقية المشتركة، ثالثاً: الثقافة المشتركة، وكل من يشترك في هذه الأركان الثلاثة فهو «هندوسي».

واختارت منظمة «آر.إس.إس» الانضباط لتحقيق هذا الهدف، فبدأت تعقد اجتماعات يومية في الصباح الباكر، تعرف بـ«شاخا» (القسم أو الفرع)، حيث يتجمع أعضاء المنظمة لأداء التمارين الجسدية وتعلم كيفية استخدام العصي ولتلقي التعليم الأيديولوجي، واختارت المنظمة العلَم الأصفر أو الزعفراني علَماً لها وللهند سنة ١٩٢٧م، وهي لم تعترف بالعلم الهندي ذي الألوان الثلاثة إلا سنة ٢٠٠٢م.

انضمام «آر.إس.إس» إلى المجرى السياسي العام:

لم تكن «آر.إس.إس» جزءاً من المجرى العام للحياة أو السياسة الهندية حتى منتصف السبعينيات من القرن الماضي، وهي أخذت فرصتها الكبيرة بعد موت رئيس الوزراء جواهر لال نهرو سنة ١٩٦٤م، وكان نهرو يقف سداً منيعاً ضد توسع نفوذها، وكان يدرك مخاطر طائفية «الأكثرية» وحذر منها غير مرة، وكان يقول: «طائفية كلتي الطائفتين خطيرة، ولكن طائفية الأكثرية أخطر لأنها تتقمص صورة الوطنية وتقضي على الديمقراطية، بينما طائفية الأقلية في أسوأ صورها ستبدو أنها انفصالية»[1].

خلال حكم الطوارئ (١٩٧٧م) تم اعتقال عدد كبير من زعماء «آر.إس.إس»، وهذا هز الحركة كثيراً، وهنا لجأت المنظمة إلى أسلوبها القديم مع الإنجليز، فكتب رئيسها آنذاك بالا صاحب ديورَس من السجن لرئيسة الوزراء إنديرا غاندي يطلب منها العفو والصفح قائلاً: إنه لو رفع الحظر عن المنظمة وأفرج عن أعضائها من السجن فحركته «ستكون تحت تصرف الحكومة للنهوض بالأمة»[2]، ولكنها سرعان ما انضمت إلى المعارضة وساهمت في

(1) Ram Puniyani. «Nature of Threat to Indian Democracy.» Countercurrents.org. 8 September. 2008 -- https://www.countercurrents.org/puniyani080908.htm

(2) Arvind Rajagopal. «The Emergency and the Sangh». The Hindu . 13 June 2003

إسقاط حكومة إنديرا غاندي، وانضم حزب «الجان سانغ»، جناح «آر.إس.إس» السياسي، إلى التحالف الجديد الذي ظهر باسم حزب الشعب (جاناتا)، ولكن أُجبر زعماء «الجان سانغ» على الخروج من «حزب الشعب» سنة ١٩٨٠م فكوّنوا حزباً جديداً باسم «حزب الشعب الهندي» الذي رفع شعار «الاشتراكية الغاندية» (Gandhian socialism) بعد أن كان «الجان سانغ» يطالب سابقاً بإقامة النظام الرأسمالي على الطراز الأمريكي.

وتمكن حزب الشعب الهندي من الفوز كأكبر حزب في ولاية كوجرات سنة ١٩٩٥م، ولا يزال هذا الحزب يحكم هذه الولاية منذئذ، وهي الولاية التي شهدت أبشع اضطرابات طائفية بالهند في فبراير ٢٠٠٢م قتل خلالها نحو ثلاثة آلاف مسلم، ودمرت أملاك المسلمين بمليارات الروبيات، وكان كبير وزراء الولاية آنذاك هو نارييندرا مودي الذي يتقلد منصب رئيس وزراء الهند حالياً، وهو متهم بالتواطؤ في تلك الاضطرابات، وبأنه أمر الشرطة بألا تتدخل، وأن تسمح للهندوس بحرية العمل لمدة يومين في أعقاب مقتل بعض الهندوس في حادث حريق بعربة قطار، اتُّهم المسلمون بأنهم كانوا مسؤولين عن الحريق، ورغم أن هذا الاتهام لم يتم إثباته قطعياً حتى الآن، ولكن الحادث كان كافياً للانقضاض على المسلمين في مختلف أنحاء ولاية كوجرات وحرقهم وذبحهم وتدمير ممتلكاتهم ونهب محلاتهم وبيوتهم، وجرى هذا بكل حرية لأسابيع، ولاحقاً قامت حكومة مودي بحماية المجرمين وتبرئة من تم اعتقاله وسجنه، كما تم معاقبة المسؤولين والضباط الذين لم ينفذوا الأوامر أو كشفوا الأسرار.

منظر من اضطرابات كوجرات عام ٢٠٠٢م حين كان مودي كبير وزراء تلك الولاية وهي تعتبر مفخرة له في نظر الحركة الهندوسية القومية

وخلال اضطرابات عام ٢٠٠٢م جرى إخراج المسلمين من مئات من قرى كوجرات، وكتب على مداخلها «الدولة الهندوسية»، ولم يسمح لنحو مائة ألف من النازحين المسلمين من العودة إلى بيوتهم وأملاكم في الأرياف، وهم لا يزالون يعيشون في أكواخ ومخيمات في ضواحي المدن في كوجرات مثل أحمد آباد، بينما تم التلاعب بالنظام القضائي ابتداء من تزوير تقارير وبلاغات الشرطة وعدم تسجيل القضايا، إلى الضغط على المحاكم؛ فأفلت من العقاب غالبية المجرمين في هذه الاضطرابات رغم توافر كل الأدلة، وبعدها تم تهميش مسلمي كوجرات تماماً، فلم ينتخب أحد منهم في انتخابات المجلس التشريعي بالولاية، رغم أن نسبة المسلمين في كوجرات تبلغ ١٠٪، كما تم إقامة الجدران في بعض أحياء مدن كوجرات لفصل المسلمين عن الهندوس، ويتم مقاطعة المسلمين اجتماعياً واقتصادياً في بعض مناطق كوجرات، ويصف زعماء حزب الشعب الهندي هذه التجربة بـ «موديل كوجرات» (Gujarat Model)، وهم يهددون من وقت لآخر بتعميمه في كل أنحاء

الهند ويذكّرون المسلمين متسائلين: «هل نسيتم كوجرات؟».

وظل نارندرا مودي ممنوعاً من السفر إلى الدول الأوروبية والولايات المتحدة بسبب دوره في هذه الاضطرابات، ولم يرفع الحظر إلا حين أصبح رئيس وزراء الهند في مايو ٢٠١٤م.

«آر.إس.إس» ومؤيدو الحركة الهندوسية القومية مسؤولون عن آلاف الاضطرابات الطائفية التي بدأت قبل الاستقلال، وهي لا تزال مستمرة مستهدفةً مسلمي الهند بصورة خاصة لكسر شوكتهم السياسية والاقتصادية، وطردهم من بيوتهم وأراضيهم، كما جرى عقب اضطرابات عدة، مثل كوجرات (٢٠٠٢م)، وبودو لاند في آسام (٢٠١٢م)، ومظفَّر ناغار (٢٠١٣م)[1].

ومنها اضطرابات تريبورا التي وقعت في نهاية أكتوبر ٢٠٢١م في ولاية تريبورا بشمال شرق الهند التي تم خلالها إلحاق الأضرار بـ١٦ مسجداً، وحرق ثلاثة مساجد، ونهب وحرق بيوت ومحلات تجارية تابعة للمسلمين خلال ٢٧ حادث اعتداء عبر عدة

(١) ليس هنا مجال لذكر الاضطرابات الطائفية ضد المسلمين بصورة عامة بتفصيل التي قد وقعت بالآلاف منذ الاستقلال سنة ١٩٤٧م، ويمكن الرجوع إلى بعض المراجع الآتية:

Irfan Engineer. Issues of Communal Violence: Causes and Responses. Mumbai. Institute for Peace Studies and Conflict Resolution. 2013:

Paul R. Brass. The Production of Hindu–Muslim Violence in Contemporary India. University of Washington Press. 2003:

India Policy Institute. «Communal riots in India: A Sketch of History and Causes.» January 2004 –– www.indiapolicy.sabhlokcity.com/… /Ibs–comm–notes.doc:

L.S. Hardenia. Sampradayik Dangon ka Sach. Delhi. Bhartiya Gyan Vigyan Samiti. 2012:

Ward Berenschot. «Riot Politics: Hindu–Muslim Violence and the Indian State.» in Meena Menon (ed.). Riots and after in Mumbai: chronicles of truth and reconciliation. Delhi. Sage Publications. 2012:

Bipan Chandra. Communalism in Modern India. New Delhi: Vikas. 1984:

MJ Akbar. Riot After Riot. New Delhi. Penguin Books India Pvt Ltd. 1989:

Omar Khalidi. Khaki and the Ethnic Violence in India: Army. Police and Paramilitary Forces during communal riots. Three Essays Collective. New Delhi. 2003:

Vibhuti Narain Rai (ed.). Communal Conflicts––Perception of

Police Neutrality During Hindu–Muslim Riots in India. Renaissance Publishing House. New Delhi. 1998.

وقد بدأنا وضع سجل وثائقي عن هذه الاضطرابات وقد جرى بالفعل إعداد تقرير مفصل عن اضطرابات سنة ٢٠١٨م وسينشر قريباً وستليه تقارير كل سنة لاحقاً (ظ.إ.خ.).

أيام، وقد بدأت الاضطرابات حين خرجت مظاهرة هندوسية تضم عشرة آلاف شخص رفعوا شعارات ضد المسلمين وسبّوا الرسول الكريم، وانفجرت أعمال العنف فور انتهاء هذه المظاهرة، وحين بدأت أخبار هذه الاضطرابات تُنشَر في الهند وعبر العالم أنكرت شرطة تريبورا أن يكون شيء كهذا قد حدث في الولاية، بل وأخذت ترفع القضايا ضد صحفيين وناشطي حقوق الإنسان بتهمة الإرهاب ونشر أخبار ملفقة والإساءة إلى الأمن، وبلغ بشرطة تريبورا أن سجلت قضايا ضد ١٠٢ من الصحفيين وناشطي حقوق الإنسان (ومنهم كاتب هذه السطور)، وكتبت إلى شركة «تويتر» بأن تلغي حسابات هؤلاء على «تويتر»، ولكنها لم تستجب لهذا الطلب.

صورة من تدمير أملاك المسلمين في تريبورا (بي بي سي)

صورة من تدمير مسجد في تريبورا (الجزيرة)

صورة من نهب وتدمير متجر لمسلم في تريبورا (الجزيرة)

صورة من حرق بيوت المسلمين في تريبورا (موقع Siasat)

حزب الشعب الهندي يصبح جزءاً من السياسة الهندية:

حزب «الجان سانغ» (Jan Sangh)، رغم كل جهود «آر.إس.إس»، لم يستطع إحراز أكثر من مقعدين في البرلمان الهندي (من مجموع ٥٤٣ مقعداً)، فقد ظل على هامش السياسة الهندية، وجاءته الفرصة الكبيرة حين اتحدت أحزاب المعارضة ضد حزب المؤتمر الذي كانت إنديرا غاندي تقوده، وذلك عقب إعلانها حكم الطوارئ في سنة ١٩٧٥م، فانضم حزب الجان سانغ إلى «حزب جاناتا» (حزب الشعب) الذي تكون بانضمام عدد من أحزاب المعارضة، وفاز هذا الحزب الجديد في أول انتخابات أجريت في الهند بعد رفع حكم الطوارئ في سنة ١٩٧٧م، وتولى زعيمان من زعماء الجان سانغ، وهما أتال بيهاري واجباي، ولال كريشان أدواني، مناصبَ في حكومة حزب الشعب، فقد تولى

أولهما منصب وزارة الخارجية، بينما تولى الثاني منصب وزارة الإعلام، وكانت هذه فرصة كبيرة لعناصر الحزب كي تندس في المناصب الحكومية والجهاز البيروقراطي والشرطة والمخابرات والإعلام، وهذه العناصر تعمل ليل نهار للإضرار بالمسلمين وخدمة أهداف الحركة الهندوسية.

وسرعان ما أثيرت اعتراضات داخل حزب جاناتا ضد الزعماء الذين جاؤوا من حزب «الجان سانغ»؛ لأن هذا الحزب رغم انضمامه إلى حزب جاناتا ظل يمارس نشاطه كحزب وتيار منفصل، وطولب زعماء حزب الجان سانغ بأن يحلوا حزبهم بصورة كاملة ويصبحوا جزءاً لا يتجزأ من حزب جاناتا؛ فرفضوا، وهكذا تم طردهم من حزب جاناتا الحاكم آنذاك؛ فخرجوا وأسسوا حزب بهاراتيا جاناتا (حزب الشعب الهندي).

انتعاش الحركة الهندوسية:

وقد انتعشت الحركة الهندوسية عقب الضجة التي أثيرت نتيجة إسلام ١٨١ أسرة من المنبوذين الهندوس في قرية ميناكشي بورام بولاية تاميل نادو بجنوب الهند سنة ١٩٨١م، فبدأ زعماء الهندوس يحتجون قائلين منذئذ: إن أموال الخليج تستخدم لحمل الهندوس على اعتناق الإسلام، وسمي هذا بـ«رد الفعل الهندوسي» (Hindu backlash)، وقد أظهرت إنديرا غاندي، رئيسة الوزراء آنذاك، ميلها إلى هذه الحركة، وطلبت من زعمائها الذين زاروها تهيئة الرأي العام للتمكن من اتخاذ خطوات لوقف هذه التطورات، وبتشجيع منها أنشئ «وِيرات هِنْدو سَمّيلان» (المؤتمر الهندوسي العالمي) للدفاع عن مصالح الهندوس في ستمبر ١٩٨١م تحت رعاية كَرَن سينغ، أحد كبار زعماء حزب المؤتمر، الذي شغل مناصب وزارية غير مرة، وهذه المنظمة أصبحت لاحقاً جزءاً من «المنظمة الهندوسية العالمية» (Vishwa Hindu Parishad)، التابعة لـ «آر. إس. إس»، التي قادت منذئذ حركة تحويل المسجد البابري إلى معبد هندوسي، وهي نشيطة في نشر الحقد على الإسلام والمسلمين كجزء أساسي من برنامجها.

اكتشاف حزب الشعب الهندي قضيةَ المعبد:

ظل حزب الشعب الهندي حزباً هامشياً إلى أن اكتشف في منتصف الثمانينيات قضية عاطفية وهي الادعاء بأن المسجد البابري (الذي أنشأه أحد جنرالات الإمبراطور

المغولي بابَر سنة ١٥٢٧م) في بلدة أيودهيا بشمال الهند يقوم على مسقط رأس «راما»، أحد آلهة الهندوس الأسطوريين، ولذلك لا بد من هدمه وإنشاء معبد راما مكانه، هذا رغم وجود تسعة معابد في نفس البلدة تدعي أنها تقوم على مسقط رأس راما، وكانت هذه الحركة موجودة في الهند منذ سنة ١٨٥٤م، وقد فشلت محاولات الهندوس خلال الحكم البريطاني لاستعادة المسجد البابري بالقوة أو عن طريق القضاء، إلى أن جاء الاستقلال في أغسطس ١٩٤٧م، وخلال ليلة ٢٢-٢٣ ديسمبر ١٩٤٩م، تسلق بعض الهندوس جدران المسجد في جوف الليل ووضعوا تماثيل «راما» على منبر المسجد وفي محرابه، وفي الصباح حين وصل الإمام منعوه من إقامة صلاة الفجر، وبدؤوا ينشرون أن تماثيل «راما» ظهرت بمعجزة فيما سموه «مسقط رأس راما» (رام جَنَمْ بُهومِى)، وقام حاكم المديرية، الذي كان متواطئاً مع المتآمرين، بوضع قفل على باب المسجد مع السماح لكاهن هندوسي بدخوله من باب خلفي لإقامة الطقوس كل يوم منذئذ.

وتم تسجيل قضية في محكمة محلية، وظلت القضية، على غرار سنّة المحاكم في الهند، تسير ببطء شديد، ولم يكن قد صدر أي قرار قضائي حين اكتشف حزب الشعب الهندي هذه القضية، بعد نحو ٢٥ سنة من وضع الأصنام في المسجد، وقرر استغلاله كمفتاح للوصول إلى سدة الحكم.

وفي يوليو ١٩٨٤م أنشأت «آر.إس.إس» منظمة «تحرير مسقط رأس راما» (Ramjanambhoomi Mukti Yagya Samiti) لتحرير موقع المسجد البابري، فبدأ نشاط مكثف في كل أنحاء الهند لعبادة الطوب المخصص لبناء المعبد وإرسالها من كل قرية إلى مدينة أيودهيا، فجاءت أكوام الطوب والأموال من مئات الألوف من القرى الهندية، بل حتى من الخارج، وأرسل بعض الهندوس المقيمين في الخليج الطوب من ذهب لبناء المعبد، وقد استخدمت هذه الأموال الطائلة لاحقاً لتمويل الحملات الانتخابية لحزب الشعب الهندي، وأخذ زعماء المنظمة الهندوسية العالمية وحزب الشعب الهندي يطوفون في أنحاء الهند في رحلات مكثفة لتعبئة الرأي العام الهندوسي لبناء المعبد في ظاهره، ولكن الهدف الحقيقي كان ترسيخ قاعدة حزب الشعب الهندي بين الناس.

المسجد البابري قبل هدمه

وخرج زعيم حزب الشعب الهندي لال كريشنا أدواني (الذي أصبح وزير الداخلية ونائب رئيس الوزراء خلال ١٩٩٩ – ٢٠٠٤م) في مسيرة بطول البلاد وعرضها، في سبتمبر وأكتوبر ١٩٩٠م لنشر قضية بناء المعبد مكان المسجد البابري، وخلال هذه المسيرة، التي دامت شهرين، اندلعت مئات من الاضطرابات ذهب ضحيتها نحو ثلاثة آلاف من المسلمين، ونهبت وحرقت أملاكهم في طول البلاد وعرضها حيثما ذهبت مسيرة لال كريشنا أدواني، وتمكن حزب الشعب الهندي بهذه الألاعيب من وضع قضية المعبد على رأس الأولويات السياسية في الهند.

أما حزب المؤتمر الحاكم، فحاول هو الآخر استغلال هذه القضية فتبناها وتم كسر

القفل على باب المسجد البابري في ١ فبراير ١٩٨٦م بأمر قضائي مستعجل بتدخل خفي من الحكومة الهندية التي كان حزب المؤتمر يرأسها آنذاك، وسمح رئيس الوزراء راجيف غاندي بوضع حجر أساس المعبد في ٩ نوفمبر ١٩٨٩م في قطعة أرض متاخمة للمسجد البابري.

وحاول أعضاء حزب الشعب الهندي ومؤيدوه غير مرة هدم المسجد خلال هذه الفترة، وأخيراً نجحوا في ذلك يوم ٦ ديسمبر ١٩٩٢م(١) حين هدموا المسجد البابري جهاراً نهاراً ولم تتدخل الشرطة وقوات الجيش التي كانت معسكرة هناك بأعداد كبيرة، وكانت طائرات الهليكوبتر العسكرية تحلق في سماء المنطقة، وحين ترك هؤلاء بلدة أيودهيا، بعد هدم المسجد البابري، كان معبد مؤقت قد قام مكان المسجد البابري صباح ٧ ديسمبر ١٩٩٢م، ولا يزال هذا المعبد المؤقت قائماً محاطاً بسياج من قوات الشرطة والجيش التي لا تسمح لأي مسلم حتى بالاقتراب من مكان المسجد المهدوم وهو يعتقل لو حاول الاقتراب، ولم يتخذ أي إجراء ضد هؤلاء المجرمين، وأقيمت قضيتان ضد بعض زعماء الحركة ولم يتم أي شيء حتى الآن رغم مرور ٢٨ سنة على الجريمة، تولى المجرمون خلالها كل مناصب الدولة من وزارات وعضوية البرلمان والعمل كحكام ولايات ورؤساء وزاراتها.

وكان ذلك خلال عهد حكومة حزب المؤتمر الهندي التي كان يرأسها آنذاك ناراسيمها راؤ الذي أغلق نفسه في حجرته يوم هدم المسجد ولم يخرج منها إلا بعد أن بلغه في المساء خبر هدم المسجد نهائياً، وخرج ناراسيمها راؤ يذرف دموعاً كاذبة يقول: إن «ما هُدِم سيُعاد بناؤه من جديد»، ولكن سرعان ما تنكر الحزب لهذا الوعد وأنشأ لجنة قضائية برئاسة القاضي ليبرهان للبحث في قضية هدم المسجد، وظلت هذه اللجنة تحصل على التمديد بعد التمديد إلى أن قدمت تقريرها بعد ١٧ سنة من الهدم، وجاء تقريرها مائعاً بدون تحديد أي مسؤولية.

(١) يراجع عن آخر تطورات قضية المسجد البابري مقالي بموقع الجزيرة: «المسجد البابري بالهند.. ثغرات وتناقضات بالقرار وخيارات محدودة للمسلمين»

https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2019/11/
https://bit.ly/3GeQIsL

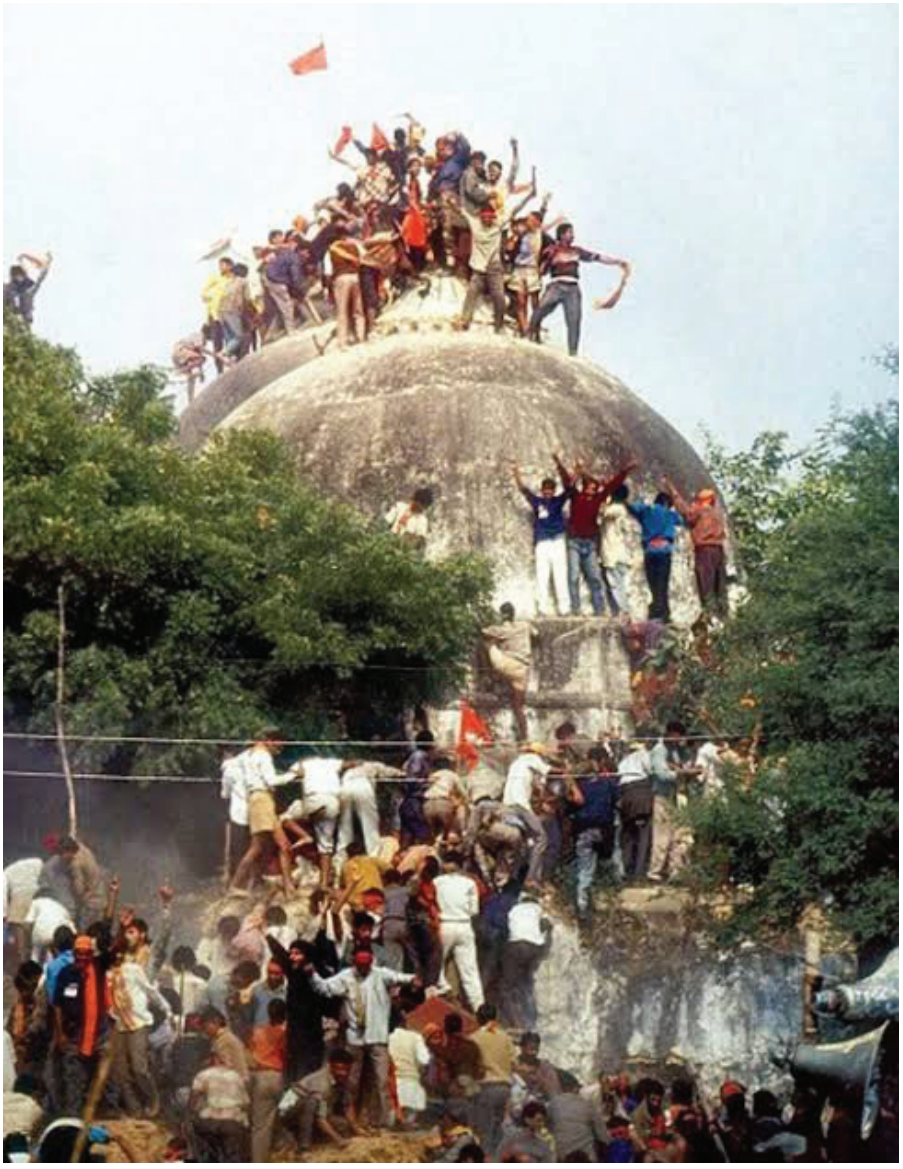

غوغاء الهندوس يتسلقون على المسجد البابري لهدمه يوم ٦ ديسمبر ١٩٩٢م

وفي هذه الأثناء، نقلت قضية المسجد البابري من المحكمة المحلية في فيض آباد إلى المحكمة العالية في لكناؤ عاصمة ولاية أوتاربراديش، وبعد سنوات قامت محكمة لكناؤ

العالية بالحكم في قضية المسجد البابري في ٣٠ سبتمبر ٢٠١٠م، فقسمت الأرض إلى ثلاثة أقسام؛ قسمين لطرفين هندوسيين، وقسم ثالث للمسلمين، وترافع المسلمون لدى المحكمة العليا متظلمين من قرار المحكمة العالية التي أعطت للهندوس أرض المسجد بدون وجه حق، وأخيراً جاء حكم المحكمة العليا في ٩ نوفمبر ٢٠١٩م بإعطاء أرض المسجد البابري بكامله للهندوس بحجة أنه مسقط رأس إلههم الأسطوري «راما»، رغم أن المحكمة قد قبلت في حكمها بأن المسلمين بنوا المسجد في سنة ١٥٢٨م، وأن الأصنام وضعت فيه ظلماً في ديسمبر ١٩٤٩م، وأن الهندوس ارتكبوا جريمة هدم المسجد في ٦ ديسمبر ١٩٩٢م، وكان هذا انتصاراً كبيراً للهندوس وهزيمة للمسلمين رغم كون كل الأدلة والشهادات في حق المسلمين، وفهم المسلمون أن قرار المحكمة العليا هذا لم يأت إلا بتلاعب الحكومة الهندية التي كان مسؤولوها يقولون منذ شهور مثل قول كبير وزراء ولاية أوتار براديش يوغي أديتيا نات: إن «أخباراً سارّة جداً» ستأتي قريباً بالنسبة للمعبد الهندوسي[1]، وقد بدأ بناء معبد فخم على أرض المسجد البابري فور صدور قرار المحكمة العليا، وقام رئيس الوزراء بنفسه بوضع حجر أساسه ٥ أغسطس ٢٠٢٠م.

والأمر لم ينته بالمسجد البابري، بل يريد دعاة القومية الهندوسية الاستيلاء على الكثير من المساجد الأخرى في الهند، وقد أعدوا قائمة بثلاثة آلاف مسجد يزعمون أن المسلمين أقاموها بعد هدم معابدهم وعلى رأسها مسجد غيان وابي في مدينة واراناسي والعيدغاه (مسجد العيدين) في مدينة ماتهورا.

الهندوتوا الرخوة:

إنديرا غاندي أظهرت توجهها نحو الحركة الهندوسية عقب هزيمتها في انتخابات عام ١٩٧٧م، فاتخذت «البقرة والعجل» شعاراً لحزب المؤتمر، وأخذت تنتهج ما يسمى بـ «الهندوتوا الرخوة» (Soft Hindutva)، وخرجت إنديرا غاندي عن النظم والسياسة المتبعة حتى ذلك الوقت حين افتتحت معبد «ماها بهارات ماتا» في مدينة هاريدوار المقدسة

(1) PTI. «Amid the Day-to-Day Hearing of Ayodhya Case. UP CM Yogi Adityanath Says «Very Good News» Awaits All.» News18. 5 Oct. 2019 -- https://www.news18.com/news/politics/amid-the-day-to-day-hearing-of-ayodhya-case-up-cm-yogi-adityanath-says-very-good-news-awaits-all-2335009.html

عند الهندوس يوم ١٥ مايو ١٩٨٣م، وسار ابنها راجيف غاندي، الذي تقلد رئاسة الوزارة بعدها، على نفس السياسة، فافتتح حملته الانتخابية في الانتخابات العامة لسنة ١٩٨٩م من بلدة أيودهيا المقدسة عند الهندوس، معلناً أنه يريد إقامة نظام الإله الهندوسي «راما» (Ram rajya)، وأدخلت حكومة راجيف غاندي الطقوس والتقاليد الهندوسية إلى الحياة العامة لأول مرة، مثل تدشين مشاريع رسمية وافتتاح مؤتمرات رسمية بطقوس دينية، ولا يزال حزب المؤتمر إلى اليوم ينتهج سياسة الهندوتوا الرخوة لإرضاء الهندوس، وهو يخاف من اتخاذ أي موقف يغضبهم، وحزب المؤتمر بالتالي أسبغ الشرعية على برامج الحركة الهندوسية، وأفاد حزب الشعب الهندي، إلا أن احتضان حزب المؤتمر لهذا التيار لم يفده سياسياً؛ فلم يفز الحزب في الانتخابات العامة سنة ١٩٨٩م بما يكفي من الأصوات، فكوّن تحالفاً يسمى «الجبهة القومية» الحكومية بتأييد حزب الشعب الهندي الذي أخذ ينمو ويكبر رويداً رويداً.

وقد قويت الحركة الهندوسية كثيراً حين بدأ التلفزيون الحكومي في أوائل الثمانينيات يذيع أفلاماً في حلقات عن أساطير الهندوس مثل حكاية «رامايانا» وحرب «ماها بهاراتا»، وبما أن التلفزيون حتى ذلك الوقت كان احتكاراً للحكومة، والكل كان مضطراً لمشاهدة القناة الحكومية الوحيدة، فقد دخلت الأساطير الهندوسية إلى كل بيت عبر شهور طويلة من بث هذه البرامج التي أظهرت حقبة أسطورية وكأنها تاريخ مجيد حقيقي ينبغي الافتخار به، ولا بد من العمل لتحقيقه مرة أخرى على أرض الواقع، وأخذ عامة الهندوس يؤمنون بأن الهند القديمة كانت تمتلك الطائرات والقنابل الذرية، وطبّاً رفيعاً قادراً على زراعة الأعضاء من جسد لآخر.. وقد وصف الدبلوماسي كيه.آر.نارايانان، الذي أصبح رئيس جمهورية الهند سنة ١٩٩٧م، أن هذا العمل كان بمثابة «الحقن البطيء للطائفية» (Slow injection of communalism) في جسد الهند.

وبدلاً من إفادة حزب المؤتمر، ساعدت هذه السياسات حزبَ الشعب الهندي فأخذت أسهمه ترتفع مع مجيء كل انتخابات جديدة، فارتفع عدد أعضائه بالبرلمان المركزي إلى ٨٦ عضواً في انتخابات ١٩٨٩م بالمقارنة مع عضوين اثنين فقط في البرلمان السابق، كما فاز حزب الشعب الهندي في انتخابات عدد من الولايات الهندية لأول مرة، وكان حزب

الشعب الهندي يحكم ولاية أوتاربراديش (التي يقع بها المسجد البابري) حتى تم هدم المسجد في ديسمبر ١٩٩٢م، وجرى الهدم رغم تأكيد قوي مكتوب قدمه كليان سينغ، كبير وزراء الولاية للمحكمة العليا بأنه سيحافظ على المسجد!

وأحرز حزب الشعب الهندي ما يكفي من مقاعد البرلمان في انتخابات ١٩٩٨م لتكوين الحكومة برئاسة أتال بيهاري واجبائي، إلا أنها لم تدم لأكثر من ١٣ يوماً بسبب عدم تمتعها بالأغلبية في البرلمان، وعاد الحزب من جديد للحكم بعد انتخابات ١٩٩٩م فكوّن الحكومة على رأس تحالف من ٢٣ حزباً برئاسة أتال بيهاري واجبائي.

الآن، قد أصبحت كل الأحزاب الهندية تنتهج الهندوتوا القحة أو الرخوة بما فيه حزب المؤتمر الهندي، ونتج عن هذا أن كل هذه الأحزاب، باستثناء الأحزاب الشيوعية (وهي عديدة)، تبتعد عن المسلمين ولا تهتم بقضاياهم، ولا تسمح للمسلمين أن يتصدروا في تظاهراتها ومؤتمراتها خوفاً من أن تفقد أصوات الهندوس، وهذا انتصار كبير للحركة الهندوسية، ولا يمكن محو آثارها بسهولة من الحياة السياسية الهندية.

حزب الشعب الهندي يصبح قوة سياسية:

وقد تمكن الحزب خلال فترات الحكم هذه من تقوية قبضته على مفاتيح الحكم، وعقد صلات مع كبار التجار وأصحاب المصانع والإعلام، إلا أنه سقط في انتخابات سنة ٢٠٠٤م، ولم يحرز ما يكفي من مقاعد البرلمان لتكوين الحكومة في انتخابات سنة ٢٠٠٩م، إلا أنه عاد للحكم مرة أخرى عقب انتخابات مايو ٢٠١٤م برئاسة ناريندرا مودي الذي كان قد أصبح رمز التطرف الهندوسي بعد إشرافه على مذابح ولاية كوجرات في سنة ٢٠٠٢م حين كان كبير وزراء تلك الولاية.

وهذه المرة أحرز حزب الشعب الهندي أكثرية واضحة في البرلمان، بمعنى أنه لم يعد يحتاج إلى تأييد وتحالف أحزاب أخرى لكي يحكم كما كان الأمر في المرتين السابقتين لحكمه، وهنا بدأ الحزب ينفذ سياسات التطرف الهندوسي لتهميش الأقليات وخصوصاً الأقلية المسلمة، فبدأت حركة نشيطة لدعوة المسلمين للعودة إلى الهندوسية سميت باسم «Ghar Wapsi»؛ أي «العودة للبيت»؛ بمعنى أن أسلاف مسلمي اليوم كانوا هندوساً؛ وبالتالي يجب عليهم أن يعودوا إلى ديانتهم الأصلية، وقامت حركة أخرى لمحاربة ما سموه «جهاد

العشق» (Love Jihad)، وذلك لمنع زواج المسلمين من هندوسيات بعد اعتناقهن الإسلام أو بدون ذلك، وزعموا أن هناك مؤامرة كبيرة بدعم أموال من الخليج لتحويل الهند إلى دولة إسلامية بالتزوج من الهندوسيات بهدف زيادة أعداد مسلمي الهند! وقامت أيضاً حركة قوية للحفاظ على البقرة، التي يقدسها الهندوس، فبدؤوا يوقفون شاحنات تنقل الأبقار بحجة أنها تنقل الأبقار للذبح، وبدؤوا يضربون سائقي هذه الشاحنات وينهبون الحيوانات بها، وأحياناً يقتلون السائقين ومساعديهم، وبدؤوا يوقفون المسلمين في الشوارع والقطارات والحافلات بحجة أن بحوزتهم لحم البقر أو مأكولات بها لحوم البقر، وبدؤوا يعتدون عليهم جهاراً نهاراً، وقد قتل عشرات من المسلمين وجرح آلاف منهم خلال هذه الهجمات والاضطرابات التي وقعت في مناطق كثيرة من شمال وشمال شرق الهند منذ مجيء مودي للحكم سنة ٢٠١٤[١].

أكاذيب عن المسلمين:

وقد استغلت الحركة الهندوسية بصورة خاصة، وآخرون بصورة عامة، أكذوبة تدعى أن المسلمين هم المسؤولون عن تقسيم الهند سنة ١٩٤٧م؛ وبالتالي ما بقي من الهند هو بلد هندوسي، ولا مكان للمسلمين فيه، وإن بقوا فيه فلا يحق لهم المطالبة بأي حقوق خاصة، بل عليهم أن يقبلوا ما يعطى لهم، ولكن الحقيقة هي أن الهندوس قد سبقوا الرابطة الإسلامية وزعيمها محمد علي جناح بالمطالبة بتقسيم الهند لتكوين دولة هندوسية خالصة والتخلص من المسلمين الذين اعتبروهم عقبة في وجه قيام دولة هندوسية خالصة، وقد طرح أحد زعماء الهندوس (نابها غوبال ميترا) هذه الفكرة قبل نصف قرن من طرح الرابطة الإسلامية فكرة تقسيم الهند[٢]، والحقيقة هي أن زعماء حزب المؤتمر والإنجليز مسؤولون على حد سواء عن التقسيم[٣].

وهم يدعون أن المسلمين قد استحوذوا على كل الفرص والخدمات على حساب الهندوس، وأن الحكومات المتعاقبة فضلت المسلمين على الهندوس، لقد تم ترديد هذه

(١) أعددنا دراسة وثائقية مفصلة عن هذه الهجمات القاتلة (Lynchings) وهى سوف تنشر قريباً (ظ. أ. خ.).
(2) R. C. Majumdar. Three Phases of India's Struggle for Freedom. Bharatiya Vidya Bhavan. Bombay. 1961. p. 8

(٣) انظر دراسة القاضى سيروائي:
H.M. Seervai. Partition of India: Legend and Reality. Mumbai. Emmenem Publications.1989

الأكذوبة ملايين المرات لدرجة أن الهندوس السذّج بدؤوا يؤمنون بها بينما الحقيقة عكس هذا تماماً.

وقد أظهرت دراسة رسمية تعرف باسم «تقرير ساتْشَر» (Sacher Report) أجريت بأمر رئيس الوزراء الهندي سنة ٢٠٠٦م، ورأسها القاضى راجِندَر ساتشر، أن المسلمين اليوم في الحضيض في كل المجالات، وهم دون المنبوذين في بعض المجالات، وأن نسبة المسلمين لا تتجاوز عموماً ٢ و٣٪ في مختلف دوائر الحكومة والقطاع العام، رغم أن نسبتهم بين السكان تزيد على ١٤٪[١] وألفت الحكومة الهندية لجنة أخرى برئاسة القاضي ميشرا لبحث السبل اللازمة للنهوض بالأقليات، فقدمت تقريرها[٢] في مايو ٢٠٠٧م، حيث أوصت بتخصيص ١٥٪ من الوظائف الحكومية للأقليات، ومنها ١٠٪ للمسلمين، ولكن لم ينفذ شيء من هذا التقرير إلى اليوم.

وهم يزعمون أن المسلمين يتكاثرون بسرعة، وأنهم سيفوقون السكان الهندوس خلال سنوات قليلة، وهو زعم باطل لا أساس له من الصحة، وقد أثبتت دراسات علمية أن خصوبة المسلمين في انخفاض مستمر، وأن مثل هذا التطور قد يحدث في ألف سنة على افتراض أن نسبة تناسل المسلمين ستزيد على تناسل الهندوس في المستقبل، وهو أمر مشكوك فيه حتى في المستقبل البعيد[٣].

(1) Social، Economic and Educational Status of the Muslim Community of India («Sachar Report»). Nov. 2006 –– http://www.minorityaffairs.gov.in/sites/default/files/sachar__comm.pdf (reprint available from Pharos Media، New Delhi).

(2) Misra Commission Report، National Commission for Religious and Linguistic Minorities، Ministry of Minorities، Government of India – part 1: http://www.minorityaffairs.gov.in/sites/default/files/volume-1.pdf: part 2: http://www.minorityaffairs.gov.in/sites/default/files/volume-2.pdf (reprint available from Pharos Media، New Delhi)

(3) Shoaib Daniyal، «Five charts that puncture the bogey of Muslim population growth – From Muslims overtaking Hindus to Bangladeshi immigration، much of the right wing's rhetoric on demographics is belied by data.» Quartz India، Apr 08، 2015 –– https://qz.com/india/379773/five-charts-that-puncture-the-bogey-of-muslim-population-growth/ ؛ Qamar Waheed Naqvi، «The Myth Of The Muslim Population Bomb.» Tehelka magazine، 21 Feb. 2015 –– http://www.tehelka.com/the-myth-of-the-muslim-population-bomb/?singlepage= ؛ Mohd. Shahid، "Making Sense of 'Sectarian' Demography." The Milli Gazette، 28 Feb. 2015 –– http://www.milligazette.com/news/11820-making-sense-of-sectarian-demography ؛ Dr. Shah Hamideen، A New Approach to the Study of Religious Population of India، The Milli Gazette، 28 Feb. 2015 –– http://www.milligazette.com/news/11822-a-new-approach-to-the-study-of-religious-population-of-india

ولكن الحقائق العلمية لا تهم أدعياء الحركة الهندوسية، وهم يستمرون في ترديد أكاذيبهم يومياً بمختلف الطرق بما فيه شبكات التواصل الاجتماعي، ويصدقها السذّج؛ مما يعود بالفائدة السياسية للحزب السياسي الذي يمثل تيار الهندوسية المتطرفة[١]، ويصوّت السذّج لحزب الشعب الهندي ظانّين أنه يقهر المسلمين ويضعهم في الموضع الذي يستحقونه.

وهم يتهمون أن المسلمين يتناسلون بسرعة أكبر من الهندوس نتيجة تعدد الأزواج ورفضهم تحديد النسل، ويتم ترديد هذه الأكذوبة بصورة شبه يومية، رغم أن الأرقام الرسمية تقول: إن تعدد الزوجات شائع أكثر بين الهندوس من المسلمين[٢].

وأصبح من عادة زعماء ودعاة القومية الهندوسية أنهم يعارضون أي شيء يؤيده المسلمون، ويؤيدون أي شيء يعارضه المسلمون، ومنها تأييدهم لـ«إسرائيل»[٣]، أو لسلمان

(١) للمزيد من التفاصيل وخلفية القضايا المتعلقة بالهندوسية السياسية يراجع بحثي:
«Zafarul-Islam Khan، «Hindu Fundamentalism in Contemporary India – A Muslim perspective.» in Ibrahim M. Abu-Rabi'، The Blackwell Contemporary Islamic Thought، Blackwell، Oxford، 2006، pp. 509526-.

(٢) خلال انتخابات كوجرات سنة ٢٠٠٣م كان نارييندرا مودي يردد مستهزءاً بالمسلمين شعار «نحن خمسة ولنا خمسة وعشرون» (hum paanch، hamarey pachchees) بما يعنى أن المسلم يتزوج من أربعة ويخلِّف ٢٥ فيكون عبئاً على الدولة. يراجع للمزيد حول أكذوبة زيادة أعداد المسلمين:
«Zafarul-Islam Khan، «Hindu Fundamentalism in Contemporary India – A Muslim perspective.» in Ibrahim M. Abu-Rabi'، The Blackwell Contemporary Islamic Thought، Blackwell، Oxford، 2006، pp. 509526-.

(٣) في ظل حكومات حزب الشعب الهندي المتعاقبة ترعرعت العلاقات الهندية «الإسرائيلية» لدرجة أنها توصف الآن بالعلاقات «الإستراتيجية»، وقد أصبحت الهند الآن أكبر مستورد للسلاح «الإسرائيلي»، ومن المفارقات الكبرى أن الحركة الهندوسية الحديثة نشأت بتأثير النازية والفاشية، وهى نفسها تنظر الآن الى الصهيونية كحليفة لأنها قهرت المسلمين العرب في رأيها. انظر للتفصيل بحثي:
«India-Israel: From a Hush-Hush Relationship to Open Celebration.»
https://eng.alzaytouna.net/٠٨/١١/٢٠١٧/academic-paper-india-israel-hush-hush-relationship-open-celebration/ ؛ http://www.milligazette.com/news/-١٥٩٦٧india-israel-from-a-hush-hush-relationship-to-open-celebration

انظر كذلك:
Shamsul Islam، «HINDUTVA AND ZIONISM: NATURAL PARTNERS IN DEBASEMENT، The Milli Gazette، 2008 -- https://www.academia.edu/4892696/HINDUTVA__AND__ZIONISM__NATURAL__PARTNERS__IN__DEBASEMENT ؛ Anand Singh، "Hindutva Fascists And Barbaric Zionists Are Natural Partners!»، Countercurrents.org، 19 October، 2015 -- https://www.countercurrents.org/asingh191015.htm؛ Sukumar Muralidharan، "The ideological common ground between Hindutva and Zionism." indianculturalforum.in، February 13، 2019 -- https://

رشدي، أو الكاتبة البنغلاديشية تسليمة نسرين، ومطالبتهم بإلغاء الشريعة الإسلامية وحرق نسخ القرآن الكريم والمطالبة بحظره، زاعمين أنه مصدر التطرف الإسلامي! وقد توجه أحدهم إلى محكمة كالكوتا العالية سنة ١٩٨٦م مطالباً بحظر القرآن، وهم من هذا المنطلق يعارضون باكستان معارضة عمياء، ويتهمونها لكل ما يحل بالهند من مشكلات وأزمات، ويصفون أي شخص ينتقد مودي وحكومته بأنه عميل لباكستان ويعمل من أجلها، والشعار المفضل للمنظمات الهندوسية ومؤيديهم هو: «للمسلم مكانان فقط: باكستان أو قَبْرِسْتَان (المقابر)» (Musalmano ke do hee asthaan: Pakistan ya qabristan)[1].

توظيف «الإرهاب» لضرب المسلمين وتركيعهم:

تم استخدام تهمة «الإرهـاب» ضد شباب مسلمي الهند في أعقاب هدم المسجد البابري، وخصوصاً بعد أحداث ١١ سبتمبر في الولايات المتحدة حين بدأت الحكومة الهندية تزعم أنها هي الأخرى ضحية الإرهاب، وبدأت تستخدم هذه الدعوى للضغط على باكستان؛ ولذلك كان لا بد من خلق أسطورة عن تورط مسلمي الهند في الإرهاب، وخلال هذه الفترة تم اعتقال عشرات الآلاف من الشباب المسلم بحجة الانتماء إلى حركات إرهابية، وتم سن قوانين شاذة (مثل «تـادا» Tada، و«بوتا» Pota، والآن «يوابا» UAPA)، وهذه القوانين تعطل الكثير من الضمانات القانونية للمواطنين، ومنها حبس المتهم على ذمة التحقيق لفترة قد تصل إلى ١٨٠ يوماً، بينما في الجرائم الأخرى لا بد من عرض المعتقل أمام قاض خلال ٢٤ ساعة من الاعتقال، ومنها أيضاً أنها تضع مسؤولية نفي تهمة الإرهاب على عاتق المتهم بدلاً من إجبار الشرطة أو المخابرات على إثبات ادعاءاتها كما هي الحال في الجرائم الأخرى، وقد تم تدمير آلاف من أسر المسلمين تحت هذه الحجة، وعموماً تتم تبرئة هؤلاء بعد ١٥-٢٠ سنة من السجن، وبعد أن تكون أسرته قد تحطمت

---

indianculturalforum.in/201913/02//the-ideological-common-ground-between-hindutva-and-zionism/

(1) Imran Ahmed Siddiqui «'You've only two places، Pakistan or Kabristan'». Telegraph، Kolkata، 26 December، 2019 -- https://www.telegraphindia.com/india/youve-only-two-places-pakistan-or-kabristan/cid/1730395

خلال هذه السنوات، ويكون أولاده قد ضاعوا بسبب عدم تمكنهم من مواصلة التعليم[١]، ولا تزال هذه اللعبة مفضلة لدى الشرطة والمخابرات الهندية التي تعتقل الشباب المسلم من مناطق متفرقة، وتطلق على مجموعتهم اسماً «إسلامياً»، ثم تجبرهم على الاعتراف بواسطة تعذيبهم وأهاليهم لأسابيع وشهور حتى ينهارون ويقبلون بجرائم لم يرتكبوها، وهم الآن يعتقلون الشباب المسلم بحجة انتمائهم إلى «القاعدة» و«داعش»، رغم أنه لا وجود لهاتين المنظمتين في الهند، وقد مارست منظمات هندوسية دوراً كبيراً في تلفيق التهم ضد المسلمين، فكانت عناصر هذه المنظمات تفجر القنابل ثم يتم اتهام المسلمين بها، ومنها الهجوم على «قطار الصداقة» بين الهند وباكستان، في ١٨ فبراير ٢٠٠٧م، التي راح ضحيته ٧٠ شخصاً غالبيتهم باكستانيون، وقبض على بعض الهندوس، إلا أنه تم تبرئتهم كلهم في نهاية الأمر رغم اعتراف زعيمهم أسِيمانَند أمام المحكمة بذنبه[٢]، وإحدى المتهمات الهندوسيات في هذه الجرائم هي سادْهوِى بَراغيا (Sadhvi Pragya) التي رشحها حزب الشعب الهندي في الانتخابات من دائرة بهوبال في مايو ٢٠١٩م، وهي تجلس الآن في البرلمان الهندي، رغم أن محاكمتها مستمرة في قضية تفجيرات ماليغاؤن الإرهابية عام ٢٠٠٨م، وقضايا إرهابية أخرى، ولعل هذا هو المثال الأوحد في أي دولة ديمقراطية لترشيح وانتخاب إرهابي متهَم عضواً بالبرلمان.

وصول حزب الشعب الهندي إلى السلطة:

تمكن حزب الشعب الهندي من تشكيل الحكومة المركزية لأول مرة عام ١٩٩٨م، إلا

---

(١) انظر لفهم أسطورة الإرهاب في الهند:

SM Mushrif. Who Killed Karkare?. Delhi. Pharos Media. 2019 (first edition published in 2009); SM Mushrif. 2611/ Probe – Why Judiciary also failed?. Delhi. Pharos Media. 2018 (first edition 2014). SM Mushrif. Brahminists bombed. Muslims hanged. Delhi. Pharos Media. 2019; Jamia Teachers' Solidarity Association. Framed. Damned. Acquitted. 2nd ed.. 2014; Elias Davidsson. The Betrayal of India. Delhi. Pharos Media. 2017.

(2) Vinay Kumar. «Swami Aseemanand's confession reveals Hindutva terror activities.» The Hindu. 31 January. 2011-- http://www.thehindu.com/news/national/swami-aseemanands-confession-reveals-hindutva-terror-activities/article1073223.ece

للمزيد عن تطورات قضيته التى انتهت الآن ببراءته في مارس ٢٠١٩م، رغم اعترافه الصريح بجريمته مرتين أمام المحكمة:

«The Believer: how Swami Aseemanand became the face of Hindu terror,» The Cara van Magazine, New Delhi, February 2014.

أن حكومته الأولى لم تدم لأكثر من ١٣ يوماً بسبب عدم تمتعه بالأكثرية، وامتناع الأحزاب الأخرى عن الانضمام إلى تحالفه، ثم عاد الحزب من جديد للحكم على مستوى الحكومة المركزية عام ١٩٩٩م حين تمكن من إحراز ١٨٧ مقعداً في البرلمان، وحكم الهند على رأس تحالف من ٢٣ حزباً لمدة أربعة أعوام ونصف عام، ولم يتمكن الحزب من تفعيل الكثير من سياساته بسبب ضغوط حلفائه، ولكنه ألحق ضرراً كبيراً بالمسلمين، وخصوصاً فيما يتعلق بتلفيق قضايا الإرهاب المزعومة ضد آلاف من الشباب المسلم، والتضييق على المدارس الدينية الإسلامية، وكان نائب رئيس الوزراء وزير الداخلية بتلك الحكومة لال كيشان أَدواني يقول ليل نهار في تلك الأيام: «ليس كل مسلم إرهابياً، ولكن كل الإرهابيين مسلمون».

وقد خسر حزب الشعب الهندي انتخابات عام ٢٠٠٤م، ولم يتمكن من العودة للحكم في الانتخابات التالية عام ٢٠٠٩م، إلا أنه فاز بالأكثرية في انتخابات مايو ٢٠١٤م، ثم مرة أخرى في انتخابات مايو ٢٠١٩م، واتسمت فترته الأولى (٢٠١٤ - ٢٠١٩م) بالكثير من التجاوزات؛ مثل السماح لأوغاد الحركة الهندوسية بقتل المسلمين في الشوارع والميادين والقطارات والأوتوبيسات بحجة ذبح المسلمين البقر أو أكلهم لحومها، وأيضاً بدأت مهاجمة المسلمين بحجة تزوج مسلم من هندوسية أو غرام بينهما أو حتى تواجدهما معاً في شارع أو عربة.. إلخ، ولم تُظهِر الحكومة ولا حتى رئيس الوزراء مودي أي جدية لمعاقبة المسؤولين عن هذه الجرائم البشعة، كما أن الشارع الهندوسي، الذي تم شحنه على مدى عقود بالحقد على الإسلام والمسلمين، لم يتحرك ضد هذه المظالم ولو من باب أنها جرائم ضد حقوق الإنسان.

وقام نظام مودي بإلغاء أوراق النقد العالية القيمة (٨٠٪ من أوراق النقد الهندية) فجأة وبدون إنذار، في ٨ نوفمبر ٢٠١٦م، مما أربك الاقتصاد الهندي، وبعدها بقليل أدخل مودي نظام الضريبة المركزية (GST)؛ مما زاد من إرباك التجار وأصحاب المصانع والشركات الصغيرة، ولم يتعافَ الاقتصاد الهندي من تبعات هذين الإجراءين العقيمين حتى الآن، ورغم هذا تمكن الحزب من اكتساح الانتخابات في مايو ٢٠١٩م؛ بسبب شحنه المجتمع بالحقد على المسلمين، وتأكيده بأن كل ما يقوم به هو لتلقين المسلمين درساً،

وللانتقام من مظالم المسلمين خلال حكمهم الطويل، مع الوعد بإصلاحات اقتصادية ستنعش الاقتصاد الهندي، والزعم بأن الإصلاحات الاقتصادية لا تتم بين ليلة وضحاها، بل تتطلب وقتاً طويلاً وتضحيات كبيرة لتؤتي ثمارها.

وأخذت حكومة مودي في فترتها الثانية، وكأنها في صراع مع الزمن، تتخذ الإجراء بعد الآخر لتنفيذ خطط الحركة الهندوسية بعيدة المدى، مثل:

- وضع قانون حظر الطلاق الثلاثي في الجلسة الواحدة، وذلك بدون استشارة أي عالم مسلم أو منظمة إسلامية، حسب تصريح أحد الوزراء في البرلمان، وهي خطوة أولى نحو سن قانون أحوال شخصية موحَّد لكل الهنود[١]، وهو مطلب كبير للحركة الهندوسية التي تدعي أن وجود قوانين أحوال شخصية متميزة للمسلمين تحول دون اندماجهم في المجتمع الهندي.

- إلغاء المادة (٣٧٠) من الدستور الهندي التي ضمنت الاستقلال الذاتي لكشمير[٢]، وهو بند مهم على رأس مطالب الحركة الهندوسية منذ الاستقلال، وكان ماهاراجا كشمير قد اشترط إعطاء الاستقلال الذاتي لكشمير عند الانضمام إلى الهند، وبناءً على ذلك، أدخلت الهند المادة (٣٧٠) في الدستور الهندي التي تعطي الاستقلال الذاتي لكشمير، وتقول هذه المادة: إنه لا يجوز إلغاؤها إلا بطلب المجلس التشريعي لكشمير، وقد تم سحب الكثير من استقلال كشمير الذاتي خلال العقود السبعة الأخيرة، ولكنه ظل باقياً كقانون يحمي الكشميريين إلى حد ما، وظلت الحركة الهندوسية تطالب بإلغاء هذه المادة قائلة: إنها السبب في مشكلة كشمير وعدم انسجام الكشميريين مع الهند، وقامت حكومة مودي، في ٥ أغسطس ٢٠١٩م، فجأة وبدون أي إعلان أو استشارة وبدون الحصول على إذن مجلس كشمير التشريعي بإلغاء هذه المادة، وإلغاء وضع كشمير كولاية داخل الاتحاد

(١) هذا رغم أن الحكومات الهندية المتعاقبة منذ الاستقلال ظلت تؤكد في البرلمان وخارجه أن الحكومة لن تتدخل في قانون الأحوال الشخصية الإسلامية إلا بطلب المسلمين. والجدير بالذكر أن السند الشرعي لقانون الأحوال الشخصية الإسلامية هو «قانون الشريعة» Shariat Act لسنة ١٩٣٧م الذي صدر في العهد الإنجليزي، وهو لا يزال ساري المفعول في الهند.

(٢) انظر مقالي حول هذه الخطوة الهندي : «إلغاء استقلال كشمير الذاتي مجازفة قد تأتي بنتائج عكسية»، موقع الجزيرة https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/201919/8//

الهندي، وقامت بتحويلها إلى منطقة اتحادية تحكمها الحكومة الهندية المركزية مباشرة، كما سلخت حكومة مودي منطقة لداخ من ولاية كشمير وحولتها إلى منطقة اتحادية منفصلة، وقامت الحكومة بوضع المنطقة كلها تحت الأحكام العرفية، وقطعت عنها خطوط الإنترنت والاتصالات الهاتفية لشهور طويلة، ووضعت كل السياسيين والزعماء الكشميريين في السجون أو تحت الإقامة الجبرية في بيوتهم، وقد أفرج عن بعضهم بعد شهور أو أكثر من سنة، والبعض الآخر لا يزال مسجوناً أو تحت الإقامة الجبرية في بيته، ولا تزال الأحوال كما هي؛ مما جعل كشمير سجناً كبيراً ولا يسمح للمراقبين الدوليين ونشطاء حقوق الإنسان بدخولها، والأسوأ من هذا كله أن الجيش الهندي يتواجد بكثافة في كل مناطق كشمير، وهو يتمتع بحصانة تحت قانون «AFPSA» الذي يعطي الجيش حصانة كاملة، فلا مسؤولية لضباطه وجنوده لو قتلوا الكشميريين ونهبوا ممتلكاتهم واغتصبوا نساءهم.

– مطالبة بمساجد جديدة بعد الاستيلاء على المسجد البابري بزعم أنها أقيمت بعد هدم معابد هندوسية، وأحدثها المطالبة بالاستيلاء على مسجد عيدكاه (Eidgah) بمدينة ماتهورا، زاعمين أنه يقوم على مكان معبد لإلههم كريشنا، رغم أن مسلمي المدينة قد عقدوا معاهدة قضائية بإعطاء الهندوس نحو نصف أراضي المسجد لقاء تنازل الهندوس عن دعواهم، وكان ذلك في أكتوبر ١٩٦٨م تحت رعاية القضاء، والآن يقف معبد فخم على ذلك المكان[١]، ولدى الهندوس قائمة طويلة تضم آلاف المساجد التي يزعمون أنها أقيمت بعد هدم معابدهم؛ وبالتالي لا بد لهم من استعادة تلك الأماكن.

(١) انظر تفاصيل ونص المعاهدة بين المسلمين والهندوس حول مسجد ماتهورا في مقالي بمجلة «مسلم آند غرب برسبكتيفز»

Muslim & Arab Perspectives 2:41995) 7-) pp. 115119-

وقد أعيد نشره هنا:

https://www.milligazette.com/news/12-special-reports/33655-hindus-have-no-right-claim-mathura-eidgah/

مسجد عيدكاه بمدينة ماتهورا، ويظهر إلى يمينه المعبد الهندوسي الفخم الذي أقيم على أرض تنازل عنها مسلمو المدينة من أراضي المسجد لإنهاء النزاع عام ١٩٦٨م، ولكن الهندوس الآن يطالبون حتى ببقية أراضي المسجد

وقد بدأت أيضاً حملة للاستيلاء على «مسجد غيان وابي» (Gyanwapi) بمدينة واراناسي، وهو المسجد الثالث في قائمة طويلة تضم آلاف المساجد؛ أي أن هذه الحملات لن تنتهي حتى يوم القيامة!

– أخطر هذه الخطط هو تنفيذ مشروع إعداد سجل للمواطنين في الهند؛ بهدف نزع الجنسية من ملايين المسلمين الهنود بتهمة أنهم بنغلاديشيون، ولتحقيقه تم، في ٥ ديسمبر ٢٠١٩م، تغيير قانون الجنسية لسنة ١٩٥٥م، وذلك بإدخال مادة جديدة تقول: إن الهند ستقبل الأقليات المضطهدة في بنغلاديش وباكستان وأفغانستان، بحجة أن أبناء الأقليات بهذه الدول الثلاث يتعرضون للاضطهاد، بينما الحقيقة هي أن مسلمي بورما والهندوس التاميل بسريلانكا يتعرضون لاضطهاد أبشع ومكشوف، ولكن القانون الجديد لم يشملهم، رغم أن كثيرين من النازحين الروهنغيا والتاميل السريلانكيين موجودون بالفعل في الهند، ولكن لا تُعطى لهم الجنسية الهندية، بل يتم مضايقتهم باستمرار، وكثيرون منهم في السجون.

والسبب المباشر الذي دعا حكومة مودي إلى إجراء هذا التعديل هو أن الحكومة الهندية أجرت إحصاء للسكان في ولاية آسام بشمال شرقي الهند، في أغسطس ٢٠١٩م؛ تنفيذاً لمعاهدة قديمة بين الحكومة الهندية وبعض حركات المعارضة في ولاية آسام التي كانت تحتج منذ سنوات ضد بنغلاديشيين يستولون على أراضٍ حكومية، وينهبون فرص الوظائف بالولاية، ويزدرون لغتها وثقافتها، وكانت الدعاية تزعم دائماً أن أولئك المتسللين هم مسلمون، ولكن إحصاء عام ٢٠١٩م كشف أن نحو مليونين من سكان الولاية قد فشلوا في تقديم وثائق تثبت جنسيتهم الهندية، ومما صدم حزب الشعب الهندي الحاكم أن نحو ثلاثة أرباعهم كانوا من الهندوس، بينما كانت دعاية الحزب تقول: إن المتسللين مسلمون بنغلاديشيون.

وهنا وقعت حكومة مودي في مأزق؛ لأن نتيجة الإحصاء جاءت على عكس ما كانت ترجوه لكي يمكن سلب جنسية عدد كبير من مسلمي ولاية آسام لتخفيف نسبة المسلمين بها التي تبلغ ٣٦٪، وهي أعلى نسبة للمسلمين في أي ولاية هندية بعد ولاية كشمير، ويخاف الهندوس المتطرفون من أن مسلمي آسام قد يحكمون الولاية في المستقبل بسبب نسبتهم العالية بين السكان، وهنا فكرت الحكومة في تعديل قانون الجنسية لسنة ١٩٥٥م بحيث يتم قبول غير المسلمين النازحين من ثلاث دول، والخطة غير المعلنة هي أن كل مواطن هندوسي يفشل في تقديم وثائق الجنسية سيقدم إقراراً بأنه جاء من إحدى هذه الدول الثلاث؛ وبالتالي سيحصل على الجنسية الهندية، بينما لن يتاح هذا للمسلمين.

والمشكلة هي أن القانون الجديد استثنى المسلمين ممن يمكنهم الحصول على الجنسية الهندية من مواطني الدول الثلاث المجاورة، إلى جانب مطالبته الهنود بتقديم وثائق لا تتوفر عند الفقراء والأميين وسكان القرى، وهؤلاء، إن كانوا من غير المسلمين، سيتم قبولهم كمواطنين بعد تقديمهم إقرارات «مزورة» بأنهم جاؤوا من باكستان أو بنغلاديش أو أفغانستان، بينما هذا لن يقبل من المسلمين؛ أي أن مسلمي الهند وحدهم لن يتمكنوا من إثبات أنفسهم كمواطنين هنود لو لم تتوفر عندهم الأوراق المطلوبة لإثبات الجنسية مثل شهادة الميلاد أو شهادة التخرج من الثانوية العامة أو أوراق ملكية الأراضي[1]، بينما

(١) قالت الحكومة الهندية: إن جوازات السفر ووثائق «آدهار» Aadhar وكتيبات الأغذية المدعومة أو تراخيص قيادة السيارات إلخ لن تقبل كدليل على الجنسية رغم أنها كلها أوراق حكومية تصدر بعد تحريات رسمية.

غيرهم سيدخلون سجل المواطنين بالادعاء بأنهم قد جاؤوا من بنغلاديش أو باكستان أو أفغانستان؛ وبالتالي سيصبح ملايين، ربما ٢٠ - ٣٠ مليوناً من مسلمي الهند، من «البدون»؛ أي بدون جنسية في بلدهم، وهذا سيكون تحقيقاً جزئياً لمطلب رئيس من مطالب الحركة الهندوسية، وهو حرمان المسلمين من حق الاقتراع في الانتخابات لكي لا يفكر أي حزب في مصالحهم، ولا يقف معهم أحد من السياسيين لو وقعوا في مشكلة أو طالبوا بشيء.

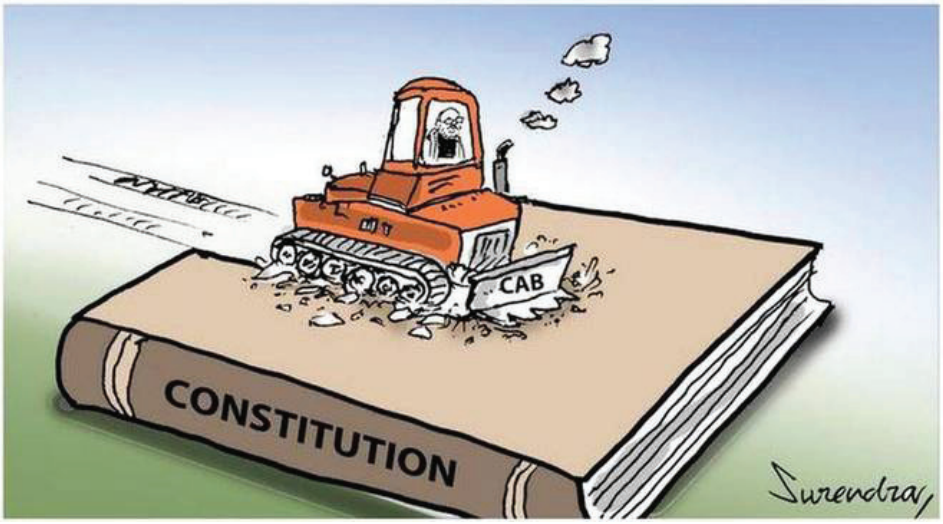

كاريكاتير للرسام سوريندرا في جريدة «هيندو» (Hindu) الشهيرة يرى أن قانون الجنسية المعدل يهدم الدستور الهندي

وبما أن أيّاً من الدول المجاورة مثل باكستان أو بنغلاديش لن تقبل بهذه الأعداد الكبيرة من فاقدي الجنسية؛ فسيعيش هؤلاء المسلمون على هامش الحياة داخل الهند محرومين من الخدمات الحكومية؛ كالعلاج في المستشفيات الحكومية المجانية، أو الحصول على الأغذية المدعومة، أو تعليم أولادهم في المدارس الحكومية المجانية، أو الحصول على الوظائف الحكومية والقروض من البنوك والمؤسسات المالية والأوراق الرسمية مثل الجوازات وتراخيص قيادة السيارات، وهناك تكهنات بأن الدولة سوف تستولي على أملاك وودائع الهنود المسلمين الذين سيُحرَمون من الجنسية، وهؤلاء «البدون» سيتحولون

إلى عمالة رخيصة تتعرض للاستغلال البشع بسبب عدم تمتعها بأي حماية قانونية، بل سيوضع بعضهم في معسكرات الاعتقال التي أمرت الحكومة كل الولايات، في يوليو ٢٠١٩م، بإنشائها في كل ولاية للأجانب المتواجدين في حدودها[١]، وعدد من معسكرات الاعتقال قد أقيمت بالفعل في ولاية آسام[٢]؛ حيث جرت عملية فحص أوراق سكان الولاية في أوائل ٢٠١٩م، فتم تحديد ١,٩ مليون من سكانها بأنهم «أجانب» من مجموع سكانها البالغ عددهم ٣١ مليوناً.

وبعد هذه اللطمة، جاء قرار الحكومة المركزية بتفعيل مشروع وضع سجل المواطنين وإجراء إحصاء لذلك في كل أنحاء البلاد، ولهذا الغرض جرى تعديل قانون الجنسية لسنة ١٩٥٥م في البرلمان الهندي، يوم ٥ ديسمبر ٢٠١٩م[٣]، وكان واضحاً منذ البداية أن هذا الإجراء موجَّه ضد المسلمين فقط، حسب تصريحات وزير الداخلية أميت شاه، ووزراء ولاية آسام الذين قالوا: إنه ليس للهندوس الذين شطبت أسماؤهم من سجلات المواطنين أن يخافوا؛ لأنهم سيحصلون على الجنسية الهندية بعد تعديل قانون الجنسية، ولن يتم إرسال الهندوس إلى معسكرات الاعتقال[٤]، وقد وصف وزير الداخلية أميت شاه مَنْ نعتهم بالمتسللين بـ«النمل الأبيض» (Termites)، وقال: إنه سيرميهم في بحر البنغال قبل عام ٢٠٢٤م[٥]؛ أي قبل موعد الانتخابات القادمة.

(1) Vivan Eyben., "MHA Issues Manual for Detention Centres in All States in India," Newsclick, 30 Jul 2019 -- https://www.newsclick.in/Detention-Centres-India-MHA-Modi-Government

(2) Tahmina Laskar, "Detention Centres in Assam Are Synonymous With Endless Captivity," The Wire, 7 Feb., 2019 -- https://thewire.in/rights/detention-centres-assam-nrc

(٣) انظر للمزيد من التفاصيل والخلفية مقالي: «قانون الجنسية الهندية الجديد»: الجزيرة
https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/201920/12/
https://bit.ly/3zNPyC5

(4) «Detention camps will shut for non Muslims: says Assam minister,» theindianawaaz.com, 24 October, 2019 -- https://theindianawaaz.com/detention-camps-will-shut-for-non-muslims-says-assam-minister/ ; Rasia Hashmi, «Once CAB is passed, no non-Muslim will be detained: minister,» siasat.com, 27 October, 2019 -- https://www.siasat.com/no-non-muslim-detention-once-cab-passed-assam-minister-1706066/ ؛ "Citizenship Amendment Bill has become necessity for those left out of NRC: Assam BJP chief," Economic Times, 3 October 2019 -- https://economictimes.indiatimes.com/news/politics-and-nation/citizenship-amendment-bill-has-become-necessity-for-those-left-out-of-nrc-assam-bjp-president-ranjeet-das/articleshow/71417181.cms

(5) Devjyot Ghoshal, «Amit Shah vows to throw illegal immigrants into Bay of Bengal,» Reuters, 12 Feb. 2019 -- https://www.reuters.com/article/india-election-speech/amit-shah-vows-to-throw-

صورة من المظاهرة النسائية في شاهين باغ بدلهي التي استمرت ١٠١ يوم

مظاهرات واعتصامات منقطعة النظير:

فور إقرار تعديل قانون الجنسية، في ٥ ديسمبر ٢٠١٩م، أخذ المسلمون يخرجون في مظاهرات، ولكنها لم تتحول إلى مظاهرات شعبية إلا بعد اعتداء الشرطة على طلبة الجامعة الملية الإسلامية في العاصمة الهندية، مساء يوم ١٥ ديسمبر ٢٠١٩م، حين دخلت الشرطة الحرم الجامعي بدون إذن سلطات الجامعة، واعتدت على الطلبة والطالبات، وكسرت أطرافهم وجماجمهم، وحطمت الأثاث في المكتبة الجامعية وأماكن أخرى، وهذا الهجوم الحكومي على الطلبة والطالبات أشعل نار الاحتجاجات في كل أنحاء الهند، بل حتى خارجها، فخرج الطلبة في مئات الجامعات والكليات، وحتى في المدارس الإسلامية

illegal-immigrants-into-bay-of-bengal-idUSKCN1RO1YD؛ Press Trust of India، «Illegal immigrants are like termites، will throw them out if BJP comes back to power؛ Amit Shah،» India Today، 11 April 2019 -- https://www.indiatoday.in/elections/lok-sabha-2019/story/bjp-amit-shah-hindu-refugees-mamata-bannerjee-149969111-04-2019-؛

الدينية أخذ الطلبة يتظاهرون؛ فقامت الشرطة والقوات شبه النظامية بالتصدي لهم بالضرب والاعتقال، وحتى باقتحام بيوتهم وتخريبها بصورة لا يصدقها عقل، وهنا خرجت المرأة المسلمة بعشرات الآلاف واعتصمت في منطقة «شاهين باغ» بجنوب دلهي.

وسرعان ما انتشرت هذه المظاهرات النسائية في مدن هندية أخرى، إلى جانب اعتصامات الطلبة والشباب والمواطنين في أماكن لا تعد ولا تحصى، ومنها الجامعة الملية الإسلامية في دلهي، وجامعة عليكره الإسلامية، واستمرت هذه المظاهرات والاعتصامات ليل نهار منذ ١٥ ديسمبر ٢٠١٩م، ولم تنته إلا في أواخر مارس ٢٠٢٠م، حين استخدمت السلطات القوة القصوى لتفريقها بعد إعلان الإغلاق التام بسبب جائحة كورونا، وكان من هذه المظاهرات سلسلة بشرية طولها ٦٢٠ كيلومتراً في ولاية كيرالا بجنوب الهند، شارك فيها ٧ ملايين شخص، يوم ٢٦ يناير ٢٠٢٠م[1]، وأصر المعتصمون على أنهم لن يعودوا إلى بيوتهم إلا بعد أن تسحب الحكومة قانون الجنسية المعدَّل الجائر، وإلا بعد أن تعلن أنها لن تجري إحصاء سكانياً لغرض تحديد من هو هندي ومن هو دخيل، وأصرت الحكومة من جهتها على أنها لن تتراجع، ولا يزال هذا هو موقفها رغم ظهور إشارات تدل على أن الحكومة في حيرة من أمرها، وخصوصاً بسبب التنديد العالمي الرسمي والإعلامي واسع النطاق لقانون الجنسية المعدّل باعتباره مضاداً للدستور الهندي القائم على العلمانية التي لا تفرق بين أحد على أساس الدين أو العنصر أو اللون، وقد أصاب هذا وضع الهند كدولة ديمقراطية في نظر العالم، وقد أعلنت عدة ولايات هندية بعد إقرار قرارات في مجالسها التشريعية أنها لا تعترف بهذا القانون ولن تنفذه في حدود ولاياتها، ومنها ولايات بنغال الغربية وراجَستَهان ومادهيا براديش وكيرالا والبَنْجاب وبودوتشيرى، وقد خلق هذا مشكلة دستورية في الهند، وهو يمثل مواجهة غير مسبوقة بين الحكومة المركزية وحكومات الولايات، وخلال هذه الاعتصامات تفجرت اضطرابات دلهي في أواخر فبراير ٢٠٢٠م، التي نفذها زعماء حزب الشعب الهندي الحاكم بمساعدة

(1) Sneha Mary Koshy، "Kerala Chief Minister، Newly Weds In 620-Km Human Chain Against Citizenship Law،" NDTV، 26 January، 2020 -- https://www.ndtv.com/kerala-news/caa-kerala-chief-minister-pinarayi-vijayan-newly-weds-participate-at-620-km-human-chain-2170013

الشرطة[١]؛ بهدف كسر المظاهرات التي كانت قائمة آنذاك في مئات المواقع في أنحاء الهند، وقد ألقي القبض على آلاف وعكفت السلطات على تلفيق التهم وتزوير الشهادات لتثبت أن المسلمين أنفسهم خططوا ونفذوا تلك الاضطرابات! وهناك مئات من القضايا المعروضة في المحاكم بخصوص هذه الاضطرابات.

وبدلاً من إعادة النظر في مواقف الحكومة، لا يزال وزير الداخلية الهندي أميت شاه، الذراع اليمنى لرئيس الوزراء ناريندرا مودي، يؤكد: «لتستمر المظاهرات إلى ما لا نهاية، ولكن الحكومة لن تتراجع عن قانون الجنسية المعدّل، وعن إعداد سجل قومي لمواطني الهند»[٢].

ولا تزال هذه المظاهرات والاعتصامات متواصلة رغم اعتداءات الشرطة خصوصاً في الولايات التي يحكمها حزب الشعب الهندي مثل أوتارابراديش، حيث تجاوزت الشرطة كل حدود الهمجية، وخرجت فيديوهات تسجل تحطيمها لأملاك الناس واقتحام البيوت واعتقال المواطنين من داخل البيوت بعد الاعتداء على أصحابها وتدمير الممتلكات ونهبها، ويفتخر كبير وزراء ولاية أوتارابراديش يُوغِي أدِيتيا ناتْه أنه قد لقن المتظاهرين درساً لن ينسوه، هذا رغم أن التظاهر السلمي حق دستوري للهنود، فإن كل هذا لم يؤثر في معنويات الناس، بل اتسعت رقعة المظاهرات والاعتصامات مع مرور كل يوم جديد بصورة ليس لها مثيل في تاريخ الهند أو حتى العالم، ولا تعرف الحكومة كيف تحطم هذه المظاهرات لأنها غير مستعدة إلى الآن لإعادة النظر في قرارها لوضع سجل المواطنين وإجراء إحصاء لهم.

وهذه المظاهرات تصدرها مسلمو الهند، وخصوصاً المرأة المسلمة، بمشاركة كل فئات المجتمع الهندي باستثناء مؤيدي الحركة الهندوسية، وقد كسرت جدار العزلة التي كانت الحركة الهندوسية قد نجحت في إقامته لعزل مسلمي الهند عن الحياة السياسية الهندية، والآن نرى كل الفئات ما عدا عناصر الحركة الهندوسية يقفون في صف واحد مع المسلمين والمسلمات في هذه المظاهرات المليونية المستمرة في كل أنحاء الهند، بل

(١) انظر تقرير لجنة تقصي الحقائق التي ألفتها مفوضية الأقليات بدلهي:
https://archive.org/details/DMC-delhi-riots-fact-finding-2020

(2)"Protest as much as you can, CAA won't be taken back: Amit Shah at Lucknow rally," Hindustan Times, 21 June 2020 -- https://www.hindustantimes.com/india-news/no-provision-of-taking-away-citizenship-in-caa-union-home-minister-amit-shah-at-lucknow-rally/story-12bMymZk6qno252RIIK5rM.html

وحتى خارج الهند، يحملون العلَم الهندي في يد والدستور الهندي في اليد الأخرى، ويمكن اعتبار هذه المظاهرات بداية النهاية لحلم الدولة الهندوسية في الهند.

الشرطة الهندية قمعت المتظاهرين ضد قانون الجنسية ببشاعة، وتم فرض غرامات طائلة على المسلمين في بعض المناطق بحجة إلحاق الأضرار بالممتلكات العامة.

ويرى مراقبون أن هذه أكبر نكسة أصيب بها مشروع الدولة الهندوسية التي تريد الحركة الهندوسية إقامتها في الهند على أنقاض الدولة العلمانية التي أنشأها زعماء الهند بعد الاستقلال، ويمكن القول: إن حزب الشعب الهندي، الممثل للحركة الهندوسية القومية، لن يتمكن من إحراز الأكثرية في الانتخابات مرة أخرى، حيث أدركت قطاعات كبيرة وخصوصاً الشباب أن شعارات الحزب حول المساواة والنهضة الاقتصادية مجرد خداع، وليس لديه خطة سوى برامج الحركة الهندوسية الهادفة إلى إنشاء دولة هندوسية على حساب النظام الهندي العلماني.

تصعيد مستمر:

هناك مؤشرات تقول: إن الحكومة الهندية في طريقها لتصعيد أكثر في سعيها لتنفيذ كل برامج الحركة الهندوسية خلال الفترة الحالية المتبقية من عمر الحكومة الهندية قبل انتخابات مايو ٢٠٢٤م، فقد أكد موهان بهاغوات، رئيس منظمة «آر. إس. إس»، المنظمة الأم للحركات الهندوسية السياسية المتطرفة والرأس الموجِّه للحكومة، أن الخطوة القادمة للحكومة ستكون تنفيذ برنامج مولودَين لكل أسرة[1]؛ أي تحديد النسل بصورة قسرية، كما جرى في الصين سابقاً، وهو برنامج سبق أن حاولت إنديرا غاندي تنفيذه في منتصف السبعينيات، وكان موجهاً خصوصاً ضد المسلمين، وتمرد عليه، وكان من أسباب سقوط حكومة إنديرا غاندي عام ١٩٧٧م، ومنذئذ تكتفي الحكومات المتعاقبة في الهند بتشجيع تنظيم النسل بطرق مختلفة ولكن لا تلجأ إلى أساليب قسرية.

وهم يدعون بأن المسلمين يتكاثرون بسرعة لتحويل الهندوس إلى أقلية؛ وبالتالي سيتم تحويل الهند إلى دولة إسلامية في المستقبل القريب، وهم يرددون أن المسلمين يتزوجون بـ٤ نساء وينجبون ٢٤، وهذه في الحقيقة كانت أحد الشعارات التي كان رئيس الوزراء ناريندرا مودي يرددها عقب اضطرابات كوجرات، في فبراير ٢٠٠٢م، عندما كان كبير وزراء تلك الولاية، وهذه فرية، وقد ثبت من الإحصاءات الرسمية والدراسات الجادة أن تعدد الزوجات شائع بين الهندوس أكثر من المسلمين، وأن معدل زيادة المسلمين في تناقص، ولكن الذين يرددون هذه الشعارات لا تهمهم الحقائق، بل يختلقون «الحقائق» المزورة كل يوم تقريباً ويرددونها بهدف تهميش المسلمين واستقطاب الهندوس للفوز في الانتخابات.

ومن هذه البرامج أيضاً تغيير كتب التاريخ والمناهج الدراسية لتطهيرها من أي إشادة بحقب الحكم الإسلامي وملئها بأكاذيب تقول: إن الغزاة المسلمين نهبوا الهند واغتصبوا نساءها وأجبروا سكانها على اعتناق الإسلام وهدموا آلاف المعابد الهندوسية وبنوا عليها مساجد، وهي كلها أكاذيب، ولكن بسبب كثرة ترددها أخذ كثيرون من الهندوس يؤمنون بها.

(1) M Tariq Khan, "'RSS to shift focus to two-child policy', says Mohan Bhagwat," Hindustan Times, 19 January, 2020 -- https://www.hindustantimes.com/india-news/rss-to-shift-focus-to-two-child-policy-says-mohan-bhagwat/story-19zglEFSvlZrf1KIEDM9HL.html

ومن هذه البرامج أيضاً تغيير أسماء آلاف من المدن والقرى والشوارع والطرق والأحياء من أسماء إسلامية إلى أسماء هندوسية؛ ليتم محو المسلمين من ذاكرة التاريخ الهندي، حيث إن الأسماء الإسلامية للمدن والقرى إنما تذكر كل جيل بأن المسلمين هم الذين أنشؤوها.

والحملات مستمرة ضد المسلمين والمسيحيين أيضاً تحت عنوان أنهم يحملون الهندوس على اعتناق الإسلام والمسيحية بالإغراءات المادية، وهم يتهمون المسلمين بصورة خاصة بأن لديهم خطة مدروسة لحمل الهندوس على اعتناق الإسلام لكي تكثر أعداد المسلمين؛ وبالتالي يقيمون دولة إسلامية في الهند! ويتهمون المسلمين بأنهم يستخدمون أموال الخليج لتحقيق هذه الخطة! وقد جرى في الشهور الأخيرة اعتقال مئات من دعاة الإسلام ونشطائه بتهم أنهم يحملون الهندوس على اعتناق الإسلام بالإغراء المادي والغدر، وعلى رأس المعتقلين حالياً الداعيان المعروفان الشيخ كليم صديقي، ود. عمر غَوتَم، والأخير قد اعتنق الإسلام قبل عقود بسبب أخلاق زملائه المسلمين في الجامعة، وقد أصبح داعية متحمساً للإسلام، ويجري هذا الاضطهاد والتعسف رغم أن الدستور الهندي يكفل الحرية الدينية، ويعطي الحرية لكل مواطن هندي للعمل بدينه ونشره أيضاً.

الداعية الشيخ كليم صديقي: مسجون الآن بتهمة حمل الهندوس على اعتناق الإسلام

الداعية عمر غوتم: هندوسي اعتنق الإسلام وتحول إلى داعية، مسجون الآن بتهمة حمل الهندوس على اعتناق الإسلام

خلال السنوات السبع الماضية من حكم مودي، جرى إفراغ مؤسسات الدولة من مدلولاتها العلمانية، فبدأت الشرطة والقضاء (ببعض الاستثناءات) والجهاز البيروقراطي تتصرف وكأنها أجهزة الهندوس، ولا حق لغير الهندوس في الهند، وقد تم تعيين رجال «آر. إس. إس» أو من ترتاح لهم المنظمة كرؤساء هذه الأجهزة.

وجرى تركيع الإعلام، وخصوصاً القنوات الكبيرة؛ إما بالمال والإعلانات وإما بالإرهاب، بتسليط أجهزة الدولة عليهم من الشرطة ومفتشي الضرائب وقوات مكافحة الإرهاب التي تداهم بيوت ومكاتب من لا يطأطئ رأسه فيتم إذلاله ودسه في السجون بتهم ملفقة[١].

ويتم مهاجمة المسلمين وقتلهم على الهوية بتهمة ذبح الأبقار أو نقلها في عربات أو أكل لحومها، وتقوم مليشيات الهندوس بحراسة الطرق الرئيسة ليلاً، وتوقف العربات التي تقل المواشي، ولو وجدوا أن الناقل مسلم فيتم قتله أو على الأقل ضربه ضرباً مبرحاً قبل تسليمه للشرطة، وتتم عمليات القتل والضرب بطرق أخرى أيضاً مثل أن تطلب مليشيات الهندوس من مسلمين على الطرق العامة وفي مناطق الهندوس وعلى القطارات والأوتوبيسات بأن يبرزوا بطاقاتهم الشخصية، وحين يجدون أنه مسلم ينهالون عليه ضرباً وركلاً ينتهي أحياناً إلى موته، والشرطة عموماً لا تقوم بشيء، وإن قبضت على بعض الأشرار فهي أيضاً تسجل قضايا ضد الضحايا تتهمهم بجرائم لم يرتكبوها؛ وبالتالي يتم تخفيف جريمة الأوغاد المسلحين، وقد زادت عمليات «اللنش» (Lynching)؛ وهي قتل المسلم على الهوية، مثلما كان يجري للسود في الولايات المتحدة حتى منتصف القرن التاسع عشر، وقد تم إعدام ١٤٧ مسلماً، وإصابة ١٧٧ آخرين بجروح بهذا الأسلوب البشع خلال سنوات ٢٠١٤ – ٢٠٢٠[٢]، وفي إحدى المرات قام وزير في حكومة مودي بتقليد المجرمين قلائد الزهور بعد أن أفرج عنهم القضاء بكفالة، فنرى هنا الوزير جايانت سينها

(١) ومن هؤلاء كاتب هذه السطور، فقد سجلت ضدي ثلاث قضايا حتى الآن في ظل مودي؛ إحداها قضية الفتنة والعصيان بسبب تغريدة شكرت فيها دولة الكويت لاهتمامها بمسلمي الهند، والثانية قضية تشجيع الإرهاب بتهمة ملفقة تزعم أنني أموِّل الإرهاب في كشمير، وتم بهذه الحجة مداهمة بيتي ومكتبي ومصادرة الكثير من الأجهزة كاللابتوبات وديسكات الكمبيوترات وأجهزة الموبايل ومبالغ كبيرة من المال وكثير من الأوراق والوثائق، والثالثة هي قضية الفتنة والفساد والإرهاب بسبب تغريدات لي نشرت فيها أخبار الاضطرابات المعادية للمسلمين في ولاية تريبورا في أواخر أكتوبر الماضي، وقد طلبت شرطة تريبورا من شركة «تويتر» إغلاق حسابي على «تويتر» ولكنها لم تستجب.

(٢) حسب دراسة قام بها هذا الباحث ولم تنشر بعد، والحكومة الهندية لا تنشر إحصاءات القتلى في جرائم «اللنش».

يقلد المجرمين الزهور ويلتقط الصور معهم في بيته، في ٨ يوليو ٢٠١٨م:

الوزير جايانت سينها يقلد قتلة المسلمين الزهور ويلتقط الصور معهم

مسلمان من تجار الأبقار تم ضربهما بالعصي حتى الموت ثم تم شنقهما على شجرة في لاتيهار بولاية جهارخاند في ١٨ مارس ٢٠١٦م (إنديا تايمز)

وبسبب الدعاية المستمرة ضد الإسلام والمسلمين؛ استشرى الحقد على المسلمين إلى عامة الناس، وقد اندهش العالم من شدة هذا الحقد حين انتشر فيديو لمصور صحفي وهو يقفز على جثة فلاح مسلم أعزل كان رجال الأمن قد أردوه قتيلاً قبل لحظات، وذلك خلال عملية طرد آلاف من الفلاحين من أراض زرعوها وعاشوا فيها منذ خمسة عقود، ولولا هذا الفيديو لما صدّق العالم مستوى هذا الحقد الأسود الذي يتجلى في عمليات القتل على الهوية حين يقتل غلاة الهندوس مسلمين عزلاً لا يعرفون شيئاً عنهم سوى أنهم مسلمون.

مصور صحفي يقفز على جثة مسلم أعزل

وهناك حملات مستمرة على اللحم «الحلال» باعتباره علامة على «الاستعمار الإسلامي»! ويتم إجبار مطاعم المسلمين على الإغلاق في مناطق الهندوس، أو وضع علامة «الحلال» عليها لكي لا يرتادها هندوس.

وأيضاً هناك حملات لإزالة مكبرات الصوت من المساجد، ومنعها من الترميم والتوسعة، ومنع المسلمين من بناء مساجد جديدة، إذ يكفي أن يشتكي هندوسي إلى السلطات بأن المسلمين يبنون مسجداً جديداً حتى تتحرك السلطات لمنع ذلك، حتى في الأرياف، حيث لا ضرورة للحصول على إذن لبناء بيت أو مسجد، أما في المدن،

فالسلطات المختصة عموماً ترفض إعطاء تصاريح بناء مساجد جديدة، وقد قامت في الشهور الأخيرة مشكلة كبيرة في منطقتي غورغاؤن ونويدا المتاخمتين للعاصمة الهندية؛ حيث كان المسلمون منذ عشرات السنين يؤدون صلاة الجمعة في الميادين العامة المملوكة للدولة بسبب قلة المساجد هناك، ولكن قامت جماعات الهندوس الغلاة بالاحتجاج على هذا، وبدأت تجتمع عند صلاة الجمعة كل أسبوع عند عشرات الأماكن وتعربد هناك، وترش المياه في تلك الميادين، وتنشر فيها روث الأبقار، وتشتكي إلى السلطات، حتى تم منع المسلمين من أداء صلاة الجمعة في هذه الأماكن، ومع هذا النشاط الحاقد تجري محاولات الهندوس هنا وهناك للاستيلاء على أراضي مقابر المسلمين وأراضي الأوقاف الإسلامية في الأماكن النائية، وحيث يكون المسلمون أقلية ضعيفة.

وتجري شيطنة الإسلام والمسلمين كل يوم على أيدي أفراد وجماعات محسوبة على الحزب الحاكم والحكومة بواسطة نشر تعليقات جارحة ومعلومات وأخبار ملفقة عن الإسلام والمسلمين والعرب وباكستان، ولا تتخذ الحكومة أي إجراء على هذا النشاط الذي يجري كل يوم من أيام السنة، ويشارك فيه مئات، وأحياناً آلاف من ناشطي الهندوتوا على منصات التواصل الاجتماعي، وهم يستخدمون ويسخرون من كلمات مثل «الجهاد»، و«الجهادي»، و«الذمي»، ويدَّعون أن الإسلام ليس ديناً، بل طائفة مارقة (cult)، وأن الإسلام يعلّم الإرهاب، وسيكون هناك إرهاب حيثما وجد المسلمون، ويمجدون «إسرائيل» لأنها تدوس على رؤوس المسلمين! والحزب الحاكم يوظف آلافاً من هؤلاء لنشر الحقد والكراهية ضد كل من يعتبره أعداء له، ومنهم المسلمون، وذلك بهدف إحداث الاستقطاب على خطوط دينية، ونفس هذه الحكومة تسارع إلى تسجيل قضايا ضد هندوس عادلين ومسلمين يثيرون قضايا الإرهاب الفكري ونشر الكراهية على أيدي زعماء الحزب الحاكم ومؤيدي الحزب، ويتم الزج بهؤلاء في السجون بأتفه الأسباب وتوجه إليهم تهم إحداث الفتنة والإرهاب!

كاريكاتير لمصور صحفي يقفز على جثة مسلم قتلته الشرطة يوم ٢٣ /٢٠٢١/٩م خلال عملية طرد الأهالي من أراض سكنوها منذ خمسة عقود

لا أمل في تراجع مودي:

ونظراً إلى العناد المعروف عن رئيس الوزراء الحالي ناريندرا مودي والمنظمة الأم التي ينتمى إليها، فليس هناك أمل في أن الحكومة الحالية ستتراجع عن خططها بغية تحويل الهند إلى دولة هندوسية قبل نهاية فترتها الحالية، رغم ثورة قطاعات كبيرة من مواطني الهند على هذه الخطط، وفي مقدمتهم مسلمو الهند، والأمل كبير في أن هذا الحزب سيسقط في الانتخابات العامة القادمة التي ستُجرى في مايو ٢٠٢٤م، حيث لا يُعتقد أن

حزب الشعب الهندي سيفوز لفترة ثالثة بسبب فشله المزري في كل الميادين، وخصوصاً الاقتصاد الهندي الذي هو في حالة تدهور مستمر منذ مجيء مودي للسلطة، وقد فشلت الحكومة في جلب «الأموال السوداء» (أي الأموال التي لم تدفع عليها الضرائب) المودعة في البنوك الأجنبية أو كبحها داخلياً رغم إلغاء أوراق النقد من الفئة العالية (٥٠٠ و١٠٠٠ روبية)، في ٨ نوفمبر ٢٠١٦م، بحجة أن هذا سيقضي على الأموال السوداء المكدسة عند الأغنياء، ولكن الذي حدث هو أن هذا الإجراء أربك الاقتصاد الهندي، وقضى على ملايين من فرص العمل، وأغلق مئات الآلاف من المصانع الصغيرة والدكاكين، وبعد ذلك بقليل أدخلت الحكومة نظام الضريبة المركزية (GST)؛ مما أربك السوق الهندية مرة أخرى، ولا يزال الاقتصاد الهندي مرتبكاً، فقد انخفضت المصنوعات وتدنى التصدير وارتفع معدل التضخم ولا تعرف الحكومة كيف تتصرف، وهي تحاول التغلب على هذه المشكلات بإجبار البنك المركزي على إعطائها مخزونه من الودائع الاحتياطية وبيع شركات القطاع العام، وكلاهما مضرّ لاقتصاد البلاد على المدى البعيد، وبدلاً من تقديم حلول للمشكلات الاقتصادية والسياسية والإدارية، تبحث حكومة مودي دائماً عن قضايا عاطفية وتثير حملات الحقد الطائفي لإلهاء الشعب، واللعبة المفضلة عند مودي وزعماء حزبه هي اتهام باكستان لكل ما يحدث في الهند من مشكلات، لدرجة أن أحد زعماء المعارضة تساءل: «هل مودي ممثل باكستان في الحكومة الهندية؟!»، وقد عبر كاريكاتير نشر حديثاً عن هذه الألاعيب بصورة طريفة حين نرى مودي يقابل الطلبة لإعطائهم بعض النصائح قبل الامتحانات فيسأله أحد الطلاب: «هل أتهم باكستان حين أرسب في الامتحان؟!».

هندوتفا.. منظماتها وأفكارها ونظرتها للمسلمين- دراسة وتأصيل

برهان أحمد الصديقي[١]

تضم الهند ثقافات عديدة، وديانات كثيرة، وأشخاصاً ذوي هويات متعددة، وألسنة مختلفة، وولاءات متنوعة، يجتمع كلها في دولة واحدة ذات دستور واحد، يحدد لهم الواجبات والمتطلبات، ويوضح لهم الحقوق، ولا يملك أحد أن يجردهم من تلك الحقوق المكتسبة أو يجبرهم على التخلي عنها.

هذه هي الفِكرة التي أسست عليها البلاد يومَ استقلالها وحين تدوين دستورها في قيادة حزب «المؤتمر الوطني الهندي»، وهو حزب علماني، وكان أول رئيس وزراء للهند حازماً على «الوطنية الاقتصادية»، رافضاً «للوطنية ذات لغة خاصة وديانة محددة وثقافة متعينة»[٢]، فالتزم معظم المسلمين حزب «المؤتمر الوطني الهندي» باحثين عن وطنية كاملة، فهل بلغ بحثهم مراده؟ أم لاحقتهم كبوة سياسية في الطريق؟ وهل استمر حزب «المؤتمر الوطني الهندي» في رحلته السياسية ملتزماً أيديولوجيته الديمقراطية؟ هذه هي الأسئلة التي لا يزال يناقشها المثقفون، وعلى المسلم أن يبحث عن أجوبة لهذه الأسئلة المطروحة في المجتمع وفي حياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وفي جانب آخر، حركة «آر.إس.إس» ورئيسها غولوالكر كان من المدافعين المتحمسين عن «القومية الثقافية»[٣]، كما وصف غولوالكر «الهند هي أرض الهندوس، وهي الأرض

(١) كاتب صحفي ومترجم. البريد الإلكتروني: burhangnf@gmail.com

(2) Irfan Habib، Indian Nationalism: The Essential Writings، p. 2

(3) Shashi Tharoor, The Battle of Belongings, p.170

الثابتة للأمة الهندوسية وحدها لتزدهر عليها»[١]، فكان رجالها وأتباعها مؤيدين لبناء الهند مصبوغة في صِبغة الديانة الهندوسية غير الجمهورية ومعها كانوا حاملين فكرة التمييز الشديد بين الشعب الهندوسي على أنسابهم، فلم يرحّب بها كبار القادة ورفضوا قبولها والتسليم بأفكارها، وإن بذلت الهندوتفا جهوداً شاملة.

إن كانت الهندوتفا وأعوانها فشلوا في بناء البلاد وفق مشروعها إبان الاستقلال، لكن اليوم وصلت إلى مسند الحكومة وانتشرت أفكارها وأتباعها في جميع أنحاء البلاد وخارجها، حتى لم يعد اليوم كافياً معارضتها سياسياً فحسب، بل يجب مقاومتها فكرياً أيضاً؛ لأن «الإنسان يعيش طوال حياته مطارداً من أفكاره وهواجسه، ولا أحد يستطيع أن يهرب، فكلما هربت من شيء ظهر لك شيء آخر لتهرب منه»[٢]، حيث يتبع الإنسان خطوات أفكاره حتى يبلغ حيث يأخذه فكره ولو لم يشعر.

فإذا أردنا أن نتعرف على أسرار انتصار الهندوتفا ومنهجها التنفيذي بين الشعب، فلا بُد من النظر في أيدولوجياتها وكتابات قادتها والتأمل فيها وتحليلها.

الفرق بين الهندوس والهندوتفا:

«الهندوسية» هي ديانة يتبعها غالبية الهنود، والهندوتفا (Hindutva) هي أيديولوجية[٣] للتعبئة السياسية بين أغلبية سكان البلاد[٤]، وتقود الهندوتفا منظمات مختلفة بوظائف عديدة لتحقيق أهدافها ولجعل أيديولوجياتها فعالةً وشائعةً بين الناس، ومنها منظمة المتطوعين القومية الهندوسية «راشتريا سوايامسيفاك سانغ (RSS)، وحزب فيشفا هندو باريشاد (VHP)، وحزب بهاراتيا جاناتا (BJP)»، ومنظمات أخرى كما تُسمّى مجموعتها «عائلة السانغ» (Sangh Parivar)[٥][٦]، و«إن مصطلح الهندوتفا اخترعه وي دي ساوركر في هذا المعني في عام ١٩٢٣م، واختاره حزب «بهاراتيا جاناتا (BJP) كأيديولوجيا له في

(1) M.S Golwalkar, We or Our Nationhood Defined, Nagpur: 1945

(٢)إبراهيم المحلاوي، دراغونوف، الوغد المجهول

(3) A.G Noorani (2006) «The Supreme Court on Hindutva1». The Supreme Court on Hindutva. Oxford University Press. P 7683-

(4) Romila Thapar, Reflections on Nationalism and History: On Nationalism, p.35.36

(5) The Hindutva Road, Frontline, 4 December 2004

(6) V. Krishna Ananth (2011). India Since Independence: Making Sense of Indian Politics, p.324

عام ١٩٨٩م، وكان معظم كبار السياسيين الهندوس قد رفضوها إبان الاستقلال، وما زال يعارضها وينتقدها عدد كبير من المثقفين الهندوس؛ لأن جميع الهندوس لا يؤيدون هذه الأيديولوجيات، ولا يرغبون في أن يكونوا من أنصارها.

أبرز أصحاب نظرية الهندوتفا:

من أبرز أصحاب نظرية الهندوتفا ثلاثة أشخاص:

١- ونايك دامودر ساوركر (المتوفى عام ١٩٦٦م):

هو أول من اخترع فِكرة الهندوتفا، ووضّح أفكاره في كتابه «Essentials of Hindutva[١]» في عام ١٩٢٣م، ووصف فيه مواصفات لشخص هندوسي من الناحية العِرقية والثقافية والسياسية، وأعاد نشره الجديد في عام ١٩٢٨م تحت عنوان «Hindutva: Who is a Hindu؟»[٢]، فيعتبر هذا الكتاب النص التأسيسي للعقيدة القومية الهندوسية.

وله كتاب آخر باسم «Six Glorious Epochs of Indian History»[٣]، يفضل هذا الكتاب وجهة النظر لدراسة تاريخ الهند مختلفاً عن المؤرخين الذين يركزون على فهم المجتمع الهندي من حيث استمراريته وخصائصه المشتركة، بل نجد عند ساوركر، وعند مؤرخي الهندوتفا كأن الماضي يتعلق فقط بالتاريخ الهندوسي في الفترة المبكرة، وواجه الهندوس إيذاء في ظل الحكم الاستبدادي للمسلم[٤]، لا شك فيه بأنه ومن يتبعه يتجاهل عن حقيقة بأن الثقافة الهندوسية ازدهرت جنباً إلى جنب مع الثقافات الأخرى في حكم المسلمين بعيداً عن أن تكون ضحية[٥]، فاعترف بها المحلل السياسي الشهير بيبن جندرا قائلاً: «حكم المسلمين لم يقوّض سلامة الثقافة الهندوسية قط»[٦].

٢- مادهوراو غولوالكر (المتوفي عام ١٩٧٣م):

قاد غولوالكر حركة «آر.إس.إس» لمدة ثلاثة عقود (١٩٤٠ - ١٩٧٣م) كرئيسها،

(1) V.D Savarkar, Essentials of Hindutva, Bombay: Veer Savarkar Prakashan, 1923,(first edition)
(2) V.D Savarkar, Hindutva: Who is a Hindu? Veer Savarkar prakashan, Bombay
(3) V.D Savarkar (1971) Six Glorious Epochs of Indian History (Tr. Ed. S.T Godbole), Associate Publishers, New Delhi
(4) Romila Thapar, On Nationalism, p. 12
(5) Romila Thapar, Reflections on Nationalism and History: On Nationalism, p13
(6) Irfan Habib, Indian Nationalism the essential writings, p.15

وهو الذي يمثّل أيديولوجيات هندوتفا على أساس الفلسفة الهندوسية القديمة والأفكار الروحية الدينية التي جعلت كتاباته شائعة ومقبولة بين الشعب الهندوسي[١]، ومهدت الطريق أمام الهندوتفا أن تثبت أقدامها في المجتمع الهندي.

وأكد في كتبه بأن ساوركر هو أول منظّر للقومية الهندوسية ولا سيما في كتابه عام ١٩٣٩ «We or Our Nationhood Defined2» وفي مختارات كتاباته وخطبه Bunch of Thoughts3

لقد أوضح في كتاباته أن الهند كانت الأرض المقدسة للهندوس، يكتب: «الهند هي أرض الأمة الهندوسية وحدها تزدهر فيها»[٤].

٣- دين ديال إبادهيائ (المتوفي عام ١٩٦٨م):

هو صاحب نظرية حزب بهارتيا جاناتا (BJP)، ومن مؤسسيه البارزين حزب بهارتيا جاناتا يمثل هندوتفا سياسياً ويشارك في الانتخابات.

لقد وضّح وجهات نظره عن حزبه في محاضراته الأربع التي ألقاها في مومباي عام ١٩٦٥م وأعطاه عنوان «فكرة إنسانية متكاملة»[٥]، فتقبلها حزب بهاراتيا جاناتا كفكرته السياسية وأضافها في دستوره[٦]، ويجب على جميع أعضائه أن يقرروها.

أفكار الهندوتفا الأساسية:

ولو يزعم زعماؤهم ومفكروهم بأن فكرتهم ترحب بعقائد مختلفة وأفكار متنوعة في رحابها وتتعايش مع غيرها من عقائد ومناهج في الأمن والسِّلم، ولكن سياساتهم اليومية ترفض ادعاءاتهم تماماً، فنحاسب أفكارهم الأساسية حتى نطلع على حقائقها لكيلا يكذب علينا كاذب ولا يبالغ أمامنا قادح.

---

(١) سيد سعادت الله حسيني، هندوتوا كي فكري أساسيات، ماه نامه زندكے نو، جولائ ٢٠٢١ صفحه ٧

(2) M.S Golwalkar, We or Our Nationhood Defined, Nagpur

(3) M.S Golwalkar, Bunch of Thoughts, Sahitya Sindhu Prakashan, Bangalore

(4) M.S Golwalkar, We or Our Nationhood Defined, Nagpur: 1945

(5) Thomas Blom Hansen (1999) The Saffron Wave: Democracy and Hindu nationalism in modern India

(6) Constitution of Bhartiya Janta Party, https:/www.bjp.org/en/constitution, retrieved on 122021-6-

وقفات عند أفكار الهندوتفا الأساسية:

وحدة الوجود:

هذه نظرية قديمة أصلها من كتب الهندوس المقدسة، وليست من نظرية روحانية فحسب، بل تؤثر على المجتمع، والثقافة، والسياسة والقانون، كما يُقال في باب هذه النظرية -وحدة الوجود- بأن أصل الكون واحدٌ وهو «برهما» اسم إلههم الأعظم، فروح الإنسان مكتسب منه، وجميع أعضاء الكون من أجزاء وجوده.

في مقابلة مع الصحفي المسلم جيلاني، ردّ غولوالكر، رئيس «آر.إس.إس» قائلاً: «هذه فكرة ليست للهندوس ولا للمسلم، بل للجميع، وهي بأن الوجود واحد، وهو الحق، وهو الخالق، وهو الرب، وهو قادر على تدمير كل شيء، وجميع الأفكار التي توجد بيننا في الإله هي تصل إلى هذا الوجود الواحد، وأصله الأساسي يوحّدنا جميعاً، ولا يحصر نفسه لدين واحد، فإن الدين منهج للعبادة»[١].

مفكرون من الهندوتفا يركضون إلى هذه الفِكرة لكي يوحّدوا أدياناً مختلفة وفِرقاً متنوعة من الهندوس، ويجمعوهم تحت لوائهم، وهم يدركون حق الإدراك بأن المسلم لا يثق بهذه العقيدة في أي حال من الأحوال؛ لأنها مناقضة للعقائد الإسلامية تماماً، فيستخدمونها ضد المسلمين، وينتقدون الأديان السامية -المسيحية والإسلام- في ظل هذه الفكرة، ويستغلونها لتحقيق أهدافهم السياسية بين الأغلبية.

القومية:

جميع مثقفي الهندوتفا يؤمنون بالقومية المتشددة، والقومية فكرة أوروبية حديثة تشتمل على الشعب والعِرق والسيادة الوطنية والدولة وما إلى ذلك، فاختارت الهندوتفا فكرتها القومية مع إضافة الفلسفة القديمة الهندوسية من كتبهم الدينية (الويدا)[٢].

ويُعتبر ساوركر أول مفكر الهندوتفا من وضّح فكرة القومية المركبة بالفلسفة الدينية القديمة مع الفلسفة الغربية الحديثة، اسم الهندو لديه اسم لقوم يرتبط رجاله مع

(1)Rakesh Sinha, Sri Guruji and Indian Muslims, page 11 PDF available at http://www.archivesofrss.org/Encyc/201419--02-07-23/21/1/Muslim.pdf retrieved on 122021-06-

(٢) سيد سعادت الله حسيني، هندوتوا كي فكري أساسيات، ماه نامه زندگے نو، جولائ ٢٠٢١ صفحه١٢

الآخر في وحدة الثقافة، وشراك العرقية، ووحدة الجغرافيا معاً، ومن اعتنق الإسلام أو النصرانية فهو يعدهم من قوم مختلف غير قومهم[١].

الهند الأم:

في نصوص الديانات الهندوسية القديمة لا يوجد إله «بهارات ماتا» (الهند الأم)، ولم يكن لها صنم، ولم يوجد بهذا الاسم صنم يُعبد في تاريخها القديم، الذي خلق هذا الصنم هو الروائي بانيكم، ورفع الوطنية إلى منزلة الدين في روايته الشهيرة «أنانداماث»[٢]، وبدأت عبادة الخريطة الهندية مع صورة إله «كالي ديوي»، وتمت تسميتها بـ «بهارت ماتا»؛ يعني «الهند الأم»، فعندما يهتفون باسمها فلا يهتفون البلاد، بل ذلك الصنم المختلق[٣]، والأمر الآخر الذي يجدر الانتباه إليه هو أن الهندوتفا (الهند الأم) شعار رمزي لـ «دولة هندوسية»[٤].

ولذا، يرفض المسلمون هتافها حتى يجبرهم أحد، وتنتقدهم الهندوتفا على رفضهم وتطعنهم في محبتهم للوطن، وتقدّم هذا الشعار أمام الجميع كعلامة الحب للوطن، فقال الكاتب الهندوسي الشهير بروهت ناقداً لهم: «عندما يخبرنا النشطاء من حزب بهاراتيا جاناتا أنه من المناهض القومية «فلا تهتم بهم، لأنهم لا يحملون الولاء للقومية الهندية بل للقومية الهندوسية وللهندوتفا»[٥].

من هو قوم هندي عند الهندوتفا:

«من هو هندي؟»، اختلف ساوركر في ردّ هذا السؤال من المثقفين الهنود وباحثيهم، وكتب كتابات مختلفة فيه، لديه «كلمة هندو» ليس لمتبع ديانة خاصة، بل من يمتلك ثلاثة مواصفات -أولها من وُلد في الهند ووُلد في الجِنس الهندي ومن يعتنق ثقافة هندية- فهو «هندو» لديه[٦]، فإن المسلم الهندي يمتلك اثنين منها، ولكن المشكلة في الثالثة، فإن الثقافة

(1) V.D Savarkar, (1963), Hindu Rashtra Darshan Vol2, Maharashtra Prantic Hindu Sabha, Pune p.52
(2) Bankim Chandra Chattopadhyay, Anandamath 1882
(٣) برهان أحمد، الأقليات الهندية بين الوطنية الزائفة والشعارات الفارغة، مجلة المجتمع الثلاثاء ٢٨ سبتمبر ٢٠٢١
(4) Chetan Bhatt, Hindu Nationalism: Origins, Ideologies and Modern Myths, Goldsmith College, University of London
(5) B.R Purohit, Hindu Revivalism and Indian Nationalism
(6) V.D Savarkar, Hindutva: Who is a Hindu? Veer Savarkar prakashan, Bombay, p.117

لها تعريفات عديدة، فإذ قلنا: الثقافة هي سلوك اجتماعي من اللغة، والملابس والمأكولات والفن والموسيقى وغيرها، فيشارك المسلم مع الآخر من مواطن الهند، ولكن يضاعف ساوركر فيها رسومات قديمة وأعياداً هندوسية، فيخرج المسلم هنا من تعريفه للثقافة.

فجاء غولوالكر مشيراً بحل هذه المشكلة فقال: «على المسلمين والمسيحيين أن يندمجوا في الهندوس، ولهم حرية الاحتفاظ بمعتقداتهم وممارساتهم الدينية، ولكن يجب عليهم أن يجتنبوا من الثقافة الغربية والمشاعر الداخلية مع أماكن أجنبية تقع خارج الهند، وذلك يعني أن عليهم أن يصبحوا وفقاً للمواصفات المذكورة لكون قوم هندي»[١].

لا شك فيه بأن كلماته تخالف الحقوق الأساسية التي يكفلها الدستور الهندي والحرية التي يودّ جميع البشر أن يتمتعوا بها بكرامة كاملة، فلم يجد رئيس حركة «آر.إس.إس» الحالي موهن بهاغوت حيلة إلا أن يزين فكرة رئيسهم السابق ببلاغة أدبية وكلمات جميلة فقال: بعيداً عن الدين، والثقافة، كل واحد يحترم تراث الهند وثقافتها هو هندوسي. وتحسب حركة «آر.إس.إس» جميع مواطن الهند «الهندوس»، ونحن نرغب في بناء دولة موحّدة من هذا القبيل[٢].

يمكن لأتباعه أن يرددوها ويزيّن بها أحاديثهم، لكن لا تجدي نفعاً ما دام تغذية العداوة والبغضاء للأقليات وخاصة للمسلمين متوافرة في أفكارهم الأساسية التي تخالف المسلمين في حياتهم اليومية وتنصحهم لترك شخصيتهم الخاصة، وتُبعدهم من شعاراتهم الدينية، وتحرّمهم من محبة بطولاتهم التاريخية، وتطلب منهم إغماض أعينهم من بعض الإرشادات النبوية والتعليمات القرآنية التي تجلّلها المجد وتكسوها الشموخ، وتشجّعهم على المشاركة في العبادات الهندوسية والرسومات القديمة باسم القومية والوطنية، وتبني حولهم جدار الخوف واليأس، فماذا يبقى للمسلم إلا الحياة واتباعهم عمياء؟ حياة لا إشراق فيها ولا جمال!

(1) M.S Golwalkar, Bunch of Thoughts, Sahitya Sindhu Prakashan, Bangalore
(2) RSS regards 130 crore population of India as Hindu society: Mohan Bhagwat in Hindustan Times, Delhi, December 25, 2019

تأطير مسلمي الهند
في قضايا الإرهاب الملفقة

د. محسن عتيق خان[١]

يتناول هذا المقال تأطير الشباب المسلمين وخاصة المثقفين منهم بتهمة الإرهاب في الهند، واعتقالهم في السجون لسنوات عديدة، ومعاناتهم خلال احتجازهم، وفي النهاية تبرئتهم بعد محاكمة طويلة بصورة عدم وجود الأدلة أو اكتشاف تلفيق القضية.

نجحت الهند في وضع الدستور العلماني الذي يعطي حقوقاً متساوية لجميع مواطنيها بغض النظر عن العرق والدين، ولكن التطرف والتعصب والطائفية الدينية التي تسببت في تقسيم الهند إلى دولتين عند استقلالها لم تتوقف، بل واصلت مسيرتها وتسربت إلى المجتمع الهندي والمسؤولين الكبار في السلطة[٢] عميقاً بمحاولة الساسة المتطرفين، وبلغت أوجها في العقد الماضي، كما يقول ببان تشاندرا: «التعصب الطائفي والمتطرفون الطائفيون قد شقوا طريقاً جدياً في أجهزة الدولة منذ سنوات؛ وبالتالي، فإن العديد من الضباط والمسؤولين قد خانوا الميول الطائفية وشجعوا القوى الطائفية علانية أو خفية، وبصفة خاصة قوات الشرطة المتطرفة الطائفية قد جعلت الأمر أسوأ بسبب تراخيها في اتخاذ الإجراءات، أو عن طريق مساندتها للهندوس الطائفين في الاضطرابات الطائفية»[٣].

وما نقل سلمان خورشيد عن هارش ماندير في كتابه الأخير يدل على منتهى شيوع

(١) رئيس تحرير مجلة «أقلام الهند».

(2)Bipan Chandra, History of Modern India, Oriental BlackSwan, New Delhi, 2009, page no. 320.

(3) Bipan Chandra, Aditya &Mridula, India Since Independence, Penguin Books, New Delhi, 2008, Page no. 606.

الطائفية في عامة الناس من الهندوس في السنوات الحالية، فيقول: «المسلمون منبوذون اليوم، هم أيتام سياسيون لكل حزب سياسي.. والذي يؤدي إلى أكبر يأس هو افتراض جميع الأحزاب السياسية بأنها تفقد أصوات الجمهور الهندوس إذا اقتربت من المسلمين، وعندما قالت سونيا غاندي: إن حزب المؤتمر الهندي عانى من الخسائر؛ لأن حزب بهارتيا جاناتا أقنع الناس بكون حزب المؤتمر الهندي حزب المسلمين، شعر المسلمون بأن طردهم من السياسة قد اكتمل، فالأحزاب السياسية تتجنب ترشيح المسلمين في الانتخابات، وتخاف من أن تتكلم عن قضايا العنف والتمييز التي يواجهها المسلمون كل يوم، وكذلك لا تسعى الأحزاب إلى أصوات المسلمين علانية»[1].

حتى بدأت الأحزاب العلمانية تخاف من وجود الوجوه المسلمة في صفوفهم، وهذا ما ضيق الخناق على المسلمين في الهند، فجعلهم عرضة لأنواع من التعذيب، وفريسة سهلة لإشباع الطمع والجشع لدى الشرطة والساسة، ومن ضمنها تأطير الشبان المسلمين، وبشكل بارز المثقفين منهم في قضايا الإرهاب المزيفة، وبصفة خاصة بعد حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، حيث بدأت ملاحقة المسلمين على المستوى العالمي.

وهناك نوع من العلاقة بين الشرطة والساسة والإعلام، فكلما تقوم الشرطة بعملية لتأطير شاب مسلم مثقف؛ يسعى الإعلام من الصحف والقنوات الفضائية خاصة إلى تسميته كإرهاب بدون أي تحقيق، وبدون أي سؤال، فيظهر الخبر على الصفحة الأولى من الصحف، وهذا أصبح أمراً شائعاً نشاهده كل يوم، ومن الغريب أنه عندما يتم تبرئة ذلك الشاب من جميع التهم في المحكمة بعد سنوات عديدة، لا يتم نشر أي خبر عنه أو ينشر في زاوية من الصحيفة لا ينظر إليها أحد.

أسباب التلفيق والمنهجية المختارة:

هذه العمليات تحدث دائماً بناء على طلب بعض الساسة لتحويل انتباه الناس من القضايا المهمة، أو للحصول على الميدالية أو الترقية في الوظيفة من جانب بعض المسؤولين الكبار في الشرطة والسلطة، أو فقط لإشباع كراهيتهم الطائفية للمسلمين في كثير من الأحيان.

(1) Salman Khurshid, Visible Muslim Invisible Citizen, Rupa Publications, New Delhi, 2019, Page no. 22 &23.

ولكن هذه العمليات الشنيعة تدمر الأسرة بأكملها وحتى الحي الكامل أو المنطقة بأجمعها؛ فتنشأ لها صورة نمطية في المجتمع، ويشار إليها بتحقير وسخرية، وممكن أن نشير إلى حي بتله هاؤس في دلهي، ومديرية أعظم جراه في ولاية أترابراديس، على سبيل المثال، ومعدل الإدانة التافه في مثل هذه القضايا -٣٠٪ فقط كما كشف تحقيق «آر تي آي»- ينسب إلى عدم الكفاءة، مهارات التحقيق السيئة أو البنية التحتية السيئة، ونظرة فاحصة تكشف عن المنهجية الخاصة في معظم هذه القضايا كما يلي:

- المعلومات السرية -التي لا يمكن كشفها أو تحقيقها أبداً- تؤدي الشرطة إلى المتهم.

- نادراً ما يتم ضم شاهد حر أو الشهود من الجمهور في العملية الحقيقية سواء كان تم القبض على المتهم في الأماكن العامة وبحضور حشد من الناس.

- يتم استخدام السيارات الخاصة وليست سيارات الشرطة لكي لا يتكمن أحد من تحقيق هل كانت حدثت هناك عملية من تلك النوع في الحقيقة.

- يتم الكشف في المحاكمة اللاحقة بأن المتهم كان قد ألقي القبض عليه قبل تاريخ القبض بكثير، وهكذا تسعى الشرطة إلى إخفاء الاعتقال غير القانوني، السمة البارزة في مثل هذه القضايا من خلال الروايات الملفقة.

- ويتم -في معظم الأحيان- إعداد مذكرات المصادرة في مكتبات الشركة، وليس عند وقت المصادرة، وفي كثير من الأحيان بنفس الحبر وبنفس خط اليد الذي تم به تسجيل «إف آي آر».

- يتم حماية كبار الضباط من الحضور في المحكمات عن طريق عدم تسجيلهم في ضمن الشهود.

- علاقة بين الوحدات الخاصة ووكالات المخابرات المركزية شرطة مناطق الصراع بصفة خاصة ولاية جامو وكاشمير، ومني بور[1].

والجدير بالذكر، في بعض الأحيان يتم القبض على المتهم بأدلة مضحكة، على سبيل

(1) Jamia Teachers' Association, Framed Damned Aquited: Dossiers of a very Special Cell, Al-Hasanat, New Delhi, 2009, Page no. 7 & 8.

المثال؛ تم إلقاء القبض على بعض الطلاب من الطبقة المتخلفة بدليل أن بحوزتهم كتباً عن بهاغت سينغ، وتشاندرا شيكار آزاد، وهما من أبرز قادة حركة استقلال الهند(١)، ومن ضمنها القبض على الشبان المسلمين في التفجيرات التي وقعت في مساجد المسلمين وأحيائهم، على سبيل المثال؛ في قضية تفجيرات مدينة ماليغاؤن في عام ٢٠٠٨م، وفي قضية تفجير بالمسجد الجامع التاريخي في مدينة دلهي.

فيما يلي نورد للقراء قضيتين للشابين المسلمين المثقفين لفهم ما يعاني الشبان المسلمون الذين يتم احتجازهم واعتقالهم بتهمة الإرهاب.

القضية الأولى:

الاسم: طارق أحمد دار.

ألقي القبض عليه: ١٠ نوفمبر ٢٠٠٥م.

تمت تبرئته: ١٦ فبراير ٢٠١٦م.

كان طارق أحمد دار رجلاً مثقفاً، قد حصل على شهادة الماجستير في العلوم من جامعة كاشمير، والماجستير في إدارة الأعمال في مجال التسويق، وعُيِّن مسؤولاً كبيراً في شركة جونسون آند جونسون الأمريكية، خلق له سمعة طيبة في شركته بجهوده المتتالية؛ فحصل على الميدالية الذهبية لأفضل موظف في الفرع الهندي لشركته خمس مرات، وكذلك حصل على الشهادات التقديرية لأكثر من ثلاثين مرة من جانب شركته.

في ذلك اليوم المشؤوم، كان قد ذهب إلى أنانت ناغ مع صديقه المحامي عبدالمتين في رحلة رسمية له، عندما خرج من مدينة أنانت ناغ لمدينته شري ناغار في كاشمير، كان الليل قد بدأ يرخي سدوله، وفي الطريق رأى سيارة تحاذيه وسائقها يشير إلى عجلة سيارته، فظن أنه ربما حدث ثقب في إطار عجلته وأوقف سيارته، ولكن ما إن بدأ يعاين العجلات، شعر على رأسه شيئاً، وعندما استدار دُهش إذ وجد نفسه محاطاً برجال في أيديهم البندقيات صوُبت إليه! أخرجوا من سيارته صديقه، ووضعوه فيها ثم جلس أربعة

(1) RanaAyyub, Gujarat Files: Anatomy of A Cover UP, Thomson Press, New Delhi, 2016, Page no. 2.

أو خمسة منهم معه، وبدأت السيارة تجري على الطريق، لم يكن طارق يعرف لماذا تم اختطافه، وكان في قلق شديد، فقد قال لزوجته قبل قليل: إنه سيصل مدينة شري ناغار في ١٢ دقيقة ويأخذها من العيادة إلى البيت معه، ولكن ماذا يفعل الآن؟

دخلوا في غرفة، وكان طارق معصوب العينين، كانوا قد بدؤوا يضربونه في سيارته، وهناك واصلوا ضربه وهم يسألون عنه: «أخبرنا بسرعة عن الشخص الذي اتصل بك على هاتفك»، ولكن لم يكن لديه جواب لذلك السؤال التافه، في الصباح، أركبوا طارق في سيارة وجاؤوا به إلى مدينة جامو، ومن هنا أركبوه في هليكوبتر وهو معصوب العينين ومقيد اليدين والرجلين.

عندما فتح عينيه، وجد نفسه في غرفة مع عدة رجال، وكان بينهم رجل يبدو مسؤولاً حكومياً، وعندئذ أدرك بأن من اختطفوه كانوا من رجال الشرطة، وأخبروه بأنه في مدينة دلهي الآن، وتم القبض عليه بسبب تورطه في تفجيرات ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٥م في مدينة دلهي، وفي هذه الأثناء كان قد وصل خبر القبض عليه إلى الإعلام الهندي الذي سماه بالإرهابي، في اليوم الأول لم يعط له شيئاً للأكل، وبدأ تعذيبه الكهربائي من الدرجة الثالثة، وهناك عانى أنواعاً من التعذيب، فكان يتم فصل رجليه على درجة ١٨٠، وبعد تعريته كانوا يضعون على حلمتي صدره السلك الكهربائي العالي، كان رجل يجلس على بطنه، ويتم تقييد يديه ورجليه، ويوضع في فمه حزمة، ثم يسكب على وجهه الماء الذي يدخل من أنفه ولا يجد مكاناً للخروج من داخله، وكذلك كانوا يربطون بنطلونه عند كاحليه ويضعون فيه الجرذان، كان كل ذلك مؤلماً جداً حتى كان يشعر في كثير من الأحيان بأن روحه ستفارق جسده آنفاً، وليس هذا فحسب، بل كانوا يشتمونه ويسبون دينه، ونظراً إلى حرمة الخنزير في الدين الإسلامي، كانوا يفركون الخنزير على وجهه، ويجبرونه على شرب البول، وفي غمرة من الألم إذا خرجت من فمه كلمة «اللّه»، بلغ غضبهم منتهاه.

وبما أن زوجته قامت بتسجيل بلاغ لدى الشرطة في اليوم التالي لاختطافه، لم تنجح خطة شرطة ولاية دلهي التي كانت تريد أن تظهر قبضتها عليه في دلهي، رُمي طارق خلف القضبان بتهمة الإرهاب، استمرت المحاكمة ١٢ عاماً إلى أن تمت تبرئته من جانب

المحكمة، وعندما نجح بالنهاية في الخروج من الزنزانة تغير كل شيء؛ كان بدون وظيفة، وبدون مستقبل[١].

القضية الثانية:

الاسم: محمد عامر خان.

ألقي القبض عليه: ٢٧ فبراير ١٩٩٨م.

تمت تبرئته: ٩ يناير ٢٠١٢م.

كان محمد عامر خان قد ذهب إلى سفارة باكستان في نيودلهي للحصول على تأشيرة من أجل زيارة أخته في باكستان، وفي السفارة لقيه رجل اسمه غوبتا جي الذي طلب منه أن يجمع بعض المعلومات المهمة خلال زيارته لباكستان، ولكن محمد عامر لم يتمكن من الحصول على تلك المعلومات، فبعد عودته من باكستان عندما لم يجد غوبتا جي ما كان يطلب منه، هدده بتوريطه في القضايا الملفقة.

في يوم ٢٠ فبراير ١٩٩٨م، عندما كان يمشي في شارع بهادر كره، التقطه بعض رجال الشرطة، وأخذوه في سيارة إلى مكتب حيث غوبتا جي كان موجوداً بصحبة بعض ضباط الشرطة، فتم تعذيبه هناك وأجبروه على توقيع العديد من الأوراق البيضاء، وقاموا بتحويلها إلى الإقرارات المزورة لعامر خان لتوريطه في قضايا الإرهاب العديدة، بدون إجراء أي تحقيق وتفحيص.

بقي عامر خان في الزنزانة لأكثر من ١٤ عاماً بدون أي جريمة، وفي النهاية كان بريئاً من جميع التهم بعد محاكمات طويلة، حيث اكتشفت المحكمة أن جميع الشهود كانوا شهود زور إذ غيروا إفاداتهم فيما بعد، ولم يكن هناك أساس لجميع التهم الموجهة إليه إلا إقراراته[٢].

وهاتان القضيتان اللتان تم نقلهما من دراستين مهمتين في هذا المجال غيض من

(1) ManishaBhalla&Alimullah Khan, Baa Izzat Bari, Bharat PushtakBhandar, New Delhi, 2021, Page No. (Kindle Edition)

(2) Jamia Teachers' Association, Framed Damned Aquited: Dossiers of a very Special Cell, Al-Hasanat, New Delhi, 2009, Page no. 3151-.

فيض، وتدلان على العلل التي أصابت الشرطة ونظام العدالة الجنائية على نطاق واسع، وحتى وسائل الإعلام التي لا تولي أي اهتمام بقضايا الرجال الذين دمرت حياتهم الشرطة ووكالات التحقيق، وعدد التهم التي وُجهت إليها، والشهادات الحقيرة، وإطلاق سراحهما في جميع التهم، كل هذا يبرز لنا بشكل واضح الطريقة التي يتم اختيارها لتأطير الأبرياء المسلمين باسم الحرب ضد الإرهاب.

وحياة هؤلاء الأبرياء لا تعود إلى الحالة العادية رغم تبرئتهم، فبعد الخروج من الزنزانة يجدون أن كل ما كان لديهم من بيت ومال راح ضحية المحامي والمحكمة، وأن وصمة الإرهاب لا تزال تلتصق بهم، وابتعد عنهم أقرباؤهم وأصدقاؤهم وجيرانهم، ولم يجدوا وظائفهم، أما أبناؤهم فيُعرفون بأبناء الإرهابي، ولا يستطيعون الذهاب إلى المدارس؛ فيعيشون عزلاً اجتماعياً، وبعض منهم يفقدون شعورهم، ويصابون بالجنون، وللأسف الشديد، لا يوجد نظام لتأهيل الأبرياء، ولا تتم مؤاخذة الأشقياء من ضباط الشرطة الذين قاموا بتوريطهم في القضايا الملفقة، وكل هذا يحدث في أكبر ديمقراطية في العالم.

وقد استغلت المنظمات الهندوسية هذه الظاهرة الشائعة، فأوغلت في المدن ذات الأغلبية المسلمة، وقامت بتفجيرات عديدة قادت إلى خسائر عظيمة في الأموال والأرواح، من أبرزها تفجيرات مدينة مالي غاؤن عام ٢٠٠٦م، وتفجيرات مسجد مكة في مدينة حيدر آباد في عام ٢٠٠٧م، وتفجيرات سمجهوتا إيكسبريس عام ٢٠٠٧م، وفي جميع هذه الحوادث تم إلقاء القبض على الشبان المسلمين الأبرياء، فأودعوا في السجن بدون أي تحقيق.

ولكن كان السيل قد بلغ الزبى، إذ لم تستطع الحكومة الهندية السيطرة على حوادث الانفجارات المتتالية، فأصدرت الحكم لإجراء التحقيقات في بعضها من جديد، التي كشفت عن تورط المنظمات الإرهابية الهندوسية فيها، حتى اضطر وزير الداخلية الهندي سوشيل كومار شيندي في عام ٢٠١٣م على أن يقول علناً: «إن المنظمة الهندوسية المتطرفة «آر.إس.إس»، وحزب بهاراتيا جاناتا، أقاما معسكرات لتدريب الإرهاب الهندوسي بما في ذلك زرع القنابل في تفجيرات سمجهوتا إيكسبريس عام ٢٠٠٧م، وتفجيرات مدينة مالي

غاؤن عام ٢٠٠٦م، وتفجيرات مسجد مكة في مدينة حيدر آباد في عام ٢٠٠٧م»(١)، لكن بعد سنة واحدة، فاز الحزب المتطرف المتهم؛ فزاد وتنوع تعذيب المسلمين بطرق شتى بما فيها إعدامهم بدون محاكمة، ومحاولة نزع مواطنتهم عن طريق تغيير الدستور الهندي.

خلاصة القول:

أصبحت الأمة المسلمة الهندية منبوذة في السياسة ومطرودة في المجتمع، ومصابة بالاضطرابات والتفجيرات، وتعاني من التمييز العنصري، ويُلقى أفرادها في السجون بعد التفجيرات والاضطرابات بدون أي تحقيق، وهؤلاء المسلمون المتهمون ينفقون جميع أموالهم لتبرئة أنفسهم من الجرائم التي لم يقترفوها، وبعد تبرئتهم من المحكمة ليس هناك من يقوم بتوظيفهم وتمويلهم وتعويضهم وإسكانهم.

(1)https://en.wikipedia.org/wiki/Mecca_Masjid_blast, Accesed on 082021/12/.

حصة مسلمي الهند في الجهاز البيروقراطي.. بين التمييز والتأهيل

محمد أحمد الجعفري

الملخص:

يعاني تمثيل المسلمين الهنود في الوظائف الحكومية درجة كبيرة من التمييز والإجحاف، فبحسب المعطيات والبيانات التي أعدتها اللجان المتعددة في غضون السنوات الماضية، يظهر بوضوح أن عدد الموظفين والعاملين المسلمين الهنود في المناصب العالية للحكومة والوظائف المهمة في مختلف الإدارات الحكومية ما زال يقف عند ٤,٩٪ فقط، هذا المعطى هو بمثابة إدانة واضحة بحق الإدارات الحكومية التي تتجاهل ١٥٪ من المواطنين المسلمين من الاندماج ضمن عشرات الآلاف من الوظائف المهمة، وهذا مع غياب أي تغيير ملموس في سياسة الإقصاء طوال هذه السنوات، فالطريق للمساواة في التشغيل يجب أن يبدأ بضمان التمثيل الملائم للمواطنين المسلمين الهنود في أهم الأجسام والمؤسسات الحكومية من خلال اتخاذ قرارات مهمة وبناء خطط منهجية.

المقدمة:

مما لا شك فيه أن الهند في العقود السبعة الماضية قد حققت إنجازاً ملحوظاً في النمو الاجتماعي- الاقتصادي، والتقدم في العلوم والتكنولوجيا والزراعة ووسائل الإعلام وتكنولوجيا الفضاء وتكنولوجيا المعلومات، وخفضت إلى حد بالغ مستوى الفقر وحسنت مؤشرات التنمية البشرية المهمة مثل الصحة ومحو الأمية ونشر التعليم وما إلى ذلك من التقدم في المجالات المختلفة، ولكن في جانب آخر، تؤكد العديد من الدراسات والتقارير

أن هذه المسيرة -مسيرة التقدم والنمو- لم تستفد منها جميع طبقات المجتمع الهندي، بل بعبارة أنسب وأدق قد تم تهميش هذه الطبقات عمداً وتم استبعادهم عن التيار السائد قصداً[١].

تظهر العديد من الدراسات غير الحكومية والتقارير الحكومية أن الأقلية المسلمة إحدى أكثر الطبقات والمجتمعات تخلفاً في الهند، وتدل معظم المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية على أن المسلمين بعيدون عن التيار الرئيس للمجتمع، وعلى الرغم من أن المسلمين يشكلون ١٤,٢٪ من سكان الهند، لا تتجاوز مساهمتهم في الناتج المحلي الإجمالي أكثر من ٦٪، وأحدث البيانات بهذا الصدد تشير إلى أن الحالة العامة للمسلمين حسب معظم المؤشرات الاجتماعية-الاقتصادية أسوأ من حالة الطوائف والقبائل المنبوذة مثل القبائل المجدولة (Scheduled Tribes)، والطوائف المجدولة (Schedule Castes)[٢].

وكان تقرير «لجنة ساشار» (Sachar Committee) -اللجنة عالية المستوى التي عينتها الحكومة برئاسة رئيس المحكمة العليا السابق راجيندر كمار ساشار في عام ٢٠٠٥م- أول وثيقة رسمية تلقي الضوء على تخلف المسلمين، وتوفر المعلومات ذات الأهمية البالغة عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع المسلم في جميع الإدارات والوزارات الحكومية، ويعترف التقرير بأن المجتمع المسلم يعاني من العجز والحرمان في جميع مؤشرات التنمية وأبعادها، وأن تهميشهم عن التنمية المتكاملة بنيوي، والمسؤولية في معظم الأوقات ترجع إلى الحكومة ونظامها وأجهزتها، ما يقتضي من الحكومة اتخاذ إجراءات فورية وإصلاحات اجتماعية سريعة[٣].

والوثيقة الثانية المهمة بشأن حالة المسلمين في الهند هي تقرير «لجنة رانغانات مشرا» (Rnganath Mishra Committee) التي أعدتها اللجنة الوطنية لشؤون الأقليات الدينية واللغوية (National Commission for Religious and Linguistic Minorities)[٤].

(1) Khalidi, Omar, Indian Muslims Since Independence, Vikas Publishing House , New Delhi, 1995, Pg 46-.
(2) https://frontline.thehindu.com/the-nation/article30159558.ece
(3) Rahman , Abdul, Denial and Deprivation: Indian Muslims after Sachar Committee and Ranganath Mishra Commission Reports, Routlegde, London, 2019, Pg 1213-.
(4) Report of the National Commission for Religious and Linguistic Minorities, (hereafter, the Rangnath Mishra Commission Report), New Delhi: Ministry of SJE, 2007.

وكلا التقريرين -تقرير لجنة ساشار، وتقرير لجنة رانغانات مشرا- يكشفان عن الوضع الاجتماعي- الاقتصادي للمسلمين الهنود، وبينما الأول يركز على تشخيص واقع المجتمع المسلم، يقدم الثاني تدابير وإجراءات علاجية لتحسين وضعهم[١].

ومن مقتضيات المجتمع التعددي وميزاته -كما هي الحال في الهند- أن تنشأ فرص العمل والوظائف الحكومية لجميع الطبقات الاجتماعية- الدينية بالعدل والتساوي، وأيضاً أن تساهم في تعزيز الشراكة العادلة في التوظيف الحكومي، ويقدم تقرير لجنة ساشار تحليلاً مفصلاً عن حالة المسلمين في المناصب الإدارية، ويشير إلى أن نسبة المسلمين في المناصب الحكومية العالية ضئيلة للغاية، ومعظم المسلمين متمركزون في الوظائف ذات المستوى المنخفض.

نسبة المسلمين في وظائف الحكومة المركزية:

كشفت لجنة ساشار في تقريرها أن نسبة المسلمين في الإدارات الحكومية كانت لا تزيد أكثر من ٤,٩٪، وكذلك لا تتجاوز أكثر من ٧,٢٪ في جميع مؤسسات القطاع العام، ومما يزيدنا قلقاً وإزعاجاً هو أن هذه الأعداد الضئيلة لا تزال تستمر بالمقارنة مع السنوات الماضية، وحسب بيانات نشرت عام ٢٠١١ – ٢٠١٢م شكلت ٥ أقليات -المسلمون والمسيحيون والسيخ والبوذيون والزرادشتيون- ٦,٢٩ من الموظفين الجدد، حيث انخفض عددهم من ١٠,١٨٪ في عام ٢٠١٠ – ٢٠١١م إلى ٧,٢٨ في عام ٢٠٠٩ – ٢٠١٠م.

وللأسف الشديد، فإن البيانات التي تهتم بحالة المسلمين بشكل منفصل غير متاحة، ومن المستحيل تقييم أعداد المسلمين الصحيحة في الوظائف الحكومية المركزية، وكذلك من الصعب أن يعرف أحد هل تحسنت حالتهم من حيث العدد في الوظائف الحكومية ولا سيما في حقبة ما بعد «توصيات لجنة ساشار» (Sachar Committee Recommendations)، ويدل الاتجاه السريع التقلب في التوظيف على أن الحكومة ليست لها سياسة واضحة لزيادة حصة الأقليات في الوظائف الحكومية[٢].

إن التعميمات الغامضة والوعود الجوفاء من قبل الساسة الكبار لا يمكن أن تحقق

(1) Rahman, Abdul, Pg 1314-
(2) Ibid. Pg 304306-

أي نتيجة إيجابية، وفي بعض الإدارات عدد المسلمين ضئيل إلى حد بالغ كما نرى في البنك الاحتياطي الهندي الذي لا تتجاوز فيه نسبة المسلمين أكثر من ٠,٧٥٪[١]، أما عدد المسلمين في وكالات الأمن والاستخبارات فهو منخفض للغاية، وحالة القطاع الخاص أيضاً ليست جيدة بالنسبة للمسلمين، ومن بين ٥٠٠ شركة مدرجة في بورصة بومباي للأوراق المالية، يشكل المسلمون ٢,٦٧٪ من المديرين والمديرين التنفيذيين، يعني يبلغ عددهم ٦٢ من ٢٣٢٤ مديرا تنفيذياً[٢].

نسبة المسلمين في الخدمات الإدارية ٣٪، وفي الخدمات الخارجية ١,٨٪، وفي الجهاز الشرطي ٤٪، كما تشير إليها القوائم المدينة للأجهزة والإدارات المختلفة (Civil List of Indian Administrative Services)[٣]، وقد أصبح تمثيل المسلمين في الخدمات المدنية والإدارية مستقرة وثابتة فيما بين ٣ و٤٪، وفي حين يبلغ عدد سكانهم الإجمالي بين ١٤ و١٥٪ من إجمالي سكان الهند.

ومرت السنوات ولكن حالتهم لم تتحسن، وفي جانب آخر تبلغ نسبة المجتمعات المنبوذة (الطوائف والقبائل المجدولة Scheduled Castes and Scheduled Tribes) حوالي ١٦ و٨٪ على التوالي، ومن المعلوم أن الوضع التعليمي للمسلمين وهذه المجتمعات المجدولة متساوية تقريباً، ولكن معدل الاختيار في الوظائف الحكومية في هذه المجتمعات عالٍ جداً بالمقارنة مع المسلمين، والفضل يرجع إلى رعاية خاصة توفر لها الحكومة الهندية ضمن سياسة التفضيل المصحح حسب دستور الهند[٤].

في مارس عام ٢٠١٣م، أعلنت لجنة الخدمة المدنية المركزية عن حذف العربية والفارسية إلى جانب اللغات الأجنبية الأخرى من قائمة المواد الاختيارية لامتحانات الخدمات المدنية (Union Public Service Commission.)، ومن المعلوم أن العديد من الطلبة المسلمين كانوا يختارون هذه الموضوعات كمادة اختبارية في الامتحانات، ونظر الكثير من الأكاديميين والمدرسين إلى هذا القرار كمحاولة متعمدة لعرقلة دخول الطلاب المسلمين

(1) http://twocircles.net/2014dec141418533100/.html
(2)https://economictimes.indiatimes.com/news/politics-and-nation/muslims-constitute-14-of-india-but-just-3-of-india-inc/articleshow/48849266.cms?from=mdr
(3)The Indian Express, Pune, 27 June 2014.
(4) Rahman, Abdul, Pg 308309-

في المناصب الأعلى، ولكي ينخفض نصيب المسلمين في الخدمات المدنية بشكل أكبر[١].

ويقول العديد من الباحثين وأساتذة الفارسية والعربية في مختلف جامعات الهند: إن هاتين اللغتين استعملت كلغتين رسميتين من قرون ولا يمكن تبرير حذفهما وإزالتهما من امتحانات الخدمات المدنية الهندية، بينما يوجد هناك الملايين من الكتب والوثائق والمستندات في مختلف أرجاء الوطن[٢].

المسلمون في الجيش الهندي:

أوصت لجنة ساشار، وهي في مرحلة جمع البيانات والمعلومات، بأن يتم إحصاء عدد المسلمين في مختلف المستويات بالجيش الهندي، ولكن قوبلت هذه الفكرة برفض شديد من قبل قائد الجيش الهندي آنذاك الذي قال: إن مثل هذه الدراسة الاستقصائية ستضعضع جوهر المؤسسة، رغم أن الدراسة الاستقصائية لمعرفة التمثيل الناقص لطبقة دينية خاصة في الجيش واجب من واجبات الحكومة، وهذا النوع من الدراسات لا يؤثر في جوهر أي مؤسسة وإدارة.

وبينما لا توجد بيانات رسمية عن عدد المسلمين في الجيش الهندي، ولكن حسب ما أشار إليه تقرير إحدى قنوات الإخبارية الهندية في برنامجه «تقرير الأقلية»، أن عدد المسلمين في الجيش الهندي يبلغ حوالي ٢٪، وهو ٢٩ ألفاً في الجيش الجرار الذي يتكون من ملايين[٣].

التجنيد في الجيش الهندي يتم على مستوين؛ جوان (Jawan)، والضابط (officer)، ويقوم الجيش بعمليات التجنيد في مناطق الهند المختلفة، أما البيانات المتعلقة بمشاركة المسلمين في عملية التجنيد فغير متوفرة، ويتم تجنيد الضابط من خلال أكاديمية الدفاع الوطني (National Defense Academy)، وامتحانات خدمات الدفاع المشتركة (Combined Defense Services)، وفي غضون ٩ سنوات تم اختيار ٩٢ مسلماً من إجمالي ٥٦٦٤ (١,٦٤

(1)https://ummid.com/news/2013/September/04.09.2013/scholars-on-arabic-persian-in-upsc.html
(2)https://timesofindia.indiatimes.com/city/allahabad/meeting-against-removal-of-arabic-persian-and-pali-upsc-exams/articleshow/23509546.cms
(3) Aziz A. Mubaraki, 'Why Muslim Headcount in Indian Army Necessary?', TwoCirclws.net, 13 March 2012

لكل سنة)، وهذا يشهد على حصة المسلمين الناقصة في الجيش الهندي.

وتقوم لجنة الخدمات المدنية المركزية (UPSC) بإجراء امتحانات خدمات الدفاع المشتركة (CDS) للقبول في الأكاديمية العسكرية الهندية الواقعة في مدينة دهرادون، والأكاديمية البحرية الهندية الواقعة في مدينة أزهيمالا، وفي أكاديمية القوات الجوية في مدينة حيدر آباد، وأما نسبة المسلمين في خدمات الدفاع المشتركة فتبلغ ١,٩٦ [١].

لا شك أن الجيش الهندي لا يزال يبقى أسيراً للماضي، كما هي الحال للعديد من المؤسسات الهندية الأخرى، وبعد تقسيم الهند إلى دولتين نظروا إلى مسلمي الهند بالشك والارتياب حتى لم يتم تجنيدهم في الجيش، والناس أيضاً يتحدثون عن بعض المستندات السرية التي شددت على عدم تجنيد المسلمين[٢]، والخصومة المستمرة بين الهند وباكستان تعتبر كالعداء بين الهندوس والمسلمين، وهي الفكرة التي تعرقل طريق الشباب المؤهلين من المجتمع المسلم إلى الانضمام للجيش، وإن القوات المسلحة الهندية تكره توظيف المسلمين لأنها تشك في ولائهم إلى الدولة الهندية، وهذا التميز نتيجة طبيعية للخصومة المريرة بين الهند وباكستان منذ سبعة عقود[٣].

وتشير توصيات لجنة ساشار إلى أن نسبة تمثيل المسلمين في الإدارة الداخلية ٧,٣٪، وهي نسبة أعلى بين جميع الإدارات التي جمعت عنها «لجنة ساشار» بياناتها، كانت آندرا براديش ولاية وحيدة أظهرت تمثيل المسلمين أكثر من نصيبهم السكاني[٤].

ويبني آخر تقدير على البيانات التي أعدها المكتب الوطني لسجلات الجريمة، وفي عام ٢٠٠٧م بلغ عدد المسلمين في الجهاز الشرطي ١٠١ ألف، الذي يشكل ٧,٥٥٪ من إجمالي ١٣٤٠٠٠٠، ولكن بحلول عام ٢٠١٢م سجلت نسبة النمو لإجمالي القوة الشرطية ٢٤٪ فيما بين كانت نسبة المسلمين هبطت ١٪ ونزلت إلى ٦,٧٪، وفي السنوات الخمس الماضية تم تجنيد ٣٢٦ ألف شرطي من مختلف أنحاء الهند، وبينهم تم تجنيد ٧١٣٢

(1) Rahman, Abdul , Page 312314-

(2) Problems of the Muslim Minority in India Author(s): Irfan Habib, Iqtidar Alam Khan and K. P. Singh Source: Social Scientist, Vol. 4, No. 11 (Jun., 1976), pp. 6772-

(3) Aziz A. Mubaraki, 'Why Muslim Headcount in Indian Army Necessary?', TwoCirclws.net, 13 March 2012

(4) Crime in India (2013), National Crime Records Bureau, Ministry of Home Affairs, Table 17.12.

مسلماً في هذه الحقبة، وهو ما يشكل ٢,١٨٪ من إجمالي المجندين[١].

إن الدعاية المستمرة التي تقوم بها القوات المتطرفة اليمينية ضد المسلمين، ونشر الأخبار المزيفة والمتحيرة من قبل وسائل الإعلام، وإضفاء الطابع الطائفي لقوات الأمن تكاتفت الشرطة على حد سواء في تشويه صورة المسلمين على المستوى الوطني، ونتيجة لذلك توترت العلاقات بين المجتمع المسلم والجهاز الشرطي، وبدأ المسلمون الهنود ينظرون إلى الشرطة من منظار الشك وعدم الثقة، واعتداء الشرطة على الطوائف المنبوذة من المجتمع الهندي وتحديداً المسلمين والمجتمعات المجدولة لا يزال يبقى كالحقيقة الأرضية منذ عام ١٩٤٧م، ويقول الخبراء: إن الحلول المؤثرة لسد هذا الاعتداء هو زيادة عدد المسلمين في الجهاز الشرطي، إلى جانب توعية الشرطة تجاه الملة المسلمة الهندية[٢].

نظرة وجيزة على الوضع الاقتصادي للمسلمين الهنود:

تدل لجنة ساشار على أن ٨٪ من مسلمي سكان المدن يشكلون جزءاً من القطاع الرسمي فحسب، بينما كان المعدل الوطني يبلغ ٢١٪ بالنسبة لسكان المدن، ٧,٠٥٪ من المسلمين ينتمون إلى القطاع العام، بينما المعدل الوطني يبلغ ١٨,١٣٪، و٦٨٪ من المسلمين يشكلون جزءاً من القطاع غير الرسمي، وفي حين يصل المعدل الوطني إلى ٥٢٪.

ويشير الإحصاء السكاني (Census) عام ٢٠٠١م إلى أن المسلمين يشكلون أعلى نسبة من العمالة المنزلية الصناعية، وهي ٨,١٪، بينما لا تزيد نسبة الهندوس على ٣,٨٪، ويعد المسلمون من أكثر الفئات فقراً في الهند، ووفقاً لتقرير قدمته المنظمة الوطنية لاستطلاع العينات (National Sample Survey) بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٥م، أن متوسط الإنفاق الشهري لمسلمي سكان المدن يبلغ ٨٠٠ روبية، مما يساوي الداليت (الطوائف المنبوذة)، وأديفاسي (من عشائر السكان الأصلية وأهل القبائل)، وأقل بكثير من الطبقة العليا للهندوس وهي ٦,٤٦٩ روبية.

وفي الوقت نفسه، تبلغ حصة المسلمين الذين يعيشون تحت خط الفقر ٣١٪ في عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٥، مقابل الداليت وأديفاسي الذين يشكلون ٣٥٪، وأما الفئات المتخلفة الأخرى

(1) Rahman, Abdul, Page 317318-
(2) Ibid. page 319320-

(Other Backward Classes) تبلغ حصتهم ٣١٪، والبقية من الفئات يشكلون ٢١٪، ووفقاً لبيانات المنظمة لاستطلاع العينات (NSS) كان متوسط دخل المسلمين ٧٧,٥٪ في عام ١٩٨٧م مقابل دخل الهندوس، وفي عام ١٩٩٩م كان ٧٥,١٪ فحسب[١].

إن عدم ملكية الأراضي بين المسلمين أعلى درجة بالمقارنة مع الفئات الاجتماعية الأخرى، والمسلمون يحتلون المرتبة الثانية بعد طائفة «الداليت» في ملكية الأراضي، هذا وعلى صعيد آخر يتخلف كل من الداليت والمسلمين بين الفئات الهندية الأخرى فيما يخص ملكية الأراضي ونسبة ملكية الأرض ونسبة زراعتها.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن حضور المسلمين في كبار الشركات وحصتهم بين أغنى وأثرى الهنود ضئيل للغاية، ومعظم المسلمين يشتغلون كعاملين في القطاع غير الرسمي وكالفلاحين الصغار والعاملين في الصناعات الحرفية والإنتاج الطفيف والتجارة الصغيرة، وتؤشر البيانات المتاحة عن البطالة ونفقات الاستهلاك الشهري للفرد إلى أن المسلمين يتخلفون عن الفئات الاجتماعية الأخرى[٢].

المسلمون والصناعات الصغيرة:

إن علاقات المسلمين الهنود بالصناعات الصغيرة والحرف اليدوية ترجع إلى قرون، ولكن أي مناقشة عن الصناعات الصغيرة تدعونا أولاً إلى تحديد مكونات هذا القطاع، ولا سيما فيما يتعلق بالمسلمين الهنود، فهي صناعات وحرف لا تحتاج إلى رأسمال كبير وتكنولوجيا متطورة، بل يمكن بدؤها بمبلغ صغير وتكنولوجيا بسيطة، والمسلمون الهنود لهم دور ريادي في إنشاء هذه الحرف والصناعات وتطويرها وترقيتها عبر القرون، وعدد كبير من المسلمين يعملون في هذه الحرف إما كملاكها أو كمجرد عمالها.

ففي ولاية أترابراديش، على سبيل المثال، يتخصص المسلمون في الأواني النحاسية والأواني الفاخرة والسجاد والأشغال الخشبية والمنسوجات المطبوعة يدوياً والمطرزات الزارية والحريرية والملابس اليدوية وما إلى ذلك من الحرف والصناعات الأخرى، وفي

(1) Gayer, Laurent & Jafferlot, Christophe, Muslims in Indian Cities: Trajectories of Marginalization, New York, Columbia University Press, 2011, Pg 3.

(2) https://thewire.in/rights/interview-post-sachar-report-condition-of-indian-muslims-unchanged

ولاية بيهار ينشغل العديد منهم في المنسوجات اليدوية الحريرية، وفي بيواندي منطقة شهيرة في ولاية مهاراشترا يهيمن المسلمون على معظم صناعات منسوجات آلية/ كهربائية (Powerlooms).

وفي ولاية آندرابرديش يبرع المسلمون في صناعة بدري (Bidri) (أعمال الزينة المعدنية) وصناعة السجاد الصوفية، وفي ولاية كارناتكا يتخصص المسلمون في الحرف اليدوية المعدنية وإنتاج الحرير، وصناعة الدمى، وفي مدينة جايبور بولاية راجاستان يعمل الكثير من المسلمين في صناعة نقش الأحجار الكريمة، وفي ولاية غجرات يشتهر المسلمون بمصنوعات نسيجية، وأشهر منها صناعة التطريز التي تعرف بـ «لكناؤ شيكان» (Lucknow Chikan) في مدينة لكناؤ بولاية أوترا براديش، حيث تعمل فيها الآلاف من المسلمات المحجبات وأطفالهن من منازلهن بأجور ضئيلة، وهي تجارة مبنية على التصدير التي يسيطر عليها الهندوس بالكامل تقريباً[١].

وبدأت بمرور الأيام تتقلب الثروات الاقتصادية لأهل الحرف والصناعة المسلمين، وذلك لأنه كان أكثر المنتجات مرتبطة بالاقتصاد الإقطاعي، وكان معظم السلع والبضائع تنتج للسوق المحلية والطبقة الأرستقراطية الإقطاعية، وكانت لإلغاء حوالي ٥٠٠ ولاية أميرية (دويلات صغيرة مستقلة كانت موجودة في مختلف أنحاء الهند منذ زوال الإمبراطورية المغولية إلى عام ١٩٤٧م)، وإنهاء نظام جاغيرداري وزاميندراري عواقب فورية ومباشرة على الحرفيين والفنانين المسلمين، وتركت تأثير سلبياً وبعيد المدى على مستقبل مئات الآلاف من المسلمين الهنود.

ومن الحقيقة أيضاً أن الحكومة الهندية بعد استقلال الهند لم تهتم قط بالحرف والصناعات التي امتلكها المسلمون وارتبطوا بها على نطاق واسع، بل العكس من ذلك؛ ساهمت الحكومة في تحطيم وتدمير هذه الحرف بطرق عديدة وتكتيكات حكومية صعبة منذ استقلال الهند وتقسيمها[٢].

وعلى الرغم من ازدهار الطلب على المصنوعات اليدوية في السوقين المحلية والعالمية،

(1) Vincent, Cable, Ann Weston, & L C Jain, The Commerce of Culture: Experience of Indian Handicrafts, New Delhi Lancer International 1986, Page 88.

(2) See M. Akbar , Entrepreneurship and Indian Muslims, New Delhi , Manak , 1990.

ولا سيما في الشرق الأوسط، لا تعود الفوائد الاقتصادية الكاملة إلى أهلها ومستحقيها بسبب غياب آلية المبيعات المنظمة، وأيضاً بسبب كثرة الوسطاء الذين يستولون على الجزء الأكبر من الأرباح، وهناك العديد من العوامل التي أدت دوراً أساسياً في تدهور وانهيار هذه الصناعات والحرف، وفيما يلي أشير إلى أهم العوامل التي منعت المسلمين من الاستفادة من عملهم ومجهودهم:

ليس للحرفيين المسلمين نصيب في تحديد السعر النهائي وثمن الحرف؛ لأن التمويل والتسويق والتوزيع يسيطر عليها الوسطاء، والحرفيون يعتمدون على الممول اعتماداً كاملاً، حيث لا يقدرون على شراء المواد الخام من أنفسهم، وبعض الحرفيين فقراء إلى درجة حتى يتكلون على الوسطاء لوجباتهم اليومية، وعدد كبير من هؤلاء الحرفيين مدينون، ومعظمهم يعملون لكي يدفعوا ديونهم، ولكن القلة القليلة منهم ينجحون في الخروج من دورة الديون وفخها.

فالجهل والأمية وقلة التعليم عوامل مسؤولة عن عدم المعرفة والاستفادة من مخططات ومشاريع الحكومة المالية وفرص الدين، وخدمات الرعاية الصحية غير موجودة تقريباً؛ ولذا كثير من الحرفيين لا يقدرون على العمل إلا لساعات قليلة[1].

أسباب التمثيل الضئيل للمسلمين في الوظائف الحكومية:

يرجع تاريخ أسباب التمثيل الناقص للمسلمين في الوظائف الحكومية إلى ثورة عام ١٨٥٧م التي أدى فيها المسلمون دوراً مركزياً ضد الاحتلال البريطاني، فألقت بريطانيا مسؤولية الثورة على المسلمين، وقررت أن تبعدهم من مناصب الحكومة المهمة، وأغلقت في وجوههم أبواب المناصب الحكومية والقضائية، وهكذا بدأت عملية تهميش المسلمين إدارياً واجتماعياً وسياسياً في الهند.

وفي أعقاب الثورة، اتخذ الاحتلال البريطاني سياسة التمييز والعداء ضد المسلمين، وفي المقابل غضب المسلمون من الحكومة البريطانية، وبدؤوا يكرهون التعليم الغربي واللغة الإنجليزية، وابتعدوا تدريجياً عن التعليم الجديد الذي كان أكبر وسيلة للحصول

(1) Khalidi, Omar, Indian Muslims since Independence, New Delhi , Vikas Publishing House, 1995, Pages 7073-.

على الوظائف الحكومية.

وبسبب حملة الكراهية المستمرة، تدهور وضع المسلمين في مختلف المجالات، وفي ظل هذه الأجواء ابتعدوا من التعليم الجديد، ورغب عدد كبير من الشباب المسلمين إلى المدارس الدينية.

وخلال الاضطرابات الطائفية المختلفة، قتل آلاف المسلمين، وتم تدمير ممتلكاتهم الضخمة، وتسلل فيهم شعور القلق وعدم الأمان[1].

وكان قادة المسلمين منكبين على المسلكية، ومنشغلين بقضايا الهوية الدينية، فلم يجدوا الفرصة للتفكير في تمكين المسلمين من التعليم الحديث وتحفيز المجتمع على استخدام التعليم كوسيلة قوية لتحقيق التقدم في الحياة كما هي حال الفئات الأخرى، وهكذا أصبح المسلمون غير مؤهلين للمناصب الحكومية التي تتطلب شهادات تعليمية عالية.

والتمثيل الناقص للمسلمين في السياسة والانتخابات يعد من أهم أسباب الضعف الاجتماعي والتعليمي.

مقترحات مستقبلية وقضايا هيكلية يجب معالجتها:

- من واجبات الدولة أن تقوم بضمان التمثيل المتساوي لجميع الطبقات المحرومة في الوظائف الحكومية، وأيضاً يتوقع من الدولة أن تفكر في عوامل التمثيل الناقص وتعالج هذا الوضع، وأما الآن لم تتخذ الحكومة أي مبادرات لزيادة نسبة تمثيل المسلمين في الوظائف الحكومية.

- إن إدخال المسلمين في المناصب العالية والجهاز البيروقراطي أمر ذو أهمية بالغة بالنسبة للتنمية الشاملة للمسلمين؛ لأن أي مجتمع كلما وجد نفسه في حالة ليس له نصيب وحصة في الجهاز البيروقراطي يفقد الاهتمام بشؤون الوطن، لقد حان الوقت للحكومة الهندية أن تقوم بمسؤولية تحليل العوامل والأسباب وراء هذا العدد الضئيل للمسلمين في مناصب عالية ووظائف حكومية.

(1) Amar Singh, 'Seeking a Fair deal for Muslims', The Hindu, 18 August 2009.

– التركيز على التنمية الشاملة وإدخال المجتمع المسلم في التيار الرئيس والاعتراف بالتنوع في مجالات التعليم والعمل والإسكان.

– يجب تشكيل لجنة الفرص المتساوية للنظر في مشكلات الفئات المحرومة ولا سيما المجتمع المسلم.

– من الضروري أن تعطي الحكومة معلومات صحيحة وشفافة عن الأقليات في جميع الأنشطة، ويجب أيضاً نشر المعلومات وفق شكل محدد مرة واحدة كل ثلاثة أشهر.

– تقديم الدعم المالي وغير المالي للمسلمين في المجالات المختلفة من الحرف إلى التعليم.

– أن يحصل المسلمون على حصتهم من الحماية الدستورية في المناصب الحكومية والتعليم العالي والدوائر الانتخابية مثل الفئات والقبائل الهندية الأخرى.

– على المسلمين أن يخرجوا أنفسهم من إرث التقسيم ومسؤوليته، ويقوموا بالاندماج في التيار الرئيس الهندي، ويدركوا بدقة الحياة والفكر والسياسة المعاصرة الهندية.

– أن يتخذ المسلمون إجراءات وتدابير لمكافحة الخطاب القومي الهندوسي المتطرف الذي يحدد الهند كدولة هندوسية أيديولوجية أكثر منها دستورية، ويجب على الحكومة الهندية أيضاً ألا تنسى أنها دولة علمانية وقامت بالتوقيع على مواثيق الأمم المتحدة فيما يتعلق بالأقليات.

– أن تقوم الحكومة الهندية باتخاذ تدابير فعالة في تنفيذ توصيات لجنتي «ساشار»، و«رانغانات مشرا» بأسرع وقت ممكن.

– يجب على الحكومة أن تمهد الطريق لسماح تمثيل سياسي عادل للمسلمين الهنود بدءاً من الانتخابات البانشائتية (دوائر قبلية محلية) وصولاً إلى الانتخابات البرلمانية على المستوى الوطني[1].

(1)https://www.minorityaffairs.gov.in/sites/default/files/Sachar%20Committee%20Recommendations-English.pdf

تهميش مسلمي الهند في مجالات الإعلام والثقافة والفنون

تفسير حسين [١]

السؤال المطروح ليس سؤالاً بسيطاً يرجع إلى الظاهرة الموجودة في الهند فحسب، وإنما يرجع أصله إلى الفكرة التي شكلها وطورها المفكرون المعروفون باسم المستشرقين والحكام الإنجليز الذين كانوا يرأسون مختلف المدارس والجامعات في العهد البريطاني الهندي، وهم الذين كتبوا تاريخ الهند الجديد وقدموه من وجهة النظر المطلوبة لسيطرتهم الكاملة على الهند والهنود نفسياً، وعقلياً، ومادياً.

وقبل سيطرة الإنجليز على الهند، كان الحكم تحت الأمراء والملوك المسلمين، وقد ألف المستشرقون كتباً في التاريخ وعبروا عن العهود الوسطى تعبيرات غير بريئة من التشويه والانقياد السري اللذين يشبعان من الفكرة الصليبية، وأنهم ادعوا مراراً وتكراراً أن الهند في العهود الوسطى كانت بلد ظلم وعدوان، اُضطهد فيه الهندوسيون ودُمرت معابدهم وقتل أولادهم وانتُهكت نساؤهم، وأُجبروا على الإسلام وأُكرهوا على اعتناق الدين الجديد، وفي أواخر القرن الثامن عشر، كتب جون بورث ويك غلكرائست في كتابه: «إن المسلمين أقاموا دولتهم ونفذوا دينهم ولغتهم بالسيف والنار»[٢].

وقد انتشرت هذه الفكرة في القرن التاسع عشر إلى أن أقبل عليها الكتَّاب الهنود،

---

(١) باحث دكتوراه في مركز اللغات الهندية (Centre for Indian Languages) جامعة جواهر لال نهرو، دلهي الجديدة، تخصص: سياسة اللغة في مجال العلم، والتعليم، والفنون مع تركيز خاص باللغة الهندية والأردية من القرن ١٩ إلى القرن ٢٠ميلادية.

البريد الالكتروني: tafseerhusainjnu@gmail.com

(2) John Gilchrist, Grammar of the Hindoostanee Language or Part Third of Volume First of a system Hindoostaanee Philology Calcutta Printed at the Chronicle Press, 1796 P.4.

وظهرت بينهم الفرقة التي لم تزل تصر على الابتعاد عن المسلمين والثقافة المزدوجة الاجتماعية التي نشأت طوال قرون وترعرعت في المجتمع، ومن هنا تطور مفهوم الوطنية والقومية الغربية التي رفضها تيغور وبريم تشاند.

وبعد تقسيم البلاد، أصبح المسلمون الهنود كالمجرمين في عيون الفرقة التي لا تزال تنشر الحقد وتحث على الضغينة، ولا تزال الفرق المتطرفة تذيع هذه الفكرة بين الناس، وفي القرن العشرين كانت تُنشر هذه الفكرة في الكتب والمجلات والصحف، لكن بعد ثورة الإعلام الجديدة وصل سيل الضغينة والكراهية إلى التلفزيون والمواقع الشبكية ووسائل التواصل الاجتماعي، وأصبحت كافة الآثار التاريخية للعهود الوسطى من المباني وأسماء البلاد المختلفة علامات الاضطهاد والعدوان في العصر الحاضر، حتى إن أسماء المناطق ذات الدلالة الإسلامية مثل «إله آباد»، و«فيض آباد» بدلتهما حكومة الولاية ببرياغ راج واجودهيا، وكذلك تطالب بعض الفرق المتطرفة بتغيير اسم التاج أيضاً.

أما في مجال السنيما، فقد كانت اللغة المزدوجة تُستخدم، والأفلام تحكي قصص الحب والود ممثلة ثقافة التعددية، تغيرت هذ الظاهرة في العقود الماضية، وأصبحت الشخصيات المسلمة في هذه الأفلام تؤدي أدوار المجرمين في الأغلب.

وكذلك شاهدنا في مجال التصوير خلال السنوات الماضية لجوء الفنان مقبول فدا حسين إلى الدوحة ولندن وعيشه في المنفى؛ بسبب تهديد الجماعات الهندوسية التي اعتبرت أعماله القيمة مسيئة لدينها[1].

هذه ظاهرة تعمل وراءها الخلفيات الداخلية الوطنية، لكن هناك خلفية عالمية أيضاً التي نشأت من خلال هجمات ١١ سبتمبر، هذه الهجمات شكلت ظاهرة جديدة وهي ظاهرة الإرهاب، وأمها المزعومة الإسلام أو المسلمون الذين ضلوا عن الطريق، ووكالات التحقيق تلقي القبض على الأشخاص المنتمين إلى فرق الأقليات خاصة المسلمين، ووسائل الإعلام لا تزال تنشر الأخبار وتبث البرامج عن هؤلاء المتهمين، وترسم شخصياتهم وهوياتهم كالإرهابيين، وهؤلاء السجناء يقضون سنوات في السجن ثم يطلق سراحهم بعد ثبوت براءتهم لأن هذه الوكالات تعجز عن تقديم الشواهد والدلائل اللازمة لإثبات ادعاءاتها.

(1) https://quackreview.com/10-controversial-paintings-of-m-f-husain/amp/

وقد شاهدنا أشنع صور التشويه في وسائل الإعلام عندما ألقت السلطات القبض على المبلغين عمر غوتم[١]، وجهان كير عالم القاسمي، وكليم صديقي[٢]، إنهم كانوا يقدمون الإسلام بين عامة الناس الذين لا يعرفون حقيقة الإسلام، كما كتبت الصحف الهندية أنه ألقي القبض عليهم لأنهم كانوا متورطين في المخالفات للقوانين المشروعة.

كما ذكرت في البداية أن هذه المشكلة لم تنشأ اليوم، بل ترجع إلى الماضي، والمشكلة تحمل في طيها جوانب دينية، وتاريخية وسياسية شكلتها خلفيات عالمية ووطنية.

التطرف العنيف ضد المسلمين وقتلهم وإحراقهم أحياء ونهب أموالهم وتدمير مصانعهم وأماكن أعمالهم هو حقيقة اليوم والأمس في الهند، لقد شاهد العالم كله اضطرابات طائفية في غجرات عام ٢٠٠٢م، وقد تناول كاتب في دلهي هذه الاضطرابات الطائفية عام ٢٠٢٠، فيقول:

Muslims suffered a vicious and ،٢٠٠٢ In Gujarat state in western India in systematic series of mob attacks، with gruesome deaths such as burning alive and dismemberment، rape، and widespread destruction of property، mosques، and shrines. The chain of events leading up to this has been described and debated in great detail، and with some controversy. Right–wing Hindu activists had engaged in abuse and violence against Muslims and others on a railway platform at Godhra، the train carrying them had been set on fire، resulting in death and injury، and Hindu mobs went on a rampage against Muslims in Godhra and elsewhere.

What is clear is that the subsequent attacks on settled Muslim communities elsewhere in the state، including its largest city Ahmedabad، were systematically planned by political activists closely affiliated with the state's governing political party. Attackers carried voter rolls to identify the locations of Muslims. Police، with a few honorable exceptions، failed to protect Muslims، and likely acquiesced in and joined the violence. Elected leaders up to the state's Chief Minister have continued to be militantly

(1)https://www.thequint.com/news/india/uttar-pradesh-religious-conversion-racket-umar-gautam-family-police-claim

(2)https://timesofindia.indiatimes.com/india/islamic-scholar-maulana-kaleem-siddiqui-arrested-in-up-for-running-biggest-conversion-syndicate/articleshow/86436042.cms

unapologetic about these events. The term «pogrom» has often been used to describe what transpired[1].

ترجمة:

عانى المسلمون في غجرات من سلسلة من هجمات منظمة من قبل الغوغاء عام ٢٠٠٢م تسببت في وفيات مروعة مثل الحرق أحياء، وتقطيع الأوصال والاغتصاب والتدمير الواسع للممتلكات والأضرحة، وسلسلة الأحداث التي أدت إلى ذلك تم وصفها ومناقشتها بتفصيل كبير مع بعض الجدل، وقد انخرط نشطاء هندوس يمينيون في الإساءات والعنف ضد المسلمين وغيرهم على رصيف للسكك الحديدية في جودهرا، عندما أضرمت النيران في القطار الذي كان يقلهم؛ ما أدى إلى سقوط قتلى وجرحى، وشن الغوغاء الهندوس هجوماً ضد المسلمين في جودهرا وفي مكان آخر.

ما هو واضح أن الهجمات اللاحقة على المجتمعات المسلمة المستقرة في أماكن أخرى من الولاية، بما في ذلك أكبر مدنها أحمد آباد، تم التخطيط لها بشكل منهجي من قبل نشطاء سياسيين مرتبطين بشكل وثيق بالحزب السياسي الحاكم في الولاية، وحمل المهاجمون قوائم الناخبين لتحديد مواقع المسلمين، فشلت الشرطة، مع استثناءات قليلة مشرفة، في حماية المسلمين، ومن المرجح أنها رضخت وانضمت إلى أعمال العنف، حتى استمر القادة المنتخبون ورئيس وزراء الولاية في عدم الاعتذار من الناحية العسكرية بشأن هذه الأحداث، التي غالباً ما يستخدم مصطلح «المذبحة» لوصفها.

الأحزاب السياسية والثقافية المتطرفة تدافع عن هذه الاضطرابات وتعتبرها ردود فعل، وكذلك وسائل الإعلام الخاصة تحاول جاهدة إخفاء الحقائق والأدلة وإسدال الستار عليها، ومن يحاول من أصحاب السلطة المعارضين للحكومة يتعرض للاعتقال، كما حدث مع ضابط خدمة الشرطة الهندية سنجيف الذي كشف الغطاء عن التطرف العنيف ضد المسلمين في غجرات فتم القبض عليه[2].

نجد هناك إستراتيجيات قوية تتبعها الفرق المتطرفة المؤمنة بالعنف والعدوان محاولة

(1) Amit Pandia, Muslim Indian: Struggle for Inclusion. The Henry L. Stimson Centre 111 19th Street, NW, 12th Floor Washington, DC 20036,2010, pp.9
(2)https://www.bbc.com/news/world-asia-india-48704352.amp

خلق وعي جماعي ضد المسلمين.

لقد تبنت وسائل الإعلام الهندية طريقة الدعاية من الأنماط الأوروبية وأنتجت تلك الأساليب ورسختها في التاريخ المشوه للهند في العصور الوسطى، ولاحظنا أن العديد من الشرور الاجتماعية المتجذرة في النصوص والمجتمعات القديمة لكن لا تتم إحالتها إلى النصوص الأصلية والعصر القديم، بل أحالهم السياسيون والإحيائيون الثقافيون إلى تاريخ العهود الوسطى (فترات حكم المسلمين)، تحاول وسائل الإعلام الجماهيري وشكلها المستجد حالياً كوسائل التواصل الاجتماعي أن تخلق وعياً جماعياً ضد حقبة العصور الوسطى، وهذا العصر يسمى عصر المسلمين، فجميع المسلمين مسؤولون عن الأفعال والشرور التي ارتكبها حكام الهند في العصور الوسطى، كما يزعم الإحيائيون الثقافيون والسياسيون المتطرفون.

أصبحت وسائل الإعلام الهندية أيضاً أداة لسياسة الأغلبية التي تحاول دائماً إدانة المسلمين، رغم أن الحقائق الثابتة أن المسلمين الهنود قد أدوا دوراً لا يُنسى ولا يُضاهى في حركة الحرية للثورة العنيفة وغير العنيفة، هذه جوانب إيجابية للغاية من السياسة الهندية، تمثل روح التعددية والثقافات المتعددة للهند، ولكننا نرى أن الأحزاب السياسية التي تميل إلى الأفكار المتطرفة والإحيائية لا تذكر تلك الأحداث والشخصيات، إنهم فقط يروجون أجنداتهم السياسية من خلال وسائل الإعلام، وينشرون الأكاذيب حول تاريخ العصور الوسطى في الهند، وبهذه الطريقة ينشطون غضب الناس الذين ينتمون إلى دينهم.

وسائل الإعلام الهندية وجميع القنوات الإخبارية التي تديرها العائلات الرأسمالية باستثناء تلك المنصات المستقلة التي يديرها مثقفون مستقلون وعلمانيون، تضع نصيبها في هذا الاستقطاب الذي أدى إلى تهميش الأقليات وخاصة المسلمين.

قرأ الكثير منا مصطلح الهيمنة في كتاب أنطونيو غرامشي[1]، هذه الهيمنة موجودة هنا في شكل مختلف، الرأسماليون هم يوفرون ممتلكاتهم الإعلامية والصحفية للأحزاب التي تعدهم لضمان مصالحهم الاقتصادية من الدولة، وهناك الطبقة الحاكمة هي

(1) Antonio Gramsci. Selections from the Prison Notebooks, International Publication . New York, 1971.

جناح من الأجنحة التي يرأسها «جمعية المتطوعين الوطنية»، وهذه الجمعية تحاول أن تشكل الهيمنة التي تشمل الثقافة والسياسة والاقتصاد، لكن الهدف لا يمكن حصوله دون موافقة اللاعبين الآخرين في الدولة، فتم التوافق بينهم بعد تحقيق أهداف ثقافية وحكومية وسياسية، فالطبقة المسلمة صارت وسيلة مؤثرة للغاية في تحقيق هذه الهيمنة، هذه الطبقة المسلمة تمثل في الإعلام كطبقة غير متجانسة مع الباقين، وهنا يلزم أن نقدم المزيد من الأمثلة عن الإعلام وعلاقته مع السياسيين.

اليوم نرى في الهند تشويهاً غير مسبوق للحقائق؛ مما يجعل العديد من مواطنيها يقفون بلا مبالاة إلى جانب التعصب الأعمى وتفوق الأغلبية، بينما يشعرون أنه من المبرر تماماً القيام بذلك، ووسائل الإعلام الهندية هي مسؤولة عن ذلك، فكيف يؤثر الماضي القريب من السنوات الألف الماضية في السياسة الحالية؟ هذا سيتضح من المثال التالي: إن الملوك المغول يُعرضون على شاشة التلفزيون أنهم استخدموا التعددية كحيلة لتدمير الثقافة الهندوسية، حيث سُميت محطة القطار «مُغَلْ سراي» من جديد باسم «دين ديال أباثيايا»، في أغسطس ٢٠١٨م، قامت وسائل الإعلام الهندية بإعداد عناوين الأخبار المعادية للمسلمين ومثيرة للجدل ووضعت علامة الاستفهام تهرباً من المساءلة كذا: هل سيخلق مودي الهند الحرة من المغول؟[١] قناة «آج تك» التلفزيونية أصدرت هذا العنوان على شاشتها بعد ١٦١ سنة على نهاية دولة المغول في الهند.

كانت الحرب الخاطفة الإعلامية في أوجها وسط جائحة فيروس كورونا، حيث تم تداول الأخبار الكاذبة فقط دون أي تدقيق من قبل وسائل الإعلام والصحفيين، وقد قام السياسيون المؤثرون بتداول[٢] هذه الأخبار، بدأ تداول مقاطع الفيديو على وسائل التواصل الاجتماعي أن الموظفين المسلمين العاملين في مطاعم الوجبات الجاهزة كانوا يبصقون في الطعام قبل إرسالها لنشر الفيروس التاجي، أثبت هذا أيضاً أنه خبر مزيف؛ لأنه كان فيديو قديم تم تداوله مؤخراً[٣]، كما تم عرض قصة إخبارية نقلت صحيفة تدعى «أَمَرْ

(1) Zainab Sikandar, Islamophobia in Indian Media, Islamophobia studies journal, Fall 2021, Vol. 6, No. 2 pp. 120129-.

(2) https://www.youtube.com/watch?v=4ZYZDGA3QiE

(3)https://www.altnews.in/old-video-falsely-viral-as-muslim-man-spitting-on-food-at-indian-restaurant-in-the-

أوجالا نيوز»، أن الأشخاص من جماعة التبليغ الذين تم حجرهم الصحي كانوا يطالبون بأطعمة من اللحم ويتبولون علانية في مراكز الحجر الصحي، قامت شرطة شاهجهان فور لولاية أوترابراديش بفضح هذه الأخبار المزيفة[١]، وادعت قناة «آج تَكْ» أن أعضاء جماعة التبليغ هاجموا الشرطة الذين أتوا إلى القرية للعثور عليهم في بَريلي[٢]، فضح ضابط الشرطة ذو رتبة عالية هذه الأخبار المزيفة[٣].

وكما ذكرنا انقسام البلاد وتحرير الهند، اختلف الزعماء المسلمون على انقسام البلاد، أكثرية المسلمين اتفقوا على فكرة حزب المؤتمر الوطني، وجمعية علماء الهند حملت مسؤولية قيادة المسلمين الذين عارضوا تقسيم البلاد، لكن بعد الانقسام هذه الجمعية انفصلت عن السياسة عملياً ولم تترك آثاراً بعيدة في بناء الشعب المسلم الهندي، حيث لم يتنبه قادتها إلى متطلبات العصر واحتياجات المسلمين الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية، فتسببت بخسائر كبيرة في حق المسلمين طوال سنين.

وكذلك المدارس الدينية قد ركزوا أنشطتهم التعليمية حول أمهات كتب الفقه والحديث والتفسير واللغة، وفشلوا في تطوير منهج دراسي يتضمن العلوم الحديثة والنصوص الدينية، وهذا الفصل أدى إلى خسائر فادحة.

هذه المنظمات والمدارس لم تخطئ عن قصد، فلا يمكن لأحد أن يشك في نواياهم، لكن كل هذا حدث بسبب معتقدات عدم الأمان عن نقاء النص الديني والتفسير الحر للدين، لذلك فشل المجتمع المسلم في تطوير نظرية معرفية لا تفرق بين العلوم المختلفة، المعرفة وحدة كاملة، لكن العلماء المسلمين الذين كانوا يقودون المؤسسات الدينية فشلوا في معرفة مزج الدين بالحياة العملية الجديدة، إذ لم تكن الطبقة المثقفة من المجتمع التي شاركت في الحياة العامة على دراية كاملة بالقيم الإسلامية، والذين كانت لديهم معرفة كافية بالإسلام كانوا فقراء في العلوم الحديثة وأنماط التواصل مع المجتمعات الأخرى، وبهذه الطريقة نشأت الفجوة بين المسلمين والمجتمعات الأخرى على مستويات الفهم

(1)https://www.newslaundry.com/202027/04//audit-of-bigotry-how-indian-media-vilified-tablighi-jamaat-over-coronavirus-outbreak

(2)https://www.youtube.com/watch?v=HoBy3cGBYMI.

(3)https://www.newslaundry.com/202006/04//firozabad-police-refute-zee-news-claim-that-medical-staff-escorting-tablighi-jamaat-men-was-pelted-with-stones.

المتبادل للدين والسلوك وفهم الحياة وطريقتها، فالمناهج الدراسية الوطنية لا توفر معرفة كافية حول الأعراق والمجتمعات الدينية المختلفة؛ إذن، هناك أسباب عديدة لتهميش المسلمين.

المسلمون الهنود يمثلون في هذه المجالات، ولهم عدد لا بأس به في الصحافة والثقافة والفنون، لكنهم ليس لديهم صوت ورأي يتفق عليه الزعماء والعلماء، وهم منقسمون في آراء شتى، النيابة الحقيقية لم تتحقق عملياً في هذه المجالات، فالمسلمون في هذه المجالات كصور تثبت غاية الدعاوى الحكومية أننا قوم متنورون نحمل ثقافة مزدوجة التي تشمل تعددية الثقافات واللغات والأعراق.

هذه المشكلة لم تنته هنا، بل تعدت إلى الفرق الأخرى أيضاً، فيها السيخ والبوذية والطبقات المجدولة والقبائل المجدولة التي تواجه تحديات عديدة لكنهم يقاومون حق المقاومة.

عندما نبحث عن أسباب هذه الظاهرة نجد أن المسلمين مختلفون في مجال التعليم الجديد، فهم يواجهون تحديات من الوعي الجماعي المأسور وليس لديهم الوعي الجماعي الحر أن يحرروا العقول المأسورة من فكرة الاستعمار.

لا توجد حلول قصيرة المدى لهذه المشكلات، فهي متجذرة بعمق في التاريخ، وتقسيم البلاد، و«الإسلاموفوبيا» العالمية، لذا فإن الحلول تتطلب خارطة جيدة التخطيط لإزالة الأمية والفقر والتمييز العنصري من المجتمع، وبلا شك سيؤدي التعليم دوراً رئيساً في حل هذه المشكلات، فنسبة المسلمين في الهند ١٤٪، لكنهم لا يمثلون أكثر من ٥٪ في مجالات الهندسة والطب، وعلوم الطبيعة والرياضة، وكذلك يقل عددهم في الوظائف الحكومية أيضاً.

من وجهة نظري، يمكن أن يتمتع القائمون على المدارس الدينية بمكانة أكبر في نظر الناس والمجتمع من خلال محاولة التغلب على أخطاء الماضي واتخاذ خطوات لإحداث تغيير كبير في المجتمع المسلم سواء بتطوير المناهج وفتح الباب أمام العلوم العصرية، والتغلب على الانقسام وقبول الاختلافات في الآراء والمعتقدات، فجوهر الإسلام هو احترام جميع البشر، ولا يعني هذا تجنب ترك الانتماء النفسي والارتباط بالدين، إنما

الأزمة في الافتقار للفهم الصحيح، نلاحظ عدم التسامح بين مختلف الفرق والمسالك المسلمة، وبسبب ذلك لا يمكن اتخاذ إستراتيجية قيمة وخطة متعددة الوسائل تحقق للمسلمين الغاية المطلوبة، إذا توحد الجميع وتعلموا بعض الدروس من كفاح الطوائف المجدولة، والقبائل المجدولة، وطائفة السيخ، والطائفة المسيحية، فإن هذا الوضع الذي يعيشه المسلمون سيتغير خلال نصف قرن.

الأمل دائماً موجود، فالوضع ليس خارجاً عن السيطرة إذا كان المجتمع سيكافح من أجل حقوقه، ويقوم بالوسائل المناسبة في العديد من المجالات مثل التعليم والوعي الاجتماعي والسياسي، هذه حقيقة ثابتة أن اليد العلياء خير من اليد السفلى التي تعطي السائلين وتزيل عقبات الآخرين لا يمكن إهمالها دائماً، المهمة الأساسية الجماعية هي محو الأخطاء وتمهيد الطريق بهدوء وحماسة لأجيال القادمة في محيطنا، حينها سيتغلب المسلمون على الوضع الراهن.

كشمير.. المسلمون تحت وطأة التطرف الهندوسي

محمد سرحان[١]

تمثل قضية كشمير واحدة من أهم النقاط في فهم طبيعة النزاع الممتد في منطقة جنوب آسيا بين الهند وباكستان من جهة، والهند والصين من جهة أخرى، بحكم تقاسم الدول الثلاث كشمير بمساحات متفاوتة، وإن كان البعض يؤرخ للأزمة منذ عام ١٩٤٧م مع رحيل الاحتلال الإنجليزي عن شبه القارة الهندية، لكن انطلاقاً من خصوصية كشمير وكونها ذات أغلبية مسلمة، وبحكم أن نصيباً غير قليل مما تعرض له مسلموها من اضطهاد امتد لنحو قرن من الزمن قبل هذا التاريخ تحت حكم عائلة الدوغرا، بداية بتوقيع معاهدة «أمريتسار» عام ١٨٤٦م، فما مظاهر تسلط الحركات القومية الهندوسية على المسلمين؟ وما مستقبل الأغلبية المسلمة بعد إلغاء الهند الحكم الذاتي لولاية جامو وكشمير؟

جغرافية كشمير:

تحظى كشمير بموقع إستراتيجي بين وسط وجنوب آسيا، بوقوعها في الشمال الغربي من شبه القارة الهندية، حيث تحدها أفغانستان عبر شريط ضيق من الجهة الشمالية الغربية، ومن جهات الشمال الغربي أيضاً والغرب تحدها باكستان، ومن جهة الجنوب الهند، ومن الشمال تحدها تركستان الشرقية الخاضعة لاحتلال الصين، والصين من الشرق والجنوب الشرقي[٢]، وتمتد الحدود الباكستانية مع كشمير مسافة ٧٠٠ ميل،

(١) باحث في الأقليات المسلمة.
(٢) خرائط جوجل.

والحدود الصينية مع كشمير لنحو ٤٥٠ ميلاً، بينما تمتد حدود الهند مع كشمير لمسافة ٣٥٠ ميلاً[١].

وتتميز تضاريس كشمير بكونها أرضاً جبلية تنتشر فيها سلاسل الجبال، ففي الشمال سلسلة جبال كاراكورم، وفي الشمال الغربي سلسلة بوخشان وسلسلة هندوكوش، وفي الشرق سلسلة جبال الهملايا، وتحيط بوادي كشمير سلسلة جبال بيربانجال، ويتخلل كشمير سهلان؛ هما سهل جامو، وسهل وادي كشمير وهو الأهم، ويبلغ طوله ٨٤ ميلاً، وعرضه ٢٥ ميلاً، وتتوسطه «سريناغار» عاصمة الولاية[٢].

وتبلغ مساحة كشمير الكلية حوالي ٨٦ ألف ميل مربع (نحو ٢٢٣ ألف كيلومتر مربع)[٣].

هذا الموقع المتميز وسلاسل الجبال التي تتخللها الأنهار جعلت من كشمير بستاناً كبيراً غنياً بالجمال، حتى إن البعض يسميه «جنة الله في الأرض».

سريناغار- عاصمة ولاية جامو وكشمير[٤]

(١) محسن، كاظم هيلان، كشمير دراسة في التاريخ السياسي للصراع الهندي - الباكستاني، ط١، دارالفراهيدي للنشر والتوزيع (بغداد ٢٠١٢) ص٥٩.
(٢) محسن، كاظم هيلان، المرجع نفسه، ص٦٠.
(٣) كشمير، موقع الجزيرة نت، بتاريخ ٢٠١٥/٥/١٣م.
(٤) شبكة الإنترنت.

سكان كشمير:

بالنظر إلى المكون السكاني في كشمير، نجد أن أغلب شعبها يختلفون كثيراً في الملامح وبنية الجسد عن الشعب الهندي، وكل عوامل الاختلاف هذه في أغلبها هي عوامل اتفاق مع الباكستانيين.

ويتكون شعب كشمير ككل من أجناس مختلفة، أهمها الآريون والمغول والأتراك والأفغان، وينقسمون إلى أعراق متعددة، أهمها كوشر ودوغري وباهاري، ويتحدثون عدة لغات، أهمها الكشميرية والأوردو والهندية، ويستخدمون الحروف العربية في كتابتهم[١].

فيما يخص عدد سكان كشمير، ليست هناك إحصاءات دقيقة حديثة يمكن الاستناد إليها، وطبقاً لآخر إحصاء هندي أجري عام ٢٠١١م، فقد بلغ عدد سكان ولاية جامو وكشمير (الجزء الخاضع لسيطرة الهند) ١٢ مليوناً و٥٤١ ألفاً و٣٠٢ نسمة[٢]، تنقسم كالتالي:

مسلمون: ٦٨,٣١٪؛ (٨ ملايين و٥٦٧ ألفاً و٤٨٥ مسلماً).

هندوس: ٢٨,٤٣٪ (٣ ملايين و٥٦٦ ألفاً و٦٧٤ هندوسياً).

سيخ: ١,٨٧٪ (٢٣٤ ألفاً و٨٤٨ سيخياً).

بوذيون: ٠,٨٩٪ (١١٢ ألفاً و٥٨٤ بوذياً).

وسبق أن نشرت وكالة «الأناضول» بأن عدد الكشميريين في الجانبين الهندي والباكستاني وحول العالم نحو ١٥ مليون نسمة، بحسب تقديرات عام ٢٠٠٠م؛ ٩٠٪ منهم مسلمون، و٨٪ هندوس، و١٪ من طائفة السيخ[٣]، وهناك مصادر تقدر عددهم في الجانبين بنحو ١٣,٥ مليون نسمة.

كشمير والإسلام:

عاشت كشمير فترات تاريخية، برزت فيها الصراعات السياسية والطائفية، ولا سيما بين البوذيين والبراهمة، لأسباب مختلفة سواء دينية أو اجتماعية أو سياسية، لكن التغير

(١) عبدالعاطي، محمد، (٢٠٠٦)، كشمير.. نصف قرن من الصراع، موقع الجزيرة.نت بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٧م.
(٢) مقابلة الباحث مع د. ظفر الإسلام خان، المفكر والسياسي الهندي.
(٣) وكالة الأناضول، كشمير.. الجنة الأرضية المهجورة، موقع وكالة الأناضول بتاريخ ٢٠١٧/٨/٢١م.

الجوهري كان بوصول الإسلام إلى كشمير في القرن الـ١٤ الميلادي تحديداً عام ١٣٢٠م، حيث أسلم حاكمها البوذي «رينشان»، وأسلم معه عدد غفير من الكشميريين[١].

بينما يذكر محمد بن ناصر العبودي، في كتابه «سياحة في كشمير»، أنه بالرغم من انتشار الإسلام في ربوع الهند، فإن كشمير لم تعرف هذا الدين إلا بعد أن وصلها الداعية الشيخ عبدالرحمن شرف الدين المعروف بـ «بلبل شاه»، وهو داعية تركستاني وصل كشمير في عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م، وبفضل دعوته اعتنق إمبراطور كشمير جيالورين تشان الذي كان بوذياً الإسلام وعائلته وعدد كبير من الناس عملاً بالمثل القائل «الناس على دين ملوكهم[٢].

فيما يؤرخ كاظم هيلان محسن في كتابه «كشمير دراسة التاريخ السياسي للصراع الهندي- الباكستاني» لوصول الإسلام إلى كشمير بعام ١٣٣٩م عندما أعلن حاكم وادي كشمير أنجاندرا وهو كان بوذياً، الإسلام الذي انتشر تدريجياً في كشمير[٣].

وفي عام ٧٧٤هـ، وصل كشمير الشيخ سيد مير علي الهمداني من مدينة همدان، وأقام بها ٤ أشهر ثم غادر إلى بلاده ليعود مجدداً إلى كشمير في عام ٧٨١هـ لكن برفقة ٧ آلاف شخص عكفوا على تعلم اللغة المحلية ونشر الإسلام في ربوع كشمير[٤].

وعلى مدى ٥ قرون (١٣٢٠ – ١٨١٩م) انتشر الإسلام حتى أصبح أغلب سكان الولاية مسلمين، وقد انقسمت هذه القرون الخمسة التي حكم فيها المسلمون كشمير إلى ٣ مراحل؛ هي: فترة حكم السلاطين المستقلين (١٣٢٠ – ١٥٨٦م)، وفترة حكم المغول (١٥٨٦ – ١٧٥٣م)، وفترة حكم الأفغان (١٧٥٣ – ١٨١٩م)[٥].

فبعد فترة حكم السلاطين المستقلين استطاع السلطان أكبر السيطرة على المنطقة التي تشمل وادي كشمير وجزءاً كبيراً من جامو وضمها إلى دولة المغول عام ١٥٨٦م، ومع الضعف الذي أصاب المغول في منتصف القرن الـ١٨ الميلادي، تمكن الأفغان من السيطرة

(١) عبدالعاطي، محمد، (٢٠٠٦)، كشمير.. نصف قرن من الصراع، موقع الجزيرة.نت بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٧م.
(٢) العبودي، محمد بن ناصر، سياحة في كشمير وحديث عن ماضي المسلمين وحاضرهم، ط١٩٩١،١، ص٢٤.
(٣) محسن، كاظم هيلان، كشمير دراسة في التاريخ السياسي للصراع الهندي – الباكستاني، ط١، دارالفراهيدي للنشر والتوزيع (بغداد ٢٠١٢) ص٦٤.
(٤) العبودي، محمد بن ناصر، مرجع سابق، ص٢٥.
(٥)عبدالعاطي، محمد، (٢٠٠٦)، كشمير.. نصف قرن من الصراع، الجزيرة.نت بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٧م.

عليها وضمها إلى دولتهم وبقيت تحت حكم الأفغان حتى عام ١٨١٩م[١].

وخلال الحكم الإسلامي نعمت كشمير بنوع من الاستقرار، وأثر مفهوم المساواة في الإسلام في خلق نوع من التعايش بين جميع الأقليات الدينية والعرقية، وازدهرت العديد من الصناعات والحرف اليدوية كصناعة الغزل والنسيج[٢].

حكم قبيلة الدوغرا الهندوسية (١٨٤٦ - ١٩٤٧م)(٣):

بقيت كشمير هكذا تحت حكم المسلمين، حتى جاء عام ١٨١٩م الذي مثل بداية مرحلة جديدة في تاريخ كشمير، فبينما اتجهت دولة الأفغان إلى الضعف أواخر القرن الـ١٨ الميلادي، كان السيخ يتوسعون في دولتهم التي بنوها في البنجاب عام ١٧٩٩م، التي أسسها رانجيت سنغ، وفي عام ١٨١٩م تمكن سنغ من ضم كشمير إلى دولته[٤].

في هذه الفترة، كان رانجيت سنغ مؤسس دولة السيخ يقرب في خدمته أحد أبناء قبيلة الدوغرا الهندوسية وهو جولاب سنغ (Gulab Singh)، فعينه حاكماً على إقليم جامو عام ١٨٢٠م، وعين الشقيق الأصغر لجولاب سنغ حاكماً لإقليم بونش، ووضع حاكماً مسلماً يسمى إمام الدين على وادي كشمير[٥].

وهنا بدأ جولاب سنغ يتوسع ليكون إمبراطورية خاصة به، فاستولى على لداخ عام ١٨٣٠م، ثم استحوذ على بالتستان في عام ١٨٤٠م[٦].

وبوفاة رانجيت سنغ عام ١٨٣٩م واتجاه دولة السيخ للضعف، كان النفوذ البريطاني يزداد في شبه القارة الهندية، في ظل هذه الأجواء كان جولاب سنغ يتقرب إلى الإنجليز ويعقد معهم الصفقات سراً، حتى إنه تمكن من إقناع السيخ بعدم مهاجمة القوات البريطانية التي كانت تحارب الأفغان حتى خسر الأفغان حربهم ضد البريطانيين[٧].

(١) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص٦٤ و٦٥.
(٢) كشمير، موقع الجزيرة نت بتاريخ ٢٠١٥/٥/١٣م.
(٣) قبيلة هندوسية كانت تسكن السهول الممتدة أسفل سهول البنجاب من جهة السلاسل الجبلية المحيطة بكشمير جنوباً، وانقسمت لعدة فروع منها فرع هاجر إلى منطقة جامو في منتصف القرن الـ١٨الميلادي، وجاء منه جولاب سنغ، للتوسع ينظر: محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق ص٦٥.
(٤) محسن، كاظم هيلان، المرجع نفسه، ص٦٥.
(٥) محسن، كاظم هيلان، المرجع نفسه ص٦٥.
(٦) لامب، ألاستر، (١٩٩٢). كشمير: ميراث متنازع عليه (١٨٤٦-١٩٩٠م)، ترجمة سهيل زكار، دمشق، ص٣٢.
(٧) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص٦٥.

وبهزيمة الأفغان، اشتد الصراع بين السيخ والبريطانيين، وبدلاً من أن يشارك جولاب سنغ السيخ حربهم ضد الإنجليز بحكم كونه جزءاً من دولتهم، إلا أنه التزم الحياد بموجب اتفاق سري أبرمه مع البريطانيين، وعندما طالبه السيخ بمشاركة قواتهم في حربهم أوهمهم بالموافقة وناور بجيشه لكنه لم يشترك فعلياً في المعركة، وبسبب خيانته هزم السيخ أمام البريطانيين في معركة «سبراون» عام ١٨٤٦م، وبعد هزيمتهم كلف السيخ جولاب سنغ بالتفاوض عنهم مع البريطانيين، ونتيجة لوساطته وقع البريطانيون مع السيخ «معاهدة لاهور»، في ٩ مارس ١٨٤٦م، التي بموجبها خسر السيخ نصف ممتلكاتهم من الأراضي[١].

معاهدة أمريتسار عام ١٨٤٦م:

في ظل هذه الأجواء، وتقديراً لجهوده، كان لا بد من مكافأة جولاب سنغ على خدماته التي قدمها للبريطانيين، لضمان استمرارها، وأيضاً لأهداف أخرى تعود بالنفع الأكبر في المنطقة لصالح شركة الهند الشرقية التي تمثل الاحتلال البريطاني لشبه القارة الهندية، فإذا كانت بريطانيا قدمت فلسطين لليهود عبر «وعد بلفور»[٢]، فقد كافؤوا جولاب سنغ بمعاهدة «أمريتسار» التي عقدوها مع جولاب سنغ في ١٦ مارس ١٨٤٦م، التي بموجبها باعه البريطانيون (وادي كشمير) مقابل مبلغ ٧,٥ مليون روبية، أي حوالي ٥٠٠ ألف جنيه إسترليني، كما قامت بريطانيا بمساعدته على فرض سلطته على الإقليم[٣].

فبعد إبرام المعاهدة، واجه جولاب سنغ صعوبة في بسط سيطرته على وادي كشمير، عندما تصدى له حاكم الوادي، فلجأ جولاب سنغ إلى طلب مساعدة الإنجليزي الذين أرسلوا قوات لهم انضمت إلى قوات جامو التابعة لجولاب سنغ فتمكن من بسط سيطرته، وأصبح حاكماً للمنطقة التي تعرف بولاية جامو وكشمير[٤].

---

(١) محسن، كاظم هيلان، المرجع نفسه، ص٦٦.

(٢) الرسالة التي بعث بها وزير خارجية بريطانيا جيمس بلفور إلى اللورد روتشيلد، أحد زعماء الحركة الصهيونية، عام ١٩١٧م، يتعهد فيها بالعمل على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

(٣) لامب، ألاستر، (١٩٩٢). كشمير: ميراث متنازع عليه (١٨٤٦-١٩٩٠)، ترجمة سهيل زكار، دمشق، ص٣٣.

(٤) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص٦٦.

بنود معاهدة «أمريتسار»:

اشتملت معاهدة «أمريتسار» التي وقعها عن الجانب البريطاني كل من فردريك كري، وهنري مونتجمري لورانس بتوجيهات من السير هنري هاردنج، الحاكم العام، عن الحكومة البريطانية، مع المهراجا جولاب سنغ، اشتملت على ١٠ بنود، أن تنقل الحكومة البريطانية ملكية جميع الأراضي الواقعة شرق نهر الإندوس وغرب نهر رافي بما في ذلك تشامبا، باستثناء لاهور، إلى المهراجا جولاب سنغ وورثته من الذكور، ويقوم مفتشون مشتركون برسم حدود الأراضي المحولة، على أن يدفع المهراجا ٧,٥ مليون روبية، ويشترط الموافقة البريطانية على أي تغيير في حدود أراضي جولاب سنغ، وفي حال حدوث أي خلاف بين المهراجا وأي ولايات أخرى تتولى الحكومة البريطانية التحكيم ويلتزم المهراجا بما يصدر عنها، كما يتعهد سنغ بمساندة البريطانيين بقواته في المناطق المجاورة لممتلكاته، ولا يحق له استخدام أي من الرعايا الغربيين دون موافقة بريطانية، مع احترامه للاتفاقيات السابقة بخصوص الأراضي المحولة لملكيته، كما تتعهد بريطانيا بمساعدته في حماية أراضيه ضد أي اعتداء، ويقر المهراجا بالسيادة البريطانية وكرمز لهذه السيادة يقدم هدية سنوية للحكومة البريطانية عبارة عن حصان و١٢ من الماعز جيد السلالة، و٣ أزواج من الشال الكشميري[١].

أهداف المعاهدة:

حول معاهدة «أمريتسار»، أرسل اللورد هاردنج إلى الملكة فيكتوريا يوضح أن هدف شركة الهند الشرقية من هذه المعاهدة كان إضعاف دولة السيخ وتفكيكها، ومكافأة الرجل الذي قدم خدمات جليلة في نزع أراضي السيخ ومنحها لحاكم مختلف عنهم في الدين[٢].

كما أن منح كشمير ذات الأغلبية المسلمة لحاكم هندوسي يكشف بجلاء سياسة بريطانية متبعة بإسناد حكم العديد من الإمارات الهندية لحاكم من الأقلية يختلف عن أغلبية الشعب في المعتقد، وهذا يجعل الحاكم في حاجة مستمرة للدعم البريطاني وأسيراً لمصالحها على حساب مصالح شعبه، ولن يكون هناك مجال لأن يلتقي مع مصالح أغلبية

(١) الجزيرة نت ٢٠١١، معاهدة أمريتسار، موقع الجزيرة نت بتاريخ ٢٠١١/٤/١٩م.
(٢) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص٦٧.

الشعب الذي يحكمه[١].

هذه السياسة أشار إليها الكاتب الهندي المعروف د. ظفر الإسلام خان، فقضية كشمير في جوهرها مرتبطة بالدافع الذي تم تقسيم شبه القارة الهندية على أساسه، فالهند البريطانية كان بها ٥٨٠ إمارة لها استقلال ذاتي يحكمها أمراء ومهراجات محليون بعد تقييدهم بقيود بريطانية، وكان منها مناطق ذات أغلبية هندوسية يحكمها مسلمون، ومناطق أغلبيتها مسلمون يحكمها هندوس، وهذا تدبير إداري ممتاز في نظر المستعمر البريطاني، فهؤلاء الحكام كانوا يحكمون مناطقهم بيد من حديد إذا كانوا من غير ديانتهم[٢].

التضييق الهندوسي:

استطاع جولاب سنغ أن يفرض سيطرته على جامو وكشمير ومناطق لاداخ وبلتستان وجلجات، وأسس نظام حكم لعائلة «دوغرا» الهندوسية التي حكمت كشمير حتى عام ١٩٤٧م، إذ أعقبه ثلاثة حكام، هم رانبير سنغ (١٨٥٨م)، وبارتاب سنغ (١٨٨٥م)، وهاري سنغ (١٩٢٥م)، والذي حكم كشمير حتى التقسيم عام ١٩٤٧م[٣].

بقيت فترة حكم عائلة الدوغرا شاهدة على تمييز واضح وسياسات إقصائية ضد مسلمي الولاية في مختلف مجالات الحياة، فقد انتهجت عائلة الدوغرا سياسة إقطاعية في الزراعة ساهمت في زيادة المديونية على المزارعين[٤].

بل كانت كل أراضي كشمير ملكاً للمهراجا، وكانت الضرائب المفروضة على المزارعين تعادل نحو ٣ أضعاف مثيلتها في البنجاب الغربية؛ ما جعل الأراضي والضرائب المفروضة عليها تشكل مصدراً رئيساً لدخل الولاية، وللسبب نفسه بقيت مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية الصالحة دون استغلال، حيث أحجم الفلاحون عن استثمارها خشية الضرائب التي ستحول دون أن يحققوا أي مردود من الربح أو الاحتفاظ بجزء مناسب من المحصول[٥].

---

(١) محسن، كاظم هيلان، المرجع نفسه، ص٦٧

(٢) خان، ظفر الإسلام (٢٠٠٤)، كشمير.. هل تدفع باكستان والهند للحرب مجددا؟ موقع الجزيرة نت.

(٣) لامب، ألاستر، (١٩٩٢). كشمير: ميراث متنازع عليه (١٨٤٦-١٩٩٠)، ترجمة سهيل زكار، دمشق، ص٤٠.

(٤) لامب، ألاستر، المرجع السابق، ص١٣٦.

(٥) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص٦٩.

لم يكن مجالا التجارة والصناعة بأحسن حالاً من الزراعة، فقد تم إخضاع التجارة والصناعة مهما كانت بساطة الحرفة لضرائب باهظة وصلت إلى ما نسبته ٨٥٪ من قيمة البضاعة، مثل الضرائب التي فرضت على صناعة النسيج واحتكار الحكومة المبادلات التجارية الرئيسة مثل الحرير والأقمشة والورق، وقيود مماثلة تعرض لها قطاع صناعة الشال الكشميري[١]، بل بلغ الأمر أنه كان يتم فرض ضرائب على نوافذ المنازل المطلة على الطريق باعتبار أن النوافذ هذه من مظاهر الترف، فضلاً عن نظام السخرة[٢].

وفي كل مناحي الحياة كان هناك تمييز ضد الأغلبية المسلمة، وتطبيق التشريعات المصممة بوضوح لصالح الهندوس، فقد كتب الباندیت الهندوسي بريم ناث بزاز عن هذا التمييز في كتابه الذي جاء بعنوان «Inside Kashmir» ما نصه: «لم يكن حكم الدوغرا سوى تحكم هندوسي لم يعامل المسلمين معاملة عادلة، وأقصد بالمعاملة العادلة المساواة مع الهندوس، ويجب أن نعترف أن المسلمين عوملوا معاملة سيئة جداً لمجرد كونهم مسلمين، ويمكن القول: إن ٢٨ رئيساً للوزارة تناوبوا على حكم كشمير خلال قرن من حكم الدوغرا لم يكن أي منهم مسلماً، وكانت تتم مصادرة ممتلكات أي هندوسي يعتنق الإسلام، ولا ينطبق هذا عند ارتداد المسلمين عن دينهم»[٣].

واقع المسلمين عبر عنه رئيس الديوان الكشميري آنذاك السيد «Albion Bannerji» الذي شرح أسباب استقالته عام ١٩٢٩م بقوله: «إنه من غير الممكن بقاؤه مع مساوئ حكم المهراجا، فولاية جامو كشمير فيها جمهور مسلم كبير أمي تماماً يعمل في ظل الفقر والظروف الاقتصادية المتدنية، وإنهم محكومون عملياً كقطيع من الماشية»[٤].

وفي مجال التعليم، كان تأخر المسلمين واضحاً ومقصوداً، إذ إن المدارس أقيمت بالقرب من تجمعات الهندوس، بعيدة عن أماكن سكن المسلمين، وهذا ما لاحظه مدير المدرسة الكنسية التبشيرية في كشمير، عندما قال: إن المسلمين لم يتمكنوا من إرسال أولادهم إلى المدارس، إذ كانت كل الخدمات الحكومية ممنوعة عليهم، فبالرغم من تفوق

(١) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص٧٠.
(٢) حقي، إحسان، (١٩٧٧)، ماساة كشمير المسلمة، ط٢، ص٨١.
(٣) محسن، كاظم هيلان، المرجع السابق، ص٧١.
(٤) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص٧٢.

المسلمين عددياً كونهم الأغلبية في الولاية، فإنهم لم يتمكنوا من إرسال أبنائهم إلى المدارس، فقد كانت جميع الخدمات الحكومية ممنوعة عليهم[١].

رغم كل أشكال التضيق، فقد بدأت مظاهر للنشاط والوعي السياسي وزاد في فترة حكم المهراجا الأخير هاري سنغ، تأثراً بالحراك في الهند البريطانية، مع بدايات القرن العشرين، وتأسيس الرابطة الإسلامية، ونتيجة لبعض الأحداث البارزة، واهتمام الطلاب الذين كانوا يدرسون في الهند البريطانية أو داخل الولاية بالصحافة التي أنشأها الكشميريون في الداخل والخارج، تأسست أحزاب في كشمير تدافع عن مصالح الأقليات غير المسلمة، وفي عام ١٩٠٥م جرى تأسيس «جمعية نصرة الإسلام» كأول تنظيم إسلامي في كشمير بهدف تحسين أحوال المسلمين تعليمياً ودينياً[٢].

وفي عام ١٩٢٤م، ساهم الإضراب الذي قام به العمال في أحد مصانع الحرير في سريناجار، في تسليط الضوء على الأوضاع المأساوية في كشمير، حيث قوبل بالقمع رغم أنه كان احتجاجاً عمالياً على تدني الأجور، وهو ما جلب اهتمام حكومة الهند البريطانية، وجاء نائب الملك البريطاني اللورد ريدنج لزيارة كشمير، وهنا قدم له المسلمون مذكرة اعتبرت أول برنامج إجمالي للإصلاح في كشمير، حيث تضمنت زيادة عدد المسلمين المستخدمين في الإدارات الحكومية، وانتخاب مجلس تشريعي يمثل فيه المسلمون بشكل مناسب، وحمايتهم ومؤسساتهم الدينية من اعتداءات الهندوس، وغيرها من المطالب[٣].

ومع بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، كوَّن الطلاب من خريجي جامعة عليكرة الإسلامية من الكشميريين ما يشبه صالوناً سياسياً، مثل نواة لرموز سياسية في أوساط مسلمي كشمير، أبرزهم الشيخ محمد عبدالله، وشوذري غلام عباس، وقد بقيا تأثيرهما في الحياة السياسية فترة طويلة[٤]، مال الشيخ محمد عبدالله لاحقاً إلى الانضمام للهند.

وبرز كل منهما على الساحة السياسية في كشمير، ومع تشكيل المؤتمر الإسلامي، ثم

(1)Schofield. Victoria. Kashmir in conflict India and Pakistan and Unending War. (London 2003) P15.
(٢) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص٧٢-٧٥.
(3) Schofield. Victoria. Kashmir in conflict India and Pakistan and Unending War. (London 2003) P16.
(٤) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص٨٠.

تحوله إلى المؤتمر الوطني برغبة من الشيخ محمد عبدالله[١] للتقارب مع كل الطوائف، لكن انفصل عنه لاحقاً غلام عباس، وأحيا المؤتمر الإسلامي مجدداً، وبينما أيد الشيخ عبدالله الانضمام إلى الهند، وأيد المؤتمر الإسلامي الانضمام إلى باكستان[٢].

تقسيم شبه القارة الهندية:

مع رحيل الاحتلال البريطاني عن الهند عام ١٩٤٧م، برزت أزمة التقسيم على أساس ديني التي خلفها الاحتلال، فظهرت دولتا الهند وباكستان من دولة الهند البريطانية، أفرز هذا التقسيم مشكلات ظهرت لاحقاً، وأهمها أزمة كشمير، وهجرة الملايين بين الجانبين، ثم دور الهند في تقسيم باكستان بالتدخل العسكري لصالح الانفصاليين في بنجلاديش عام ١٩٧١[٣].

نص قانون استقلال الهند على أن الإمارات شبه المستقلة داخل الهند البريطانية حرة في أن تنضم إلى أي من الهند أو باكستان، أو أن تبقى مستقلة مع الأخذ في الاعتبار بعض العوامل مثل الوضع الجغرافي ورغبات الشعب، ولكن الهند تجاهلت هذا المبدأ عند الاستقلال، وخصوصاً فيما يتعلق بإمارات جوناكره (غرب الهند)، وحيدر آباد (جنوب الهند)، وكشمير (شمال الهند)[٤]، وكان بالإمارتين الأوليين غالبية هندوسية يحكمهما أميران مسلمان، أما في كشمير فكان الوضع على عكس ذلك، إذ إن غالبية السكان مسلمون وحاكمها كان هندوسياً[٥].

وبينما رفضت الهند رغبة الحكام في ولايتي جوناكره، وحيدر آباد، كونهما مسلمين والأغلبية هندوسية؛ وبالتالي فوفق قواعد التقسيم أن تراعى رغبة الشعب وتنضم الولايتان إلى الهند التي تدخلت فعلياً بالقوة وضمت جوناكره وحيدر آباد، وفيما يخص كشمير، فإن الهند تنكرت للمبدأ الذي استخدمته مع الولايتين السابقتين، فأغلبية كشمير

(١) ولد الشيخ عبدالله عام ١٩٠٥م، درس ماجستير العلوم السياسية في جامعة عليكرة الإسلامية وهو من أبرز الشخصيات المسلمة في كشمير، للتوسع انظر: حقي، إحسان، مأساة كشمير المسلمة، ص١٤٣.
(٢) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص٨٠-١١٩.
(٣) خان، ظفر الإسلام، (٢٠٠٤)، كشمير.. هل تدفع باكستان والهند للحرب مجدداً؟ موقع الجزيرة نت.
(٤) للتوسع في أزمة الولايتين انظر: محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص١٠٦.
(٥) خان، ظفر الإسلام، (٢٠٠٤)، كشمير.. هل تدفع باكستان والهند للحرب مجدداً؟ موقع الجزيرة نت.

من المسلمين، كما أن الوضع الجغرافي أقرب لباكستان[١].

ولما فشل المهراجا هاري سنغ في الاستقلال بكشمير رغب في الانضمام إلى الهند، على خلاف رغبة الأغلبية المسلمة وقتها ٨٢٪ من السكان، وقام جنوده بارتكاب المذابح في منطقة بونش وميربور في سبتمبر ١٩٤٧م، ويقال: إنه قتل في هذه الاضطرابات أكثر من مائة ألف مسلم، بينما هرب آخرون إلى باكستان؛ وبالتالي أصبحت جامو منطقة ذات غالبية هندوسية، وجرت هذه المجازر لإجهاض انتفاضة مسلمي كشمير ضد الحاكم الهندوسي[٢].

اتسعت المجازر التي ارتكبتها قوات المهراجا ضد المسلمين، وفي يوليو ١٩٤٧م أصدرت حكومته أمراً للمسلمين بتسليم أسلحتهم، ويشمل ذلك حتى الأفراد المسلمين في الجيش والشرطة، واستعان المهراجا بالمنظمات الهندوسية المتطرفة مثل منظمة «R.S.S»، ومنظمة «الجان سنغ»، ومنظمة «الهندومهاسابها»، وكل هذه المنظمات تعتبر المسلمين ألد أعدائها[٣].

وانتشرت أعمال الإبادة الجماعية من غرب جامو إلى شرقها، فكانت هذه التنظيمات المتطرفة تحرق القرية بأكملها لمجرد أن مسلماً واحداً فيها عمل على مقاومتها، وفي ٥ و٦ نوفمبر ١٩٤٧م ارتكبت مجزرة بحق ركاب قطارين من المسلمين، وكان المهراجا يهدف من كل هذه الإبادة إلى إحداث تغيير في التركيبة السكانية على حساب الأغلبية المسلمة[٤].

جريدة «التايمز» في عددها الصادر ١٠ أكتوبر ١٩٤٨م، وصفت الأحداث بقولها: «وفي سائر مقاطعة الدوغرا أبيد ٢٣٧ ألفاً من المسلمين إبادة منظمة، إلا من نجا منهم بنفسه هارباً عبر الحدود إلى باكستان، وقد تولت هذه الإبادة قوات نظامية بمقاطعة الدوغرا يقودها مهراجا كشمير بنفسه وتساعده الجماعات من الهندوس والسيخ»[٥].

سياسياً؛ مارس المهراجا هاري سنغ دوراً مزدوجاً في قضية كشمير؛ فمن جهة كان

(١) خان، ظفر الإسلام، المرجع نفسه.
(٢) خان، ظفر الإسلام، المرجع السابق.
(٣) المودودي، أبوالأعلى، قضية كشمير، ص١٦-١٧.
(٤) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق ص١٤٠،١٣٩،١٣٨.
(٥) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص١٣٩.

يظهر للشعب الكشميري وباكستان مناصرتهم، ومن جهة أخرى كان يشارك زعماء المؤتمر الوطني الهندي والإنجليز حياكة المؤامرات ضد باكستان[١].

وبينما تبنى الشيخ محمد عبدالله خيار انضمام كشمير للهند، وإن كان لاحقاً، وفي عام ١٩٥٣م انتقد سياسة الهند في كشمير وعدم وفائها بإجراء الاستفتاء ومنح الكشميريين حق تقرير مصيرهم[٢].

اتخذ المؤتمر الإسلامي في كشمير قراره، في ٩ يوليو ١٩٤٧م، بالانضمام إلى باكستان، وطلب المهراجا بأن يضع هذا القرار موضع التنفيذ، كون الروابط التي تجمع الكشميريين مع باكستان أكثر، فنحو ٨٠٪ من سكان الولاية من المسلمين، وهي مصدر رئيس للمياه في إقليم البنجاب الباكستاني، إلى جانب الروابط اللغوية والثقافية وامتداد الحدود المشتركة، كل هذه العوامل تجعل من انضمام الولاية إلى باكستان أمراً محتوماً[٣].

ثورة البونش:

إزاء مجازر قوات المهراجا بالاشتراك مع التنظيمات المتطرفة، وما تركته في نفوس المسلمين في باكستان، تمكن الثوار الذين تجمعوا على حدود مقاطعة بونش خلال يوليو ١٩٤٧م، من تشكيل قيادة لهم برئاسة محمد إبراهيم خان، وهو ضابط سابق في جيش المهراجا، ونائباً عن منطقة بونش في الجمعية التشريعية لكشمير[٤].

وتمكن خان من جمع الأسلحة وشكل التنظيمات العسكرية من ثوار البونش والمتطوعين الباكستانيين ورجال القبائل.

أمام هذه الأجواء وزيادة زخم ثورة البونش، كانت حكومة باكستان أمام ثلاثة خيارات؛ إما تجاهل الأحداث وترك الثوار لمصيرهم وتجاهل مشاعرهم المؤيدة للانضمام لها،

(١) المودودي، أبوالأعلى، مرجع سابق، ص١٦.
(٢) حقي، إحسان، مأساة كشمير المسلمة، ص١٤٩ حتى ص١٥٥.
(٣) المودودي، أبوالأعلى، المرجع نفسه، ص١٥
(٤) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص١٤٠و١٤٠.
2-Schofield. Victoria. Kashmir in conflict India and Pakistan and Unending War. (London 2003) P42

أو مساعدة المهراجا الهندوسي الذي سبق وأن طلب المساعدة من خلال وقف عمليات التسلل عبر الحدود، في قمع المسلمين وبالتالي التخلي عن شعارات حماية المسلمين، وثالثاً السماح علناً وسراً بإرسال المساعدات عبر أراضيها لدعم الثورة، وهذا ما اختارته باكستان[١].

ولا سيما أن باكستان اعتبرت الثورة تحركاً مشروعاً ضد حكم المهراجا والمجازر التي ترتكب بحق المسلمين، وتعبيراً عن تعاطف مسلمي باكستان مع إخوانهم ضد ما يتعرضون له؛ توافد الآلاف من المتطوعين لمساندة ثورة البونش[٢].

وبدأت الثورة تأخذ منحى جديداً، وتمكن الثوار من السيطرة على عدة مناطق مثل جيناري وأوري، وفي ٢٤ نوفمبر أعلنوا استقلالهم رسمياً عن المهراجا تحت اسم «حكومة أزاد كشمير»؛ أي كشمير الحرة، وذلك برئاسة محمد إبراهيم، ونجحوا في التقدم قرب سريناجار[٣].

ومع تقدم الثوار وتراجع وتقهقر قوات المهراجا إلى جامو، هنا لجأ المهراجا إلى طلب المساعدة من الهند وذلك خلافاً لاتفاقية «قف مكانك» التي سبق أن عقدها مع كل من الهند وباكستان؛ أي أن تلتزم كل من الهند وباكستان مراعاة الوضع الراهن[٤].

دخول الهند:

هذا الواقع شكل فرصة لدخول الهند إلى كشمير، وضمها قسرياً إليها، فمع انتصارات الثوار، وتقهقر قوات المهراجا، أرسل إلى الهند يطلب المساعدة، وقد استغل الزعماء الهنود الفرصة، خاصة وأنهم كانوا يتابعون الوضع في كشمير بشكل جيد، فاشترطوا أن يرسل المهراجا طلباً بانضمام الولاية للهند مقابل إرسال قوات عسكرية لمساعدته في مواجهة الثوار، وهنا اضطر المهراجا للموافقة، وأرسل فعلياً، يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٤٧م، طلباً لانضمام ولايته للهند[٥]، التي دخلت بقواتها إلى كشمير في اليوم التالي (٢٧ أكتوبر)، وهو الذي

(١) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص١٤٢.
(2) 1-Schofield. Victoria. Kashmir in conflict India and Pakistan and Unending War. (London 2003) P42
(٣) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص١٤٣.
(٤) المودودي، أبوالأعلى، مرجع سابق، ص٢١.
(٥) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص١٤٣.

عرف لاحقاً بـ «اليوم الأسود» لكشمير نتيجة المجازر التي ارتكبتها الهند[١]، لكن المؤرخ البريطاني ألاستر لامب طعن في صحة وثيقة الانضمام بتاريخ ٢٦ أكتوبر، ورجح أن يكون التوقيع تم بعد ظهر يوم التدخل الهندي بكشمير في ٢٧ من أكتوبر[٢].

وبرغم الانتصارات، فإن ثورة البونش قد فشلت لعدة أسباب، منها عدم تنظيم الثوار وصعوبة السيطرة عليهم، كما لم يكن لديهم آليات للنقل السريع تنقلهم إلى أماكن تقدمهم من خلال سرعة التحرك، وهذا ساهم في تأخرهم، وفي الوقت نفسه أتاح الفرصة للقوات الهندية للوصول ووقف زحف الثوار وقلب المعادلة[٣].

في ظل التدخل الهندي ومجازره ضد المسلمين، وتدفق أفواج اللاجئين هرباً من جرائم الهندوس، وتراجع قوات كشمير الحرة، لم يكن بمقدور باكستان أن تقف مكتوفة الأيدي، فتدخلت دفاعاً عن أمنها الإستراتيجي، فسيطرت باكستان على جزء من كشمير، لكن بقي الجزء الذي ضمته الهند بالقوة أكبر، وظل القتال يستنزف الجيشين، فتحولت الحرب بينهما إلى حرب استنزاف حتى توقيع اتفاق وقف إطلاق النار برعاية أممية في يناير ١٩٤٩م[٤].

وتناولت الأمم المتحدة القضية، وكان لمجلس الأمن عدة قرارات بخصوص كشمير، لكننا هنا نسعى لتسليط الضوء على أهم الإجراءات الهندية بحق كشمير والاضطهاد الهندوسي الذي تعرضت له الأغلبية المسلمة فيها على مدى عقود.

منذ دخول الهند إلى كشمير، لم تتوانَ عن ارتكاب المجازر بحق أغلبيتها المسلمة، في الجزء الذي سيطرت عليه، وهو ما أشار إليه رئيس آزاد كشمير سردار مسعود خان، بقوله: «إن الهند عندما دخلت إلى كشمير في أكتوبر ١٩٤٧م، ارتكبت مجازر منظمة ضد أهلها راح ضحيتها ٢٥٠ ألف مسلم، وتم تهجير نحو نصف مليون قسراً إلى باكستان»[٥]، ولم تمنح سكانها حقهم حتى الآن في تقرير مصيرهم.

(١) عبدالفتاح، شعيب، فصول من مأساة كشمير، (١٩٩٤)، ط١،ص٤١.
(٢) عبدالفتاح، شعيب، المرجع السابق، ص٤٤.
(٣) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص١٤٣ و١٤٤.
(٤) محسن، كاظم هيلان، مرجع سابق، ص١٤٧، ١٤٨.
(٥) خان، سردار مسعود، في حوار تلفزيوني لبرنامج «على موعد» بقناة Trt عربي منشور بتاريخ ٢٠١٩/٣/١٥.

ممارسات قوات الأمن في الهند- الإنترنت

لعل عدم وفاء الهند بوعود إجراء الاستفتاء ومنح الكشميريين الحق في تقرير مصيرهم له أسباب عديدة، أهمها هو تأكدهم من أن نتيجة الاستفتاء لن تكون في صالحهم، وهذا كشفته «رسالة بعث بها الرئيس الهندي Rajendra Prasad إلى رئيس الوزراء Nehru برأي Radhakrishnan، نائب الرئيس بعد زيارته إلى كشمير، في ١٤ يوليو ١٩٥٣م، أن الهند ستخسر الاستفتاء إذا تم إجراؤه، وحتى نهرو نفسه لم يكن واثقاً من كسب الاستفتاء، حتى إنه سبق وأن أبلغ المفوض السامي البريطاني السيد Archibald Nye في لقاء بينهما، في ٦ سبتمبر ١٩٤٩م، أنه في حال إجراء استفتاء حر ونزيه في كشمير لتقرير المصير، فإن نتيجته ستكون أن تذهب منطقة البونش إلى باكستان، ومنطقة جامو إلى الهند، بينما من غير المعروف في أي طريق ستصوت منطقة الوادي»[1].

(1) A.G Noorani, The Kashmir Dispute volume 1, page 29

صورة من احتجاجات في كشمير تظهر استهداف العيون- الإنترنت

ومنذ الأحداث التي وقعت عام ١٩٨٩م، قتل نحو ١٠٠ ألف شخص معظمهم من المدنيين، وفي عام ٢٠١٦م كثفت الهند من وجودها العسكري في كشمير وقتلت الآلاف منهم غير الاعتقال والتعذيب وهدم المنازل، وأصبح الاغتصاب سلاحاً هندياً من وسائل الحرب كان ضحيته حوالي ١٠ آلاف امرأة تعرضن للاغتصاب والتحرش، وهناك تقارير توثق فقدان نحو ٦ آلاف شخص أبصارهم سواء بشكل جزئي أو كلي بسبب حملات الهند في كشمير واستخدام أسلحة محظورة، ومع وقوع هجوم بو لواما بكشمير، في ١٤ فبراير ٢٠١٩م، أرسلت الهند نحو ١٠ آلاف عسكري كقوة مقاتلة إضافية استهدفت الشباب والسياسيين الذين يطالبون باستقلال كشمير عن الهند[١].

(١) خان، سردار مسعود، مرجع سابق.

خريطة لمناطق السيطرة في كشمير- الجزيرة نت

مع الصراع الممتد منذ عام ١٩٤٧م على كشمير، والحروب التي خاضتها كل من الهند وباكستان على خلفية الأزمة، وتوقيع اتفاقية «شيملا» بينهما عام ١٩٧٢م، ودخول الصين على الخط، توزعت مناطق السيطرة في كشمير بين الدول الثلاث، فالمساحة الإجمالية لكشمير حوالي ٨٦ ألف ميل مربع (نحو ٢٢٣ ألف كيلومتر مربع)؛ تسيطر الهند على نحو ١٠٦,٥ ألف كيلومتر مربع، ويسمى «جامو وكشمير» ذات أغلبية مسلمة، أما الشطر الباكستاني فحوالي ٧٨ ألف كيلومتر مربع، ويعرف باسم «ولاية كشمير الحرة (آزاد كشمير)، إلى جانب نحو ٣٨ ألف كيلومتر تسيطر عليها الصين وتسمى «أكساي تشين».

ونحن عندما نتحدث عن كشمير هنا ونستعرض مسيرة الاضطهاد المتواصل بحق مسلميها ما بعد عام ١٩٤٧م، فنحن نقصد «ولاية جامو وكشمير» الجزء الخاضع لسيطرة الهند من كشمير ككل.

وإذا كانت عوامل الصراع الهندي الباكستاني حول كشمير متعددة، فالهند تعتبر كشمير عمقاً أمنياً وإستراتيجياً أمام الصين وباكستان، كما أنها بالنسبة لإسلام آباد أمناً إستراتيجياً ومائياً، خاصة أن عدداً من الأنهار تنبع من كشمير وتصب في اتجاه باكستان وتعتمد عليها الزراعة في إقليم البنجاب، وبالفعل يصعب عدم الإشارة إلى أهمية عنصر الماء كمادة حيوية في كشمير، فهي عصب لثلاثة أنهار تصب في باكستان، وهي نهر

جهيلوم (٧٢٥ كلم)، وشيناب (٩٦٠ كلم)، والأندوس (٣١٨٠ كلم)، كما أنها موارد حيوية وأساسية للهند توفر لها مياه الشرب والطاقة الكهربائية، وتلبي احتياجات الري، سيما أن البلدين يتقاسمان منذ عام ١٩٦٠م مياه ٦ أنهار بموجب «معاهدة مياه نهر السند»[١].

خريطة تظهر مناطق السيطرة في كشمير بين الدول الثلاث- بي بي سي عربي

إلغاء الحكم الذاتي لكشمير:

وبرغم كل أسباب الصراع، فإنه لا يمكن إغفال البعد الديني والطائفي، فكما استعرضنا كيف كان مسلمو كشمير على مدى فترات طويلة ضحية العنف الهندوسي،

(١) مصدق، حسن، الصراع الهندي- الباكستاني حول كشمير، مركز مستقبل الخليج بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٦م.

وحتى مع الإجراء الأحادي من قبل الهند، في ٥ أغسطس ٢٠١٩م، بإلغاء المادة (٣٧٠) من الدستور الهندي التي كانت تكفل حكماً شبه ذاتي لولاية جامو وكشمير، وإن كان وعداً انتخابياً قدمه حزب بهاراتيا جاناتا الحاكم، إلا أنه في الأساس مبدأ ديني وإرضاء للحركة القومية الهندوسية، خاصة وأن جامو وكشمير هي الولاية الوحيدة في الهند ذات الأغلبية المسلمة فلا بد من تحويلهم إلى أقلية.

فمع صعود حزب بهاراتيا جاناتا برئاسة ناريندرا مودي للحكم منذ عام ٢٠١٤م، ازداد التوتر السياسي والمجتمعي وتعددت الحوادث الطائفية، بفعل العديد من المنظمات الهندوسية المتطرفة التي تؤمن بالسيادة الهندية وهيمنة الهندوس على السياسة في الهند[١].

فخلال جلسة البرلمان الهندي، في ٥ أغسطس ٢٠١٩م، التي بثها الإعلام المحلي حياً، وقف وزير الداخلية أميت شاه يقول: «لقد توصلنا إلى قرار حازم في رأيي؛ يجب ألا يكون هناك المزيد من التأخير في إلغاء المادة (٣٧٠) من الدستور التي تمنح جامو وكشمير وضعاً خاصاً»، ليرد عليه في الجلسة نفسها زعيم المعارضة في البرلمان غلام نبي آزاد قائلاً: «لقد قتل الحزب الحاكم الدستور والديمقراطية اليوم»[٢].

رئيس الوزراء ناريندرا مودي خرج في خطاب متلفز يوجه التهنئة لسكان جامو وكشمير بهذا القرار الذي قال: إنه تاريخي يمثل بداية عصر جديد من التنمية في كشمير تحت الإدارة الهندية، وإن هذا القرار ألغى العوائق التي كانت تحول دون تحقيق التنمية، وإنه سيحمي كشمير من الإرهاب ودعوات الانفصال.

على أرض الواقع، كان الوضع يزداد اشتعالاً في جامو وكشمير رفضاً لقرار الهند، وفي محاولة لوأد مظاهر الغضب الشعبي، فرضت الهند أطول فترة انقطاع للإنترنت في العالم وخدمات الهاتف المحمول، واعتقلت الآلاف بتهم غامضة، من بينهم سياسيون وقادة الأحزاب في كشمير، بحسب ما ذكرت صحيفة «فورين بوليسي»، بتاريخ ٤ أغسطس ٢٠٢٠م، ثم كيف يمكن أن تتحقق أي تنمية في ظل ما تعيشه كشمير من عسكرة وحظر

(١) خان، سردار مسعود، مرجع سابق.
(٢) trt، قناة، عربي، كشمير على حافة الهاوية، بتاريخ ٢٠١٩/٨/٦م.

للتجوال على فترات طويلة.

بدلاً من الوفاء بوعود التنمية المزعومة، أعقبت نيودلهي قرار إلغاء الحكم الذاتي لكشمير بتغييرات قانونية تصب في غير صالح مسلمي الولاية، ففي أوائل أبريل ٢٠٢٠م أصدرت تشريعات تمنح مواطنيها الهنود من غير الكشميريين الذين عاشوا في جامو وكشمير لمدة تزيد على ١٥ عاماً «التابعية الكشميرية» لتمكينهم من امتلاك أراض والإقامة والعمل في المنطقة، إضافة إلى تقلّد مناصب عامة وسياسية[١].

في مطلع عام ٢٠٢١م، عممت نيودلهي مرسوماً حكومياً ينص على إرسال موظفين إلى الولاية من خارجها، وإمكانية نقل موظفيها إلى مناطق أخرى ضمن تغييرات في الإطار البيروقراطي الذي يدير الجهاز الإداري للبلاد، كل هذه الخطوات تصب في اتجاه تهميش الأغلبية المسلمة من سكان الولاية ومساعي تحويلهم من أغلبية إلى أقلية[٢].

وخلال السنة الأولى عقب إلغاء الحكم الذاتي، أسبغت الهند «التابعية الكشميرية»[٣] لمليون و٧٠٠ ألف هندي، وهذا يستمر بدون توقف، والهدف هو تغيير ديموغرافية كشمير بصورة دائمة لتحويل المسلمين إلى أقلية[٤].

هذه السياسات تخالف ما تأسست عليه الهند بعد الاستقلال كدولة علمانية تستوعب كافة التنويعات الإثنية والعرقية والطائفية والملية المتواجدة فيها، فأصبحت تعتمد على الكثير من الموروث الديني التاريخي للهند القديمة قبل دخول الإسلام إليها[٥]، وهو ما تبنته الحركات القومية الهندوسية المتطرفة التي تنظر لمن يؤمن بالديانات السماوية من مسلمين ومسيحيين باعتبار أنهم يجب التخلص منهم أو على الأقل تهميشهم كمواطنين من الدرجة الثانية، ويتجلى هذا سواء في السياسة الهندية تجاه مسلمي كشمير كونهم أغلبية في الولاية، وأيضاً في مظاهر التطرف ضد المسلمين التي باتت تغرق عموم الولايات الهندية.

(١) الأناضول، وكالة، ٢٥ ألف هندي ينالون شهادة «مواطن محلي» بجامو وكشمير، بتاريخ ٢٠٢٠/٦/٢٦م.
(٢) الأناضول، وكالة، تغيير بيروقراطي.. سلاح الهند لتجريد كشمير من الحكم الذاتي، بتاريخ ٢٠٢١/١/١٩م.
(٣) التابعية الكشميرية تعني أن يتمتع بنفس حقوق الكشميريين.
(٤) مقابلة مع د.ظفر الإسلام خان، مرجع سابق.
(٥) زهران، مصطفى، تنظيم الدولة في شبه الجزيرة الهندية: التواجد ومسارات المستقبل، مركز الإنذار المبكر.

الخاتمة:

إن استعراض الجانب التاريخي لكشمير ولا سيما فيما يخص واقع المسلمين في ظل الحكم الهندوسي للمنطقة ليس بالضرورة معناه أن الواقع المعيش أحسن حالاً، بل إن ما يتعرض له المسلمون في ولاية «جامو وكشمير» الجزء الخاضع لسيطرة الهند من ممارسات وإجراءات منذ صعود حزب بهاراتيا جاناتا لا يقل خطورة عما يتعرض له مسلمو تركستان الشرقية على يد الصين من محو الهوية، فخلال عام واحد بعد إلغاء الحكم الذاتي في جامو وكشمير بدت مساعي الهند لتغيير التركيبة السكانية على حساب المسلمين واضحة تماماً؛ بهدف تحويلهم من الأغلبية إلى أقلية، وهذا للأسف ينبئ بالواقع الذي يمكن أن يكون عليه حال مسلميها ما لم تتوقف هذه السياسات الهندية تجاه مسلمي جامو وكشمير.

الإعلام الهندي والتحريض على إبادة المسلمين

فايز الحق- صحفي في نيودلهي

لا يدخر الإعلام الهندي جهداً في تشويه المسلمين والتحريض على كراهيتهم، فما إن خصص خطباء المساجد في المملكة العربية السعودية خطبة الجمعة ١٠ ديسمبر ٢٠٢١م، للتحذير من جماعة «التبليغ والدعوة» بناء على توجيه من وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة، إلا وفتحت وسائل الإعلام الهندية أبواقها للنيل من جماعة التبليغ في الهند وعموم المسلمين.

أتاحت هذه الإجـراءات فرصة للإعلام الهندي لاستهداف المسلمين في البلاد، وخصصت القنوات الإخبارية الهندية حلقات حول جماعة التبليغ بحجة أنها تمثل خطراً على الهند، وجاء هذا التركيز الإعلامي تكراراً لحملة إثارة الكراهية ضد جماعة التبليغ التي شهدتها في الهند في منتصف أبريل ٢٠٢٠م، ويتخوف مسلمو الهند من أن يكون هذا تمهيد لحظر هذه الجماعة والجماعات الإسلامية الأخرى.

مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام الرئيسة في الهند نشرت أخباراً مزيفة حول انتشار جائحة كورونا في جميع أنحاء الهند عن طريق الأشخاص الذين حضروا فعالية في دلهي نظمتها جماعة التبليغ، في مارس ٢٠٢٠م، تبين لاحقاً أن هذه التقارير الإعلامية الموجهة ضد المسلمين لا أساس لها من الصحة.

هذه المواد المزيفة ضد جماعة التبليغ والباعة المتجولين المسلمين تزعم أنهم ينشرون فيروس كورونا بالبصق في المـاء للشرب والمـأكولات من الخضار والفواكه وحتى في الحلويات، هذا أدى إلى منع دخول الباعة المتجولين في الأحياء السكنية الهندوسية

والهجوم على المسلمين.

وقد استخدمت الصحف الصادرة باللغة الهندية والإنجليزية عن الفعالية مفردات وكلمات تشوه المجتمع المسلم الهندي بأكمله، هذا التعامل بالخبر كانت له عواقب وخيمة على الحفاظ على نسيجها الاجتماعي، على حسب قول الصحفي رضوان أحمد.

يؤدي الإعلام الهندي خاصة القنوات الإخبارية دور جهاز للقوات المعادية للمسلمين، وتستعمل الأجهزة الحكومية موادها لاتخاذ القرارات أو الإجراءات ضد المنظمات الإسلامية أو الناشطين المسلمين الذين يعملون لحقوق الأقليات الدينية.

في ١٣ سبتمبر ٢٠٢٠م، ألقت شرطة دلهي القبض على عمر خالد، الناشط الاجتماعي الشاب الذي أكمل دكتوراه في جامعة جواهر لال نهرو بنيودلهي عاصمة الهند أخيراً، لدوره المزعوم في التحريض على أعمال الشغب في دلهي، في فبراير ٢٠٢٠م، التي خلفت ما لا يقل عن ٥٣ قتيلاً، غالبيتهم من الجالية المسلمة، حجزته الشرطة بموجب قانون مكافحة الإرهاب المتنازع عليه بناءً على خطاب ألقاه، في ٨ يناير.

قامت الشرطة الهندية بتقديم الاتهام استناداً إلى التقارير الإخبارية للخطاب الذي تم بثه على القنوات التلفزيونية «نيوز١٨» و«ريبابليك تي في»، حسب ما قاله تريديب باييس، محامي عمر خالد، هو قال: إن الخطاب الذي تم بثه على القنوات الإخبارية كان مأخوذاً من مقتطف نشره أميت مالويا، رئيس خلية تكنولوجيا المعلومات في حزب بهارتيا جاناتا الحاكم.

لعب تريديب باييس شريط خطاب عمر خالد في قاعة المحكمة، في هذا الخطاب كان عمر خالد دعا إلى الوحدة بين الهنود فوق اختلاف الديانات والثقافات أكثر من كونه تحريضاً على العنف.

تبرز سمات ثلاث لهذه القضية، أولاً: تم ربط مصدر المعلومات المضللة بجهة تتعلق بالحزب الحاكم (بغض النظر عما إذا كان نشره موجهاً صراحةً من قبل الحكومة)، ثانياً: كان الهدف من المعلومات المضللة هو أحد منتقدي الحكومة وشخص يُزعم أنه يمثل مصالح الأقلية المسلمة في الهند، وثالثاً: تم إضفاء الشرعية على المعلومات التي تنشر من قبل وسائل الإعلام، حتى عندما كان المصدر الأولي مشكوكاً فيه والمواد غير مؤكدة،

حسب قول الكاتب نيلانجان سيركار.

قال سيركار: إن هذه السمات جزء من نمط أكثر عمومية للمعلومات الخاطئة والمضللة في الهند، التي يؤثر انتشارها المتزايد سلباً على الممارسات الديمقراطية في البلاد خاصة على المسلمين، وهي التي أدت إلى اعتقالات الشباب المسلمين في كل أنحاء الهند في غضون أكثر من ٢٠ سنة حتى أثناء حكومة حزب المؤتمر.

هذا نموذج لما يفعله الإعلام الهندي لشيطنة الأقلية المسلمة وبناء على ذلك تتخذ الأجهزة الحكومية الهندية الإجراءات ضد المسلمين.

هذه فقط صورة واحدة لما تفعله القنوات الإخبارية الهندية التي لها تداعيات على المسلمين، فالقنوات الإخبارية الهندية تعمل الدور نفسه الذي مارسه «راديو رواندا» للقتل الجماعي لقبيلة «توتسي» وتحرض على القتل الجماعي للمسلمين في الهند.

توجد في الهند نحو ٩٠٠ قناة فضائية، ٤٠٠ منها إخبارية تبث في ٢٠٠ مليون منزل على مدار الساعة في جميع أنحاء الهند.

قال سيد خالد حسين، إعلامي هندي: إنه من بين ٢٤ قناة إخبارية كبيرة من حيث عدد المشاهدين في الهند التي تشتهر بإثارتها للكراهية ضد المسلمين على مدار الساعة، تقوم كثير من هذه القنوات الإخبارية ببث الأخبار المزيفة ضد المسلمين ونشر الكراهية ضدهم.

ويضيف حسين أن معظم هذه القنوات توصف بكلمات مثل المرتشيات وعملاء الحكم وكلاب السلطنة وهي التحريضية خاصة ضد المسلمين، وأن الإعلام الهندي في الحقيقة يشن الحرب على المسلمين ويهمل المبادئ الصحفية ويتصرف مثل الضباع.

ومن أبرز هذه القنوات الإخبارية المؤيدة لأجندة منظمة راشترية سواياك سيواك سانغ أو «آر.إس.إس» المتطرفة أو حزب بهاراتيا جاناتا القومي الهندوسي، هي: ريبالك تي في»Republic TV)) وتايمز ناو (Times Now) وإنديا توداي (India Today) وإيه بي بي نيوز (ABP News) وسي إن إن – نيوز ١٨١٨CNN–News)) و آج تاك (AajTak) وإنديا تي في India TV) وسودارشان نيوز (Sudershan News) ونيوز نيشان(News Nation) لشبكة زي الإعلامية الهندية لها قناة إخبارية زي نيوز((Zee News تعتبر من أكثر قناة تنشر

الكراهية ضد المسلمين خاصة رئيس تحرير لها سودهير تشودهري الذي هو من أبرز مقدمي برامجها النقاشية والإخبارية.

تشوهري تلقى خلال نوفمبر ٢٠٢١م دعوة لزيارة دولة الإمارات العربية المتحدة للمشاركة في إحدى فعاليات المحاسبين، لكن رد فعل الأميرة الشيخة هند القاسمي ضد هذه الدعوة الموجهة إلى من تصفه هي بـ «اسلاموفوب» و«إرهابي» في تغريداتها قد أثار ضجة في الأوساط الهندية، ورحب مسلمو الهند بما قالته الأميرة عن سودهير تشودهري، ولشبكة زي الإعلامية قنوات عربية ترفيهية أيضاً مثل «زي أفلام» و«زي ألوان» ومقرهما دبي.

معظم هذه القنوات الإخبارية الهندية يمتلكها السياسيون والرأسماليون من حزب بهاراتيا جاناتا أو موالون لأجندة حكومة ناريندرا مودي.

هذه القنوات تبث البرامج الحوارية أو المواد الإخبارية المزيفة، وفي كثير من الأحيان تكون عناوين مثل «سيحمل المسلمون السلاح في رد فعل العنف؟» في قناة «آج تاك».

وهنالك عناوين أخرى للبرامج التلفزيونية مثل «الهند خالية من المسلمين».

هل سيحمل المسلمون السلاح لرد العنف «عنوان قناة آج تاك»

الهند خالية من المسلمين- أحد عناوين القنوات الهندية ضد المسلمين

مودي سيجعل الهند خالية من المسلمين- أحد عناوين قناة آج تاك الهندية

«جزب بهاراتيا جاناتا يريد الهند خالية من المسلمين»- أحد عناوين قناة نيوز.

إلى جانب هذه القنوات، هناك ما لا يقل عن ١٨ قناة أخرى دينية هندوسية باللغات الإقليمية في جميع أنحاء الهند التي تروج لأجندة قوات «هندوتفا»؛ أي الهندوسية المتزمتة لتأسيس الدولة الهندوسية وفرض اللغة الهندية كلغة وطنية في جميع أنحاء البلاد متعدد الأديان والثقافات واللغات التي يبلغ عدد سكانها ١,٣٧ مليار نسمة.

وفي ٦ أبريل ٢٠٢٠م، نشرت جريدة «ستار أوف ميسور» مقالتها الافتتاحية بعنوان «التفاح السيئ في السلة»، داعية إلى إبادة المسلمين، تقول: «لا يمكن إهمال وجود التفاح الفاسد، إنهم موجودون كيفما يريد شخص التعرف بهم بدينهم أو بسياستهم أو بمجتمعهم وذلك بدون تعميم، فإن الحل الأمثل لهذه المشكلة التي خلقها التفاح السيئ هو التخلص منها، مثلما فعله زعيم سابق لسنغافورة قبل بضع عقود أو ماذا يفعله زعماء «إسرائيل» حالياً».

برزت هذه الافتتاحية في نسختها الورقية والإلكترونية، ولما قوبلت بانتقادات واسعة اضطرت الصحيفة إلى سحب المقالة من موقعها وأوقفت طبعتها الورقية.

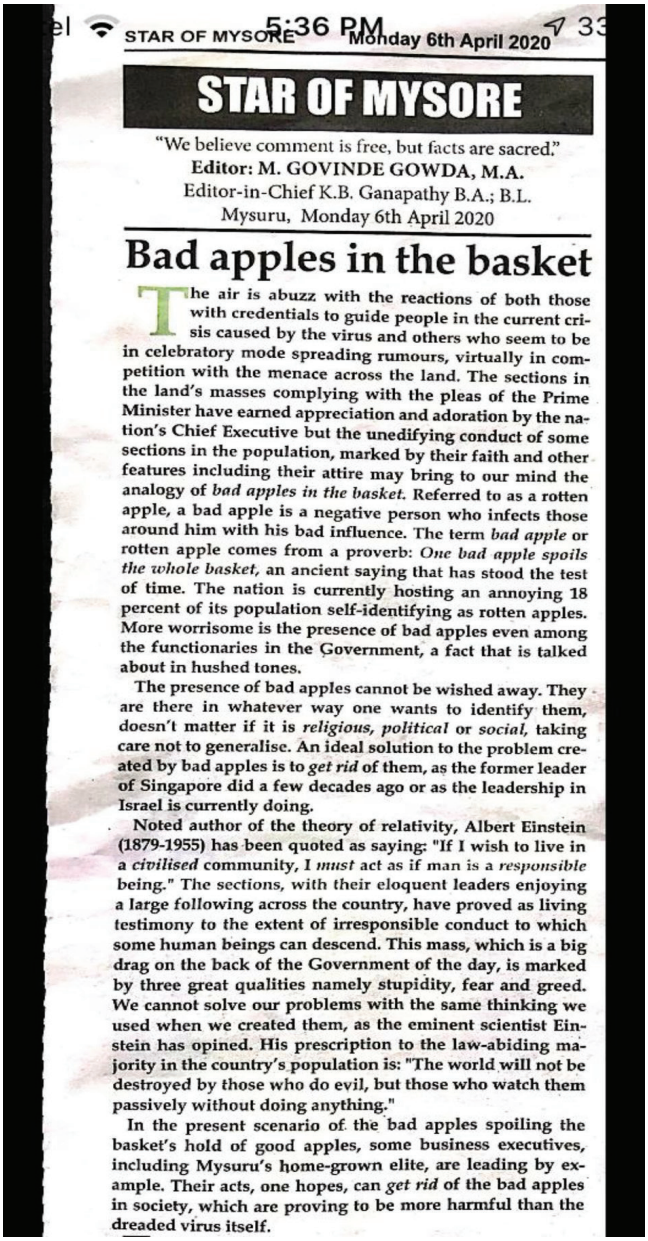

el STAR OF MYSORE 5:36 PM Monday 6th April 2020 33

STAR OF MYSORE

"We believe comment is free, but facts are sacred."
Editor: M. GOVINDE GOWDA, M.A.
Editor-in-Chief K.B. Ganapathy B.A.; B.L.
Mysuru, Monday 6th April 2020

Bad apples in the basket

The air is abuzz with the reactions of both those with credentials to guide people in the current crisis caused by the virus and others who seem to be in celebratory mode spreading rumours, virtually in competition with the menace across the land. The sections in the land's masses complying with the pleas of the Prime Minister have earned appreciation and adoration by the nation's Chief Executive but the unedifying conduct of some sections in the population, marked by their faith and other features including their attire may bring to our mind the analogy of *bad apples in the basket.* Referred to as a rotten apple, a bad apple is a negative person who infects those around him with his bad influence. The term *bad apple* or rotten apple comes from a proverb: *One bad apple spoils the whole basket,* an ancient saying that has stood the test of time. The nation is currently hosting an annoying 18 percent of its population self-identifying as rotten apples. More worrisome is the presence of bad apples even among the functionaries in the Government, a fact that is talked about in hushed tones.

The presence of bad apples cannot be wished away. They are there in whatever way one wants to identify them, doesn't matter if it is *religious, political* or *social,* taking care not to generalise. An ideal solution to the problem created by bad apples is to *get rid* of them, as the former leader of Singapore did a few decades ago or as the leadership in Israel is currently doing.

Noted author of the theory of relativity, Albert Einstein (1879-1955) has been quoted as saying: "If I wish to live in a *civilised* community, I *must* act as if man is a *responsible* being." The sections, with their eloquent leaders enjoying a large following across the country, have proved as living testimony to the extent of irresponsible conduct to which some human beings can descend. This mass, which is a big drag on the back of the Government of the day, is marked by three great qualities namely stupidity, fear and greed. We cannot solve our problems with the same thinking we used when we created them, as the eminent scientist Einstein has opined. His prescription to the law-abiding majority in the country's population is: "The world will not be destroyed by those who do evil, but those who watch them passively without doing anything."

In the present scenario of the bad apples spoiling the basket's hold of good apples, some business executives, including Mysuru's home-grown elite, are leading by example. Their acts, one hopes, can *get rid* of the bad apples in society, which are proving to be more harmful than the dreaded virus itself.

صورة المقالة العنصرية

البروفيسورة أوشا راني نارايانا، وهي أستاذة في قسم الإعلام بجامعة ميسور، قامت

بعمل دراسة حول الإعلام الهندي وتناوله لقضايا تتعلق بالمسلمين، وقامت بتحليل ٤٧٣ قصة إخبارية في ٥ صحف هندية ناطقة بالإنجليزية، هي: The Hindu و Indian Express و The Times of India و The Statesman وHindustan Times، وكشفت بأن هذه الصحف أعطت الأولوية للأخبار السياسية في تغطيتها لقضايا المسلمين، وخلصت إلى أن أكثر من ٥٠٪ من أخبار المسلمين نشرتها هذه الصحف تتعلق بالسياسة تليها الجريمة (١٦,٣٪)، والتعليم (١٣,٥٪).

في دراستها استنتجت أوشا راني نارايانا: كشف تحليل تعامل المسلمين في الصحافة المطبوعة الهندية الناطقة بالإنجليزية أن الميل والصياغة يختلفان من جريدة إلى أخرى.

يوضح هذا أنه ليست كل الصحف تعامل المسلمين بشكل إيجابي، وأن بعض الصحف قد تطرح القصص بشكل غير ملائم أيضاً.

لقد أحالت الصحافة الهندية قضايا التنمية الخاصة بالمسلمين إلى الخلفية، وتحظى مشكلات تنمية المجتمع المثقل بالفقر بتغطية منخفضة في الصحافة الإنجليزية، وأدى هوس الصحافة المستمر بالسياسة على حساب التنمية إلى زيادة نفور المسلمين من عامة الناس.

أظهر التحليل أن هناك أقل من ١٪ من الأخبار تتعلق بالنساء المسلمات، وتوضح هذه التغطية الضئيلة الصورة النمطية للمرأة المسلمة في الصحافة الهندية، كما حصل تعليم المسلمين أيضاً على تغطية ضعيفة في الصحافة، وصياغة المواد الصحفية النمطية تصف المسلمين بأنهم مجتمع أمي ومتخلف، بحسب البروفيسورة نارايانا.

تمتلك الصحافة الناطقة بالإنجليزية القوة للتأثير على سياسة الحكومة وتشكيل الرأي العام؛ لذا يجب عليها أن تزيل الومضات في الإبلاغ عن القضايا المجتمعية وقول الحقيقة.

رئيس تحرير موقع «مسلم ميرور» سيد زبير أحمد يقول: إن وسائل الإعلام التلفزيونية الهندية أصبحت على نحو متزايد مزحة عالمية ليس فقط بسبب «محتواها المجتمعي»، بل أيضاً لنشرها أخباراً كاذبة في محاولتها لاستهداف الأقلية المسلمة.

في إطار السعي إلى الحفاظ على استقطاب الأغلبية الهندوسية لصالح حزب

بهاراتيا جاناتا الحاكم قبل انتخابات مجلس ولاية أوتار براديش (المتوقع في فبراير أو مارس ٢٠٢٢م)، تم تصميم برامج القنوات التلفزيونية الإخبارية التي قد تؤدي دوراً مهماً في استقطاب أصوات الهندوس على أساس الكراهية ضد المسلمين.

ما استعرضناه مجرد عينة بسيطة من سياسة الإعلام الهندي في تناوله القضايا المتعلقة بالمسلمين في الهند، ولم نتطرق هنا إلى مواقع التواصل الاجتماعي وكيف جعلها الهندوس المتطرفين منبراً لكراهية المسلمين والتحريض ضدهم، فيكفي أن نشير فقط إلى الحملة العنصرية التي تعرض لها مسلمو الهند خلال مارس ٢٠٢٠م واتهامهم بالمسؤولية عن نشر فيروس كورونا بحجة الجهاد البيولوجي، حيث نُشر ما يقرب من ٣٠٠ ألف تغريدة مصحوبة بهاشتاج «#CoronaJihad» ويُحتمل أن شاهدها ١٦٥ مليون شخص على موقع «تويتر»، حسب ما وثّقته منظمة «Equality Labs»، ونشرته مجلة «TIME» الأمريكية، كما ظهرت تغريدات أخرى مصحوبة بهاشتاغ الجهاد البيولوجي #BioJihad.

رسم كاريكاتيري ضمن حملة اتهام المسلمين بجهاد كورونا

هذه الأجواء تشير إلى المناخ الذي يعيش فيه مسلمو الهند والمستقبل الذي ينتظرهم في ظل استمرار الإعلام في نفخ نار الكراهية والتحريض ضد المسلمين.

تقنين الاضطهاد
(دراسة للقوانين التمييزية ضد المسلمين والمكونات المهمشة في الهند)

بقلم: أبو ظفر[١]

توطئة الموضوع:

تعد القوانين من الاحتياجات الأساسية للحضارة الإنسانية، وهي ضرورية، ليس فقط للحفاظ على النظام في المجتمع، وإنما أيضاً لضمان تكافؤ الفرص والعدالة للجميع، ومع أن الدول والحكومات تعامل الدستور كأحد عناصرها الأساسية، فإن تاريخ الدستور أقدم من نظرية الدول والحكومات.

الهند تُعرف كأكبر ديمقراطية في العالم، نالت استقلالها في ١٥ أغسطس ١٩٤٧م -عن الاستعمار البريطاني- الذي تمخض عنه تقسيم دموي للبلاد، ودستور الهند الذي تم تبنيه في عام ١٩٤٩م مرِن للغاية وضامن لحقوق جميع الشعوب الهندية، وينص على أن الهند «جمهورية اشتراكية علمانية ديمقراطية ذات سيادة»[٢]، كما يركز على العدل والحرية والمساواة والأخوة للمواطنين الهنود في ديباجته، ومن المعلوم أن الهند يقطنها ١٩٥ مليون مسلم؛ أي ١٤,٩٪ من مجموع سكانها، وهي تأتي في مرتبة متقدمة من حيث عدد المسلمين بعد إندونيسيا، ويمنح الدستور الهندي الأقليات الدينيةَ بمن فيهم المسلمون بعض الحقوق الخاصة بهم، على سبيل المثال؛ المادتان (٢٩) و(٣٠) تحميان مصالح الأقليات وتسمحان لها بتأسيس وإدارة مؤسساتها التعليمية الخاصة.

وفي جانب آخر، من الواقع المر أنه قد مضت ٧٤ عاماً على تحرير الهند من الحكم

(١) صحفي وباحث في دهلي الجديدة.

(2) Preamble of the Constitution of India https://doj.gov.in/sites/default/files/preamble-eng.pdf (ديباجة دستور الهند).

البريطاني، وخلال هذه الفترة الطويلة، على الرغم من تأكيدات مختلفة جاءت في دستور الهند، لا يزال المسلمون يواجهون التمييز والعنف المنهجي إلى جانب الفئات الأخرى الضعيفة والطبقات المتخلفة.

وفقاً لنتائج لجنة ساشار (Sachar Committee)، فإن نسبة المسلمين قليلة جداً في الوظائف الحكومية والتعليم بالمقارنة مع نسبتهم من عدد سكان الهند[١]، كما تظهر تقارير حكومية مختلفة أن نسبتهم في السجون أعلى بكثير مقارنة بعدد سكان البلاد[٢].

أضف إلى ذلك ما وقع من سلسلة العنف الطائفي التي استهدفت أرواح المسلمين وألحقت الضرر بممتلكاتهم، وأظهرت الدراسات أن الكثير منها كان مخططاً ومدبراً بصورة مسبقة[٣]، والأسف كل الأسف أنه لا يوجد قانون محدد للحد من الاضطرابات الطائفية من هذا النوع في الهند.، نعم، إن هناك قوانين تم وضعها لتوفير الأمن والسلام وجعل الهند مكاناً أفضل للعيش، ولكن الكثير منها ما زال يتم استخدامه ضد المسلمين الأبرياء، وإن هذه الورقة سوف تتتبع أمثال هذه القوانين وتوضح نتائجها بإيجاز، بحيث يسهل لنا فهم تلك القوانين وما لها وما عليها.

قوانين الأمن:

يقول الفيلسوف الأيرلندي إدموند بورك: إن «القوانين السيئة هي أسوأ أنواع الاستبداد»، وحدث مثل ذلك في الهند، فهناك قوانين عديدة في دستور الهند المستقلة، تم وضعها باسم الأمن القومي ومكافحة الإرهاب والتطرف والأنشطة غير القانونية ولكن ساء استخدامها أو تم إلغاؤها مع مرور الزمان، كما تم استهداف الفئات الضعيفة في العديد من الدول بما فيها الهند لا سيما الدليت (الذين يُعتبرون من المنبوذين)

(1) Khan, Zafarul Islam. Summarised Sachar Report on Status of Indian Muslims. (2006, December 13). The Milli Gazette, https://www.milligazette.com/dailyupdate/2006200612141/_Sachar_Report_Status_Indian_Muslims.htm

(2)NCRB data shows Muslims, Dalits, Tribal population in prisons disproportionate to their numbers outside. (2020, September 02). First Post, https://www.firstpost.com/india/ncrb-data-shows-muslims-dalits-tribal-population-in-prisons-disproportionate-to-their-numbers-outside-8775161.html

(3)Rajeshwari, B. Communal Riots in India A Chronology (19472003-). (March 2004). IPCS Research Papers, Institute of Peace and Conflict Studie, New Delhi. http://www.nagarikmancha.org/images/1242-Documents-Communal_Riots_in_India.pdf

والمجموعات القبلية، والأقليات وخاصة المسلمين، وذلك من خلال هذه القوانين.

والعديد من هذه القوانين غير محددة بشكل جيد وغامضة جداً، بحيث إن تدخل الجرائم المعتادة في نطاق هذه القوانين، وذلك يعطي قوة إضافية للشرطة والأجهزة الأمنية لتطبيقها حسب رغباتهم، وتم وضع قوانين مثل قانون منع الأنشطة الإرهابية والتخريبية (TADA)، وقانون منع الإرهاب (POTA) لعام ٢٠٠٢م، وقانون الحفاظ على الأمن الداخلي (MISA) في ظروف خاصة، وبعد إساءة استخدامها والانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان من خلال هذه القوانين، ألغتها القوانين الأخرى التي وضعتها الحكومة فيما بعد، ومع ذلك، هناك العديد من أمثال هذه القوانين التي ما زالت سارية المفعول في الهند، وما جرى فيها من تعديلات جعلها أسوأ وأكثر ضرراً من القوانين المذكورة أعلاه.

قانون تعديل منع الأنشطة غير المشروعة: (UAPA)

تم وضعه في عام ١٩٦٧م، وفي عام ٢٠٠٤م، وصلت حكومة التحالف المتقدم المتحد (UPA) بقيادة حزب المؤتمر الوطني (الكونغرس) إلى سدة الحكم واعدة بإلغاء «POTA»، وقد فعلت ذلك ولكنها قامت بتعديل «UAPA» ثلاث مرات، وجعلته أسوأ وأكثر ضرراً من «POTA»، وقامت حكومة حزب بهاراتيا جاناتا الحالية بتعديله مرة أخرى في عام ٢٠١٩م، وهي الآن أكثر قسوة من أي نسخة سابقة، ويستخدم هذا القانون أيضاً لفرض حظر على أي منظمة، وبالتالي فإن أكثر من ٤٠ منظمة بما فيها مؤسسة البحوث الإسلامية للدكتور ذاكر نايك وحركة الطلاب الإسلامية في الهند والجماعة الإسلامية لجامو وكشمير محظورة بموجب هذا القانون.

في الإصدار السابق من «UAPA»، كان يمكن فرض الحظر على المنظمة وتصنيفها على أنها إرهابية، ولكن الآن يمكن تصنيف الأفراد أيضاً على أنهم «إرهابيون»[١]، والمشكلة -مع ذلك- تكمن في أن ما يسمى بالنشاط «الإرهابي» غير محدد بشكل جيد، وأن العملية غامضة، وبالتالي إن هذا القانون يمنح السلطات الحكومية والأجهزة الأمنية قوة إضافية لاستخدام هذا القانون ضد من تريد[٢]، وبناءً على أن طلب الإفراج بكفالة بموجب هذا

(١) راجع القسم (٤) والمادة (٣٥) من هذا القانون https://egazette.nic.in/WriteReadData/2019210355/.pdf .
(٢) باتيل (Patel) : آكار(Aakar،Price of the Modi Years (قيمة سنوات مودي) .Westland (٢٠٢١).. ص: ٤٦٧ .

القانون «مستحيل فعلياً»[١]، ويمكن للحكومات الإقليمية أن تستغرق حتى ١٨٠ يوماً لتقديم لائحة الاتهام، وبالتالي فإن أولئك الذين يواجهون المحاكمة عادة ما يقضون شهوراً في السجن قبل بدء المحاكمة[٢].

ونظراً لأن معدل الإدانة ضئيل في مثل هذه القوانين بما فيها «UAPA»، يتعين على الأشخاص الأبرياء قضاء سنوات في السجن قبل براءتهم من قبل المحاكم ولا توجد مساءلة أمام ضباط الشرطة أو الوكالات الأمنية التي كانت قد صنفتهم كإرهابيين[٣]، وبسبب هذه البنود الوحشية، هناك العديد من الأبرياء من المسلمين وغير المسلمين الذين أمضوا سنوات في السجن ثم برأتهم المحكمة.

ولذلك، انتقد أعضاء المجتمع المدني، وهيئات حقوق الإنسان الوطنية والدولية، والقضاة السابقون والأمم المتحدة أيضاً، سوء الاستخدام لقانون تعديل منع الأنشطة غير المشروعة (UAPA) في أغلب الأحوال، ومع ذلك القانون لا يزال قائماً[٤]، في عام ٢٠١٢م نشر المجلس الوطني لعموم الهند قائمة تضم ٣٠٠ قضية من قضايا «UAPA» تم فيها توريط الشباب المسلمين في إطار هذا القانون.[٥]

(1) Vishwanath, Apurva. (2021, July 9). Reading Section 43D(5): How it sets the bar for bail so high under UAPA | Explained News, The Indian Express, https://indianexpress.com/article/explained/section-43d5-how-it-sets-the-bar-for-bail-so-high-under-uapa-7390673/

(2) https://www.mha.gov.in/sites/default/files/A196737-.pdf 43D(2)(b) (راجع المادة)

(3) After 11 years in jail under UAPA, innocent Kashmiri walks home. (2021, July 01). First India, https://firstindia.co.in/news/gujarat/after-11-years-in-jail-under-uapa-innocent-kashmiri–walks-home Compensate those acquitted under UAPA, say activists. (2021, March 08). The Hindu, https://www.thehindu.com/news/national/other-states/compensate-those-acquitted-under-uapa-say-activists/article34022340.ece?__cf_chl_captcha_tk__=YLx2N.LUJQJQ8u5FYQVNHJ5um_alN5kpPUnK2kjBsiE-16394886570--gaNycGzNGOU

(4)UN High Commissioner for Human Rights criticises Indian govt's 'misuse' of UAPA. (2021, September 140. The Leaflet, https://www.theleaflet.in/un-high-commissioner-for-human-rights-criticises-indian-govts-misuse-of-uapa/

Former Supreme Court judges raise concerns over misuse of UAPA. (2021, July 01). The Hindu, https://www.thehindu.com/news/national/former-supreme-court-judges-raise-concerns-over-misuse-of-uapa/article35516005.ece

(5) All India Milli Council. (31 March 2012). Doubtful Crimes: Terrorism and Communal Hatred (A Tale Told by Numbers)

قانون ولاية مهاراشترا لمكافحة الجريمة المنظمة لعام ١٩٩٩ (MCOCA):

هو قانون آخر من هذا النوع، يمنح حكومة الولاية سلطات خاصة للتعامل مع مثل هذه الجرائم، وبموجب هذا القانون ينال المجرم عقوبة قاسية، ويمكن أن يحكم عليه بالسجن المؤبد حتى الموت، وعلى الرغم من أن هذا القانون تم تشكيله للحد من حرب العصابات ونقابة المجرمين المنظمة في الغالب في عاصمة ولاية مهاراشترا مومباي وأنحاء أخرى من الولاية، فإن العديد من الأبرياء بمن فيهم المسلمون تم تطبيق هذا القانون عليهم ولا يزال العديد منهم يقبعون في السجون.

وطبقاً لهذا القانون، الاعتراف تحت حجز الشرطة مقبول ليس فقط ضد المتهم الذي يعترف ولكن أيضاً ضد الشركاء في التهمة، ومسؤولية إثبات البراءة تعود إلى المتهم لأنه مذنب ما لم تثبت براءته[١].

مع أن قانون الأدلة الهندي لعام ١٨٧٢م لا يقبل الاعتراف تحت حجز الشرطة كدليل لأن المتهم يواجه في كثير من الأحيان تعذيباً نفسياً وجسدياً في حجز الشرطة، ويُجبر على الاعتراف بجرائم لم يرتكبها أبداً، ولكن بموجب هذه القوانين الخاصة يُسمح بذلك في الغالب، فقد وردت أنباء عديدة عن التعذيب في الحجز، وبموجب قانون ولاية مهاراشترا المذكور، الشخص المتهم إلى أن يصدر في حقه الحكم النهائي لبراءته يجب أن يكون قد أمضى سنوات في السجن؛ لأن تأمين الكفالة مستحيل تقريباً، فقد نشرت المجلة الإخبارية «Tehelka» تحقيقاً مفصلاً في عام ٢٠١٠م، ووجدت أنه خلال ١١ عاماً من القانون، لم يتم الإفراج عن ١٪ من المتهمين بكفالة[٢].

قانون ولاية غجرات لمكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة لعام ٢٠١٥م:

صدر هذا القانون عام ٢٠١٩م بعد أن رفضه ثلاثة رؤساء سابقون، تم تمريره لأول مرة

---

(١) راجع المادة (١٨) من قانون ولاية مهاراشترا لمكافحة الجريمة المنظمة لعام ١٩٩٩ (MCOCA).
https://www.nia.gov.in/writereaddata/Portal/LawReference/25_1_Maharashtra_Control_of_Organised_Crime_Act__1999__MCOCA__-_Maharashtra_Act_no_30__of_1999.pdf
Sahi, Ajit. One Flew Over The Cuckoo's Nest. (2010, January 16). Tehelka, http://old.tehelka.com/one-flew-over-the-cuckoos-nest/
(2)Sahi, Ajit. One Flew Over The Cuckoo's Nest. (2010, January 16). Tehelka, http://old.tehelka.com/one-flew-over-the-cuckoos-nest/

من قبل جمعية ولاية غجرات في عام ٢٠٠٣م تحت رئاسة نارييندرا مودي ككبير الوزراء في الولاية، ولم يصادق أي رئيس جمهورية للهند (إي.بي.جي. عبدالكلام، وبرتيبها باتيل، وبرنب موخرجي) على بعض أقسام القانون، وكانت الخلافات الرئيسة هي مسألة الاعتراف في حجز الشرطة، ورفض محادثة هاتفية كدليل وعدم الإفراج بكفالة إذا اعترض المدعي العام على ذلك[١].

النقطة المشتركة في «MOCCA»، و«GCTOCA» هي أن الاعتراف في حجز الشرطة مقبول كدليل في كلا القانونين، ومن العجب أنه تم غض الطرف عن جميع الاعتراضات عندما تم تمرير القانون مرة أخرى في مجلس الولاية في عام ٢٠١٥م، في ذلك الوقت، أرسلت مجموعة من النشطاء المسلمين رسالة إلى رئيس جمهورية الهند آنذاك برنب موخرجي موقَّعة بدمائهم، وقالوا فيها: إن «قوانين الاعتقال الوقائي من «MISA» إلى «TADA» إلى «POTA» قد أسيء استخدامها على نطاق واسع في ولاية غجرات، ومعظم الضحايا من المسلمين والفئات المحرومة، وحدث هذا حتى أثناء حكم الكونغرس، ويرتجف المرء عند ما يفكر أنه ماذا ستكون حاله عندما تصل القوى التي تكون معزولة للغاية عن المسلمين إلى سدة الحكم الإقليمي والمركزي»[٢]، وتعريف الجريمة المنظمة واسع جداً وعام، وتعرف «عصابة الجريمة المنظمة» بأنها مجموعة من شخصين أو أكثر، وينص هذا القانون على أن العنف أو التخويف أو الإكراه من قبل فرد، فردياً كان جماعياً، أو كعصابة يشكل جريمة منظمة[٣].

وقدِّم التماس أمام محكمة غجرات العالية ضد هذا القانون، وهو لا يزال قيد النظر[٤]، ويُذكر أن ولاية كرناتاكا لديها أيضاً قانون مماثل تم تمريره في عام ٢٠٠٩م.

قانون السلطات الخاصة للقوات المسلحة (AFSPA):

---

(1) Centre returns GUJCOC Bill,asks state to amend 3 clauses. (2009, June 20). The Indian Express, https://indianexpress.com/article/cities/ahmedabad/centre-returns-gujcoc-bill-asks-state-to-amend-3-clauses/

(2) Activists want President to strike down GujCTOC Bill. (2015, October 6). The Times of India.

(٣) باتيل (Patel): ص: 476.

(4)Petition against the Gujarat Control of Terrorism and Organized Crime Act, 2015 In the High Court of Gujarat. https://www.livelaw.in/pdf_upload/pdf_upload-381429.pdf

تم تشكيل «AFSPA» في عام ١٩٥٨م من قبل البرلمان، وتم تطبيقه لأول مرة في الولايات الهندية الشمالية الشرقية، وفي عام ١٩٩٠م تم تنفيذه في جامو وكشمير أيضاً، ويمكن تطبيقه على أي منطقة إذا تم الإعلان عنها رسمياً أنها «مضطربة».

وبحسب هذا القانون، يجوز للقوات المسلحة إطلاق النار أو تدمير مبنى لمجرد الاشتباه، ويجوز لضابط الصف ولكل شخص في نفس الرتبة وما فوقها أن يستخدم القوة بناء على رأيه أو لمجرد الشك، أو يعتقل شخصاً دون أمر قضائي، أو يقتله، ويمكنه إطلاق النار على أي شخص يحمل أي شيء يمكن استخدامه كسلاح، وذلك للتحذير الذي قد يراه ضرورياً؛ وإذا طبق قانون السلطات الخاصة للقوات المسلحة مرة واحدة، فلا يجوز إقامة أي مقاضاة إلا بالعقوبة السابقة من الحكومة المركزية، فيما يتعلق بأي شيء كان أو يكاد يكون بموجب هذا القانون[١].

واتهم النشطاء والمدافعون عن حقوق الإنسان المؤسسات الهندية بارتكاب انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان بما في ذلك الاعتقال غير القانوني والتعذيب والاختفاء القسري والقتل والاغتصاب، ولا يمكن التحقيق في معظمهم بسبب قانون السلطات الخاصة للقوات المسلحة[٢]، وفي عام ٢٠١٩م، طالبت الأمم المتحدة الهند بإلغاء الأحكام المثيرة للجدل في القانون[٣].

قانون الأمن القومي (NSA):

تم تشكيل قانون الأمن القومي في عام ١٩٨٠م، وهو يخول الحكومة سلطة احتجاز أي شخص إذا اقتنعت السلطات بأن ذلك الشخص يمثل تهديداً للأمن القومي أو لمنعه من

(1) Jaleel, Muzamil, Explained: AFSPA-Disturbed Areas debate in J&K. (2015, March 30). Indian Express, https://indianexpress.com/article/explained/explained-afspa-disturbed-areas-debate-in-jk/
(2) Office of the United Nations High Commissioner
for Human Rights. (2019, July 08). Update of the Situation of Human Rights in Indian-Administered Kashmir and
Pakistan-Administered Kashmir from May 2018 to April 2019.
https://www.ohchr.org/Documents/Countries/PK/KashmirUpdateReport_8July2019.pdf
(3) Fareed, Rifat. UN report on Kashmir calls for probe into human rights violations. (2019, July 08). Al Jazeera, https://www.aljazeera.com/news/20198/7//un-report-on-kashmir-calls-for-probe-into-human-rights-violations

الإخلال بالنظام العام، ويتم التذرع بهذا القانون للحفاظ على القانون والنظام، ويسمح هذا القانون بالحبس الاحتياطي لعدة شهور.

ويمكن احتجاز أي شخص إذا كان يمثل تهديداً لعلاقات الهند مع الدول الأجنبية، كما أنه يخول الحكومة حقاً لاحتجاز الأجانب وتنظيم بقائهم في الهند أو طردهم منها، في الممارسة العملية، تستخدم الحكومات هذا القانون لكبح المعارضة السياسية أو لوقف المتهمين الذين لا ترغب في الإفراج عنهم بكفالة، ويمكن للشخص أن يستأنف أمام المجلس الاستشاري للمحكمة العالية ولكن لا يمكنه أن يعين محامياً للدفاع عنه[١].

وجد تحقيق أجرته شركة «Indian Express» أنه في ولاية أوترا براديش في الفترة من يناير ٢٠١٨ إلى ديسمبر ٢٠٢٠م، وصلت ١٢٠ دعوى على الأقل من «NSA» إلى محكمة إله آباد العليا، وألغت المحكمة ٩٤ منها، وانتقدت السلطات بسبب «عدم تطبيق العقل» (non-application of mind)[٢]، وفي العديد من هذه الدعاوى، قامت الشرطة بنسخ التفاصيل الرئيسة طبقاً للدعاوى السابقة في مواقع مختلفة، وأيضاً العديد من دعاوى وكالة الأمن القومي تم رفعها ضد المسلمين الذين زج بهم في السجن بتهمة ذبح الأبقار[٣]، وقانون الأمن العام لجامو وكشمير (Public Safety Act) لعام ١٩٧٨م يشبه إلى حد بعيد «NSA»، ويتم تطبيقه في جامو وكشمير، وكذلك قوانين التحريض على الفتنة يساء استخدامها على نطاق واسع من قبل سلطات الدولة.

قانون حماية حقوق المرأة المسلمة في الزواج لعام ٢٠١٩م:

كانت هناك قضية في المحكمة العليا في الهند ضد ممارسة النطق بكلمة الطلاق ثلاث مرات (Triple Talaq)، أعلنت المحكمة أن هذه الممارسة غير قانونية، وبعد ذلك أقر البرلمان «حماية» المرأة المسلمة لحقوق الزواج لعام ٢٠١٩م؛ ووفقاً لهذا القانون نطقُ كلمة «الطلاق» ثلاث مرات في جلسة واحدة من قبل رجال مسلمين غير قانوني وجريمة يعاقب

(1) What is National Security Act. (Date is not given) Business Standard, https://www.business-standard.com/about/what-is-national-security-act-nsa

(2) Sheriff M, Kaunain. 94 out of 120 orders quashed: Allahabad High Court calls out abuse of NSA in Uttar Pradesh. (2021, April 7). The Indian Express, https://indianexpress.com/article/express-exclusive/national-security-act-uttar-pradesh-police-detentions-cow-slaughter-ban-7260425/

(٣) المرجع نفسه.

عليها الزوج وقد يواجه عقوبة بالسجن لمدة ثلاث سنوات[١]، ومن العجب أن النكاح -وفقاً لهذا القانون- يظل باقياً حتى بعد الطلقات الثلاث، ولكن يجب أن يذهب الزوج خلف القضبان ولا يمكن للقاضي الإفراج عن الزوج بكفالة قبل أن يستمع إلى زوجته[٢].

قوانين تحظر ذبح الأبقار:

تعتبر طائفة من الهندوس البقرة حيواناً مقدساً، وقد اندلعت كثير من الاضطرابات الطائفية في الهند باسم الأبقار؛ وبموجب المبادئ التوجيهية لسياسة الدولة، تقترح المادة (٤٨) من الدستور الهندي أن تسن الحكومات الإقليمية قوانين من شأنها حظر ذبح الأبقار وتنص على أنه «على الدولة أن تسعى لتنظيم الزراعة وتربية الحيوانات على أسس علمية وحديثة، وتتخذ على وجه الخصوص خطوات للحفاظ على سلالات الأبقار والعجول وغيرها من الحلائب وحيوانات الجر والنقل ولفرض الحظر على الذبح»[٣]، لذلك، حظرت العديد من الحكومات الإقليمية بما فيها حكومة بهار ومدهيا براديش وراجهستان وأوترا براديش ذبح الأبقار في العقد الأول من الاستقلال؛ ومن الحقائق أيضاً أن عدداً كبيراً من الهنود بمن فيهم المسلمون يأكلون اللحوم، بالإضافة إلى لحوم الأبقار[٤]، كما أن اللحوم هي من بين المواد الغذائية للتجارة لهم[٥]، لكن المسلمين هم من يتم استهدافهم في الغالب بالقضايا المتعلقة بالأبقار؛ وفي كثير من الأحيان، يتعرض المسلمون للتعذيب والسجن وحتى القتل بالهجوم الغوغائي خارج نطاق القانون بتهمة التورط في نقل أو ذبح بقرة أو

(1) Triple talaq: India criminalises Muslim 'instant divorce'. (2019, July 30). BBC News, https://www.bbc.com/news/world-asia-india-49160818

(2) Mustafa, Faizan. Why Criminalising Triple Talaq is Unnecessary Overkill. (2017, December 15). The Wire, https://thewire.in/gender/why-criminalising-triple-talaq-is-unnecessary-overkill

(٣) راجع المادة ٤٨ من دستور الهند. https://legislative.gov.in/sites/default/files/COI_1.pdf.

(4) Sharma, Samrat. India's meat map: 7 out of 10 people relish non-vegetarian items, East & South lead the way. (2021, November 18). India Today, (https://www.indiatoday.in/diu/story/india-meat-map-people-relish-non-vegetarian-items-east-south-lead-way-187831318-11-2021-

'More Indians eating beef, buffalo meat'. (2016, October 29). The Hindu, https://www.thehindu.com/news/national/%E298%80%More-Indians-eating-beef-buffalo-meat%E299%80%/article16085248.ece

(5) Mishra, Ishita. 95% of beef traders are Hindus, says former chief justice of Delhi high court. (2015, November 21). The Times of India, https://timesofindia.indiatimes.com/india/95-of-beef-traders-are-hindus-says-former-chief-justice-of-delhi-high-court/articleshow/49866811.cms

حتى حيازة لحومها[١]، ومرات عديدة، تم قتل المسلمين الذين ينقلون الأبقار لاستخدام الألبان بالهجوم الغوغائي دون تقديم القضية إلى المحكمة[٢].

منذ أن أصبح ناريندرا مودي رئيساً لوزراء الهند وفاز حزبه «بي.جي.بي» في العديد من الولايات، تم تحديث القوانين القديمة وجعلها أكثر صرامة وقسوة[٣]، ولذلك، بالإضافة إلى ولاية كيرالا وبعض الولايات الشمالية الشرقية، يوجد في كل ولاية من ولايات الهند تقريباً قانون من هذا النوع ضد هذه العادة الغذائية.

وقد أصدر كبير وزراء ولاية أوترا براديش أمراً واضحاً لشرطة الولاية بتوجيه الاتهام إلى شخص يتورط في تهريب الأبقار أو ذبحها بموجب قانون العصابات الصارم ووكالة الأمن القومي[٤]، وقد يواجه الأشخاص الذين تثبت إدانتهم لمثل هذا الفعل عقوبة بالسجن من ٣ – ١٠ سنوات وغرامة تتراوح من ٣٠٠ ألف – ٥٠٠ ألف[٥].

في ولاية مهاراشترا، قد تؤدي حيازة اللحم البقري إلى عقوبة السجن لمدة تصل إلى ٥ سنوات[٦]، وكذلك أصدرت حكومة هريانا قانوناً ينص على أن ذبح الأبقار يعاقب عليه بالسجن لمدة تصل إلى ١٠ سنوات، و٧ سنوات لبيع بقرةٍ لشخص من خارج الولاية للذبح؛

(1) Human Rights Watch. (2019, February 18). Violent Cow Protection in India Vigilante Groups Attack Minorities. https://www.hrw.org/report/201918/02//violent-cow-protection-india/vigilante-groups-attack-minorities

(2) Saini, Sachin and Mukherjee, Deep. Alwar lynching: Pehlu Khan, killed by cow vigilantes, was no cattle smuggler. (2017, July 19). Hindustan Times, https://www.hindustantimes.com/india-news/alwar-lynching-pehlu-khan-killed-by-cow-vigilantes-was-no-cattle-smuggler/story-oHFwJT3e8R8kJn396KEGOO.html

(3) Human Rights Watch. (December 2018). Appendix: India National and State Cow Protection Laws https://www.hrw.org/sites/default/files/report_pdf/india0219_appendix_1.pdf

(4) Singh, Rajesh Kumar. Cattle smuggling, slaughter in UP now punishable under National Security Act. (2017, June 11). Hindustan Times, https://www.hindustantimes.com/lucknow/cattle-smuggling-slaughter-to-be-punishable-under-nsa-gangsters-act-in-up/story-y7yzwXPWtMvu8aj0UzPArJ.html

(٥) راجع قسم (5B) وقسم (٨) من تعديل قانون الحفاظ على ذبح البقرة لأترابراديش (The Uttar Pradesh (Prevention of Cow Slaughter (Amendment Act, 2020. https://prsindia.org/files/bills_acts/acts_states/uttar-pradesh/19561956/Uttar%20Pradesh1.pdf

(6) Shaikh, Zeeshan. Maharashtra bans beef, 5 years jail, Rs 10,000 fine for possession or sale. (2017, January 27). The Indian Express, https://indianexpress.com/article/india/india-others/beef-banned-in-maharashtra-5-yrs-jail-rs10000-fine-for-possession-or-sale/

ومن الواضح أن حيازة لحوم البقر هي أيضاً عمل غير قانوني، ويمكن أن يعاقب المتهم بها بالسجن لمدة ٥ سنوات، وعلى خلاف جرائم شنيعة أخرى مثل القتل والاغتصاب، المتهم بهذه الجريمة لا يزال مجرماً ما لم تثبت براءته [١].

ولاية غجرات لديها قوانين أكثر صرامة وأشد قسوة ضد ذبح الأبقار في الهند، وفقاً لقانون «تعديل» الحفاظ على الحيوانات في ولاية غجرات، تتراوح عقوبة ذبح البقر بين ٧ سنوات والسجن المؤبد مع غرامة باهظة من ١٠٠ ألف روبية إلى ٥٠٠ ألف؛ ويمكن بشكل نهائي مصادرةُ المركبات التي تنقل بقرة للذبح.

وصرح وزير الشؤون الداخلية لولاية غجرات براديب سنغ جديجا في حديثه مع الإعلاميين أن الحكومة جعلت ذبح الأبقار مساوياً لقتل البشر[٢]، وهنا أيضاً مسؤولية إثبات البراءة تقع على المتهم، وفي العام الماضي أصدرت محكمة محلية الحكم بالسجن لمدة ١٠ سنوات على رجل مسلم اتهم بسرقة وذبح بقرة بمناسبة حفل الزواج لابنته، ومن المؤسف والمبكي في هذه القضية أنه لم تتم إدانته بالسرقة، وحتى إن معمل الطب الشرعي لم يثبت أن اللحم المطبوخ في حفل الزفاف كان لحماً بقرياً، ومع ذلك، قال قاضي المحكمة: إن المتهم لم يستطع إثبات أن اللحم لم يكن لحم البقرة، وفي وقت لاحق، أمرت المحكمة العليا بالإفراج عن الرجل المتهم[٣].

ولدى ولاية كرناتكا أيضاً قانون مماثل تم تعديله في عام ٢٠٢٠م، حيث يتم فرض عقوبة بالسجن لمدة تتراوح بين ٣ و٧ سنوات على جرائم مماثلة مع غرامة تتراوح من ٥٠ ألف روبية إلى ١٠٠ ألف[٤].

(1) Bhatia, Varinder. 10-yr jail, 1 lakh fine: What Haryana's tough cow protection law says. (2015, October 15). The Indian Express, https://indianexpress.com/article/explained/10-yr-jail-1-lakh-fine-what-haryanas-tough-cow-protection-law-says/

(2) Cow slaughter now punishable with life term in Gujarat, rules notified. (2017, June 4). The Times of India, http://timesofindia.indiatimes.com/articleshow/58980619.cms?utm_source=contentofinterest&utm_medium=text&utm_campaign=cppst

(3) Patel, Aakar. The Dark Chronology Of India's Cow-Slaughter Laws. (2020, December 30). Article 14, https://www.article-14.com/post/the-dark-chronology-of-india-s-cow-slaughter-laws

(4) M, Akshatha. Karnataka assembly passes cow-slaughter bill; up to 7 years jail. (2020, December 09). The Economic Times, https://economictimes.indiatimes.com/news/politics-and-nation/karnataka-

قانون ضد التحول الديني:

قوانين مكافحة التحول الديني ليست جديدة في الهند، ففي أوائل القرن العشرين، قامت العديد من الولايات التي كانت تحكمها العائلات الملكية الهندوسية بسن أمثال هذه القوانين «للحفاظ» على الهوية الهندوسية وإنقاذها من المبشرين البريطانيين[١]، وفي الهند المستقلة، كانت هناك محاولات فاشلة لتمرير مثل هذه القوانين من البرلمان[٢]، ولكن المادة (٣٤١) من الدستور لا تمنح مزايا الحجز التي تتمتع بها طائفةُ دليت المجتمعاتِ الإسلاميةَ والمسيحيةَ، ولذلك، يُمنع الشخص الذي يستفيد من مزايا الحجز من الحصول على هذه الفوائد إذا اعتنق الإسلام أو المسيحية[٣].

على الرغم من أن المادة (٢٥) تسمح بنشر الدين، فإن ٨ ولايات هندية على الأقل لديها حتى الآن قوانين تحظر التحول الديني[٤]، وتم تعديل العديد من هذه القوانين من وقت لآخر لجعلها أكثر صرامة وقسوة تجعل من المستحيل تقريباً أن يقوم شخص بتغيير دينه في الغالب من الهندوسية إلى الإسلام أو المسيحية، وقد بدأت المنظمات المعادية للإسلام ومنظمات هندوتفا اليمينية عدة حملات ضد المسلمين والمسيحيين متهمة إياهم بإدارة عمليات مضطربة لتغيير التركيبة السكانية من أجل تحقيق مكاسب انتخابية[٥].

الجهاد، مع أنه مصطلح إسلامي، يتم استخدامه للدعاية المعادية للإسلام لفترة طويلة في جميع أنحاء العالم، وفي السياق الهندي، كانت هناك حملة قاسية للغاية لتشويه

assembly-passes-cow-slaughter-bill-up-to-7-years-jail/articleshow/79648014.cms?from=mdr

(1) Mathur, Anessh. Anti-conversion laws in India: How states deal with religious conversion. (2020, December 23). India Today, https://www.indiatoday.in/news-analysis/story/anti-conversion-laws-in-india-states-religious-conversion-175240223-12-2020-

(2) Dutta, Prabhash K. 'Love jihad' undefined, yet states rushing with anti-conversion laws. (2020, November 18). India Today, https://www.indiatoday.in/news-analysis/story/love-jihad-anti-conversion-laws-madhya-pradesh-uttar-pradesh-haryana-karnataka-174187218-11-2020-

JACINTO, Leela. All you need is not 'love jihad', but liberty, say India's embattled interfaith couples. (2021, January 01). France 24, https://www.france24.com/en/asia-pacific/20210101-all-you-need-is-not-love-jihad-but-liberty-say-india-s-embattled-interfaith-couples

(3) Dalit converting to Islam or Christianity won't get quota: Law Minister. (2017, February 13). IANS.

(4) Mathur, Anessh. Anti-conversion laws in India: How states deal with religious conversion. (2020, December 23). India Today, https://www.indiatoday.in/news-analysis/story/anti-conversion-laws-in-india-states-religious-conversion-175240223-12-2020-

(5) Rao, M. (2011). Love jihad and demographic fears. Indian Journal of Gender Studies, 18(3), 425430-.

هذا المصطلح الديني وللعديد من الأفعال المزعومة للمسلمين التي ارتُكبت بالجهاد؛ كما أن وسائل الإعلام أيضاً تقوم بالدعاية اليمينية وتقديم نظريات المؤامرة حول المسلمين، على سبيل المثال، تقدم أسطورة ارتفاع عدد السكان المسلمين على أنها جهاد سكاني[١]، وفي السياق نفسه، تقول إحدى نظريات المؤامرة المعادية للإسلام: إن الرجال المسلمين يغرون النساء الهندوسيات من خلال وسائل مختلفة مثل الحب الزائف والإغواء والخداع والاختطاف والتحويل ثم الزواج لزيادة عدد السكان، ويُطلَق عليه جهاد الحب.

وعلى الرغم من أن التزاوج بين أتباع أديان مختلفة كانت نقطة نزاع في الهند لفترة طويلة من الزمن، وأسفرت الشائعات عنه عن اندلاع الكثير من الاضطرابات الطائفية، وقبل عقد من الزمان، بدأت نظرية المؤامرة هذه من ولاية كيرالا الجنوبية، ثم امتدت إلى ولاية كرناتكا المجاورة، وعلى الرغم من أن التحقيقات الحكومية في كلتا الولايتين أثبتت عدم وجود أي دليل على مثل هذه الادعاءات[٢]، وبعد وصول حزب بهاراتيا جاناتا إلى سدة الحكم المركزي، ظهر عفريت جهاد الحب في الجزء الشمالي من الهند، فقامت المنظمة الهندوسية المتطرفة (RSS) والمنظمات الفرعية التابعة لها بحملات مختلفة مدعية ادعاءً فارغاً بأن الفتيات الهندوسيات في خطر، وأن الأمر يتطلب إنقاذهن من الرجال المسلمين على الفور[٣].

وكان هناك العديد من الهجمات العنيفة ضد المسلمين بسبب هذه المزاعم التي لا

(1) Ramachandran, Rajeev. Spurious Chart on 'Jihad' Leads to 'Insulting Religion' FIR Against Zee News Editor. (2020, May 09). The Wire, https://thewire.in/media/zee-news-sudhir-chaudhary-fir-jihad-chart

Goswami, Gopal. Fighting Population Jihad: Rising Muslim Population is causing demographic imbalance, spells trouble for Bharat. (2021, September 01). Organiser, https://www.organiser.org/fighting-population-jihad-rising-muslim-population-is-causing-demographic-imbalance-spells-trouble-for-bharat-4999.html

(2) Zafar, Abu. Love Jihad: What are the findings of government enquiries in two states?. (2014, September 14). IndiaTomorrow.net, https://old.indiatomorrow.net/eng/love-jihad-what-did-two-states-governments-find-in-official-enquiries

(3) Mahaprashasta, Ajoy Ashirwad. The History of 'Love Jihad': How Sangh Parivar Spread a Dangerous, Imaginary Idea. (2020, November 20). The Wire, https://thewire.in/communalism/love-jihad-anti-muslim-history-sangh-parivar

أساس لها من الصحة[١]، وللتعامل مع هذه «المشكلة»، قامت عدة ولايات بالهند بسن قوانين جديدة صارمة، وقام بعضها بتعديل قوانينها الخاصة بتحويل الدين؛ وبالتالي توصلت ولاية أترابراديش ومدهيا براديش وكرناتكا إلى قوانين محددة ضد جهاد الحب وتستعد ولايات أخرى أيضاً مثل وهريانا لتمرير القوانين المماثلة في القريب العاجل.

العديد من هذه القوانين تجبر الشخص الذي يريد تغيير دينه على تقديم إشعار لسلطة الإعلام، ويطالب القانون الأخير الذي أصدرته حكومة حزب بهاراتيا جاناتا في هذا الخصوص في ولاية أترابراديش الشخصَ الذي يريد أن يغير دينه بإخطار مسبق قبل ٦٠ يوماً وبإخطار مسبق قبل شهر واحد من عالم الدين أو القس الذي يساعده في تغيير الدين[٢]، وطبقاً لهذه القوانين، العقوبة على التحول عبر القوة أو الاحتيال أو التضليل أو الإكراه تكون بالسجن من سنة إلى ٥ سنوات، وإذا كان الشخص الذي غير دينه قاصراً أو امرأة أو ينتمي إلى طائفة أو قبيلة مجدولة، فيجب على من ساعده أن يقضي في السجن من سنة إلى ١٠ سنوات[٣]، وبموجب قانون حرية الدين في ولاية هيماشال براديش لعام ٢٠١٩م، فإن العقوبة هي تكون من سنة إلى ٥ سنوات، ومن سنتين إلى ٧ سنوات على ارتكاب هذه الجريمة، وسيكون الزواج من خلال هذا التحول غير مشروع تماماً[٤].

وينص قانون ولاية أوترا كهاند للحرية الدينية لعام ٢٠١٨ أن زواج رجل من امرأة كانت على غير دينه بغرض تحويل دينها غير مشروع بشكل كامل، سواء كان هذا التحول قبل انعقاد الزواج أو بعده[٥]، واللغة المستخدمة في القانون غير واضحة، فهي تسمح لأي شخص بالتحول من أي دين إلى الهندوسية دون مواجهة أي قيود من هذا القبيل، وكمثل

(1) Pandey, Geeta. Beaten and humiliated by Hindu mobs for being a Muslim in India. (2021, September 02). BBC News, https://www.bbc.com/news/world-asia-india-58406194

(2)https://www.indiatoday.in/news-analysis/story/anti-conversion-laws-in-india-states-religious-conversion-17524022-12-2020-

(3) Mathur, Anessh. Anti-conversion laws in India: How states deal with religious conversion. (2020, December 23). India Today, https://www.indiatoday.in/news-analysis/story/anti-conversion-laws-in-india-states-religious-conversion-175240223-12-2020-

(4) راجع المادة (3-4) من القانون.

https://himachal.nic.in/WriteReadData/l892s/10_l892s/THE%20HIMACHAL%20PRADESH%20FREEDOM%20OF%20RELIGION%20ACT%2020%2013%of%202019957445581-.pdf

(٥) باتيل (Patel): ص 469.

العديد من قوانين الإرهاب، فإن عبء إثبات أن التحول لم يكن عملية احتيال أو قسرياً أو مخالفاً للقانون على الشخص الذي يغير دينه وعلى من ساعده في تغيير الدين[١].

وفي مثل هذه القضايا يمكن لأحد تكون بينه وبين الشخص الذي غيّر دينه صلة قرابة أن يرفع الدعوى ضده أمام المحكمة، وعلى الرغم من أن بعض هذه القوانين تواجه تدقيقاً قضائياً في المحاكم العالية، ولكن على أرض الواقع حتى الشخص الذي غيَّر دينه دون أي قوة أو احتيال والمرأة التي تتزوج شخصاً من دين مختلف بعد تغيير دينها كلاهما يواجهان ضغوط هذه القوانين وحملات الكراهية الواسعة النطاق من قبل مجموعات هندوتفا[٢].

ويبالغ وزير الدولة في ولاية غجرات قائلاً: «هناك تمويل دولي يتم تقديمه لإغراء الفتيات الهندوسيات بالزواج ثم تحويلهن إلى الإسلام»[٣]، ومع أن هذه القوانين محايدة في حد ذاتها، فإن الإحصائيات تظهر أن معظم الذين حوكموا وسجنوا بسببها هم من المسلمين[٤].

إلغاء المادة (٣٧٠):

ألغت الحكومة المركزية المادتين (٣٧٠) و(٣٥A) من الدستور الهندي، ومن المعلوم أن هاتين المادتين كانتا تمنحان الوضع الخاص لجامو وكشمير الولاية الوحيدة ذات الأغلبية المسلمة في الهند؛ والمادتان كانتا تحميان الوضع الخاص للولاية، وكان من شأنهما الحظر على سكان بقية ولايات الهند شراءُ الأراضي في جامو وكشمير؛ ولكن الحكومة وحلفاءها انتقدت هذا الامتياز القانوني ووصفوه بأنه مخالف للمساواة، ولكن الغريب في هذا الأمر

(١) المرجع نفسه.

(2) Sahu, Manish. 1 month of UP 'love jihad' law: 14 cases, 49 in jail, woman 'victim' complainant in only two. (2021, January 21). The Indian Express, https://indianexpress.com/article/india/love-jihad-law-up-police-7124001/

(3) Langa, Mahesh. Gujarat Assembly passes 'love jihad' law. (2021, April 01). The Hindu, https://www.thehindu.com/news/national/other-states/gujarat-assembly-passes-love-jihad-law/article34217780.ece

(4) Apoorvanand. India's 'love jihad' laws: Another attempt to subjugate Muslims. (2021, January 21). AlJazeera, https://www.aljazeera.com/opinions/202115/1//indias-love-jihad-laws-another-attempt-to-subjugate-muslims

Siddique, Iram. 3 months of MP 'love jihad' law: 21 cases, couple knew each other in over half. (2021, March 20). The Indian Express, https://indianexpress.com/article/india/mp-love-jihad-law-7236429/

أنه توجد أحكام مماثلة في ولايات أخرى أيضاً[١].

بالإضافة إلى ذلك، هناك اعتراضات أيضاً حول الطريقة التي اختارتها الحكومة لإلغاء هذا القانون، وعلى الرغم من ادعاء الحكومة أن هذه المحاولة سوف تحقق الرخاء في الولاية، وأن حياة الناس ستكون أفضل، فإن الكشميريين منذ أن ألغيت مادة (٣٧٠) و(٣٥A) يواجهون شدائد ومعاناة أكثر من قبل[٢].

وفُرض حظر تجول في الولاية، ولم يُسمح بدخول شخص من الخارج، بمن فيهم سياسيون ونشطاء حقوقيون وأحياناً صحفيون، وحُجبت خدمات الهواتف المحمولة والإنترنت، واعتُقل مئات الأشخاص، بمن فيهم زعماء سياسيون، بتوجيه تهمة إليهم أو بدون مبرر؛ وانتقدت الأمم المتحدة وهيئات حقوق الإنسان الدولية هذه الإجراءات المشددة التي قامت بها الحكومة تجاه الولاية وطالبت باستعادة الحقوق المدنية[٣].

تعديل قانون المواطنة لعام ٢٠١٩م:

يمنح هذا القانون الجنسية لغير المسلمين (الهندوس والسيخ والبوذيين والجينيين والبارسيين والمسيحيين) من أفغانستان وبنجلاديش وباكستان الذين قدِموا إلى الهند قبل ٣١ ديسمبر ٢٠١٤م[٤]، ويستثني فقط المسلمين من تلك البلدان، وقبل ذلك، بدأت ولاية آسام المجاورة لبنجلاديش في تحديث السجل الوطني للمواطنين (NRC)، وبموجبه يحتاج المرء إلى مجموعة من الوثائق وتقديمها إلى الحكومة لإثبات جنسيته؛ وبسبب نقص الوعي ومواجهة الفقر والعملية المعقدة لتقديم الوثائق، فشل العديد من المواطنين الشرعيين في

(1) Mustafa, Faizan. Explained: What are Articles 370 and 35A? (2019, August 06). The Indian Express,https://indianexpress.com/article/explained/understanding-articles-37035-a-jammu-kashmir-indian-constitution-5610996/

(2) Removal of Article 370 will bring stability, market access, predictable laws to Kashmir: PM Modi. (2019, August 12). Business Today, https://www.businesstoday.in/latest/economy-politics/story/removal-of-article-370-will-bring-stability-market-access-predictable-laws-to-kashmir-pm-modi-22307712-08-2019-

Wani, A. (2020). Life in Kashmir after Article 370. ORF Special Report, https://www.orfonline.org/research/life-in-kashmir-after-article-37060785-/

(3) Kashmir dispute: UN 'deeply concerned' over restrictions. (2019, August 08). BBC News, https://www.bbc.com/news/world-asia-india-49273999

(٤) راجع المادة ٢ من تعديل قانون المواطنة. The Citizenship (Amendment) Act, 2019. https://egazette.nic.in/pdf.214646/WriteReadData/2019

العثور على اسمهم في مسودة السجل الوطني للمواطنين، أمر أدى إلى جعل أكثر من مليون شخص عديمي الجنسية[١]، قال حزب بهاراتيا جاناتا بوضوح: إنهم سينفذون أولاً تعديل قانون المواطنة ثم سيبدؤون عملية السجل الوطني للمواطنين لاستبعاد اللاجئين الأجانب[٢].

ويتخوف المسلمون -بناءً على تجربتهم لنوايا الحكومة وموقفها تجاه المسلمين- أن هذه العملية تهدف إلى التشكيك في جنسيتهم وجعل العديد منهم عديمي الجنسية[٣]، وعلى الرغم من أن قادة الحكومة الهندية وزعماء حزب بهاراتيا جاناتا -بسبب الضغط الدولي الهائل والاحتجاجات الكثيرة في جميع أنحاء البلاد ضد هذا القانون- صرحوا أنه لن يكون هناك انتزاع جنسية أي هندي على أساس طبقة أو عقيدة أو دين، إلا أن عملية إثبات الهوية الهندية معقدة للغاية، وفي صورة عدم إتمامها أو حصول أي خطأً في تقديم الوثائق سيكون الكثير من المواطنين الحقيقيين عديمي الجنسية[٤]، ولا يمكن تجاهل خوفهم، لأن هذا حدث بالفعل في آسام، وإن المجتمعات الأخرى من غير المسلمين قد لا يعتريهم هذا التخوف؛ لأنه إذا لم يتضمن السجل الوطن أسماءهم، فيمكن لتعديل قانون المواطنة أن يحفظهم ويجعلهم من المواطنين، وعلى الرغم من أن قواعد تعديل قانون المواطنة لم يتم تأطيرها بعدُ ولم تبدأ عملية السجل الوطني للمواطنين حتى الآن، فإنها نوع من السيف المصلت على رقاب ملايين المسلمين في الهند.

ويذكر أن الاحتجاجات التي خرجت في جميع أنحاء البلاد ضد تعديل قانون المواطنة

(1) Saha, Abhishek. Assam NRC Explained: Add, delete and what next?. (2019, August 31). The Indian Express, https://indianexpress.com/article/explained/assam-nrc-list-national-register-of-citizen-what-next-5803701/

(2)Tiwary, Deeptiman and Avishek G Dastidar. Lok Sabha clears Citizenship Amendment Bill: Amit Shah invokes 'Partition on basis of religion' to defend Bill. (2019, December 10). The Indian Express, https://indianexpress.com/article/india/lok-sabha-clears-citizenship-amendment-bill-amit-shah-invokes-partition-on-basis-of-religion-to-defend-bill6158951/

(3) Vishwanath, Apurva and Kaunain Sheriff M. Explained: What NRC+CAA means to you. (2019, December 29). The Indian Express, https://indianexpress.com/article/explained/explained-citizenship-amendment-act-nrc-caa-means-6180033/

(4) Changoiwala, Puja. India's Muslims Are Terrified of Being Deported. (2020, February 21). Foreign Policy, https://foreignpolicy.com/202021/02//india-muslims-deported-terrified-citizenship-amendment-act-caa/

تم استهدافها من قبل المنظمات اليمينية وأجهزة الدولة على حد سواء، وقتل نحو ٢٠ متظاهراً برصاص الشرطة في ولاية أترابراديش[١]، وأصيب المئات من المتظاهرين بجروح خطيرة، وتجاوزت الشرطة كل حدود الوحشية في حرم الجامعة الإسلامية في دلهي[٢]، ووقعت حادثة مخططة من أعمال الشغب والنهب والقتل في جزء آخر من مدينة دلهي من قبل المشاغبين اليمينيين، وساعدتهم الشرطة في ذلك جنباً إلى جنب[٣]، هذا، وفي جانب آخر، تم وضع عدد كبير من النشطاء وقادة الطلاب، ومعظمهم من المسلمين، خلف القضبان بموجب قوانين صارمة مثل قانون تعديل منع الأنشطة غير المشروعة وقانون الأمن الوطني وقانون التحريض على الفتنة[٤]، وأعلنت حكومة ولاية أوترا براديش قانون استرداد الأضرار التي لحقت بالممتلكات العامة والخاصة لعام ٢٠٢٠م لقمع مثل هذا الاحتجاج[٥].

وفقاً لهذا القانون، يتعين على الحكومة إنشاء محاكم لتعيين فقدان الممتلكات العامة والخاصة بسبب الاحتجاج والاضطرابات الطائفية وما إلى ذلك؛ وستمنح المحكمة فرصة للمتهمين للدفاع عن أنفسهم، ولكن إذا فشلوا في المثول أمام المحكمة، يمكن للمحكمة أن تصدر الحكم بضم ممتلكاتهم إلى أملاك الحكومة.

وبموجب هذا القانون، لا يحق للمتهم أن يستأنف دعواه في أي محكمة ضد حكم

(1) Jafri, Abdul Alim. Who Were 23 People Killed in UP During Anti-CAA-NRC Protests?. (2020, January 18). News Click, https://www.newsclick.in/who-were-23-people-killed-during-anti-caa-nrc-protests

(2) Ravi, Sidharth. Video of police brutality in Jamia Millia Islamia library goes viral. (2020, February 16). The Hindu, https://www.thehindu.com/news/cities/Delhi/video-of-police-brutality-in-jamia-millia-islamia-library-goes-viral/article30834535.ece

(3) Explainer: What do we know about the communal violence that left 53 dead in Delhi in February 2020?. (2020, March 06). Scroll.in, https://scroll.in/article/955251/explainer-what-do-we-know-about-the-communal-violence-that-left-47-dead-in-delhi-in-february-2020

(4) Bhatnagar, Gaurav Vivek. Delhi Arrested 34 Under UAPA in 2020. Here's Why the Home Ministry Won't List Them Out. (2021, August 16). The Wire, https://thewire.in/government/details-of-the-9-uapa-firs-that-the-union-govt-refused-to-share-in-parliament

(5) Gaur, Vatsala. Uttar Pradesh passes ordinance to recover damages to property during protests, strikes. (2020, March 16). The Economic Times, https://economictimes.indiatimes.com/news/politics-and-nation/uttar-pradesh-passes-ordinance-to-recover-damages-to-property-during-protests-strikes/articleshow/74647389.cms?from=mdr

المحكمة المحلية الخاصة[١]، وهناك عدة أمثال من هذه الدعاوى التي رفعت ضد الأشخاص الذين كانوا يتظاهرون ضد تعديل قانون المواطنة في ولاية أترابراديش[٢]، وولايات أخرى عديدة أمثال كرناتكا ومدهيا براديش وهريانا مستعدة أيضاً لسن قوانين مماثلة.

الخلاصة:

في المجتمع البشري، تعمل العديد من المؤسسات والقطاعات بما فيها القانون والحكومة بنية حسنة لخدمة عامة الناس وإقامة مجتمع عادل، ومن خلال أعمالها يُتوقع أن تسود العدالة وتنتهي المظالم ويعاقب المذنبون؛ ولكن من المؤسف جداً أنه في بعض الأحيان، إن لم يكن مرات عديدة، يصبح القانون نفسه أداة خطيرة لانتهاك الحقوق بدلاً من إعطاء الحقوق، ومعاقبة الأبرياء بدلاً من معاقبة الجناة، وتفشي الظلم بدلاً من استئصاله.

وإن انتهاك حقوق المسلمين ليس بأمر جديد في الهند، وله وجوه عديدة؛ وقد ناقشت هذه الورقة تلك الانتهاكات التي حدثت من خلال القوانين والأنظمة وخاصة تلك القوانين التي يكون المسلمون هدفاً رئيساً لها، في حين أن بعض هذه القوانين وعدت بإنهاء التمييز والتعصب ضد المسلمين والأقليات.

كما ذكرنا سابقاً، وإن معظم هذه القوانين محايدة دينياً، ولكن بسبب التناقضات القانونية العديدة والتمييز المؤسسي، كان المسلمون هم الهدف الأساسي لتلك القوانين، ومثل المسلمين، تواجه مجموعات أخرى ضعيفة التمييز العنصري والانتهاكات مثل الدليت ومجتمعات الآديفاسي وأقليات دينية أخرى؛ ولكن نظراً لسوء الفهم الذي حدث في الأذهان وعدم معرفة بعضهم بعضاً، فقد لوحظ أن المسلمين يعانون أكثر، ولذلك فإن هذا نداء العصر أن يرفع الصوت ضد عينة هذه القوانين، لأنه كما قال مارتن لوثر كينج: «الظلم في أي مكان هو تهديد للعدالة في كل مكان».

(1) The Uttar Pradesh Recovery of Damages to Public and Private Property Ordinance, 2020, Key features. PRS India, https://prsindia.org/bills/states/the-uttar-pradesh-recovery-of-damages-to-public-and-private-property-ordinance-2020

(2) Lucknow anti-CAA riots: attachment of accused's properties begins. (2020, July 01). PTI, The Hindu, https://www.thehindu.com/news/national/lucknow-anti-caa-riots-attachment-of-accuseds-properties-begins/article31960503.ece

مستقبل المسلمين في الهند

د. محمد ضياء الله[١]

الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون في الهند اليوم ليس بجديد، ولو أن الوضع بالنسبة لهم صار أسوأ بكثير من ذي قبل، وذلك بعد فوز ناريندرا مودي برئاسة الوزراء عام ٢٠١٤م أول مرة، حيث نجح حزب الشعب الهندي الهندوسي نجاحاً باهراً وحصل على أغلبية الأصوات في انتخابات البرلمان، وتمكن من النجاح مرةً ثانية عام ٢٠١٩م، لكن مشكلات المسلمين بدأت حتى قبل استقلال الهند عام ١٩٤٧م.

وذلك لأن «نظرية الأمتين» تم تقديمها من قبل أحد مؤسسي المنظمة الهندوسية المتطرفة المعروفة باسم «آر.إس.إس» (RSS)، وهو وينايك دامودر سافاركر، أيديولوجية هذه المنظمة الهندوسية مبنية على أساس أن بلاد الهند لا ينتمي إليها إلا تلك الطبقات الاجتماعية والدينية التي تؤمن بقداسة أرض الهند، ووفقاً لهذه النظرية العنصرية لا يحق لأي طبقة تؤمن بالأديان السماوية خاصة الإسلام والمسيحية أن تتمتع بنفس الحقوق والحرية التي تتمتع بها طبقة الهندوس أو أصحاب المعتقدات الدينية الأخرى التي نشأت في أرض الهند.

هذه النظرية الهندوسية المتطرفة التي برزت في بداية العقد الثالث من القرن العشرين ترفض التعايش السلمي مع المسلمين، حيث يعتقد أصحابها أن وصول الإسلام إلي الهند تسبب في تخلف الهند وتدمير الحضارة الهندوسية التي كانت تزدهر ازدهاراً مدهشاً، وأنه لولا وصول «المهاجمين» المسلمين إلى الهند قبل قرون لكانت «بلاد الهندوس» رابضة في ذروة الرقي والتقدم اليوم!

(١) حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة جواهر لال نهرو نيو دلهي، كاتب ومحلل لأوضاع المسلمين في الهند.

لذلك، يرون أن الإسلام والمسلمين ما زالوا يشكلون العقبات في سبيل تقدم البلاد، ولا يمكن للهندوس العودة إلى عهدهم الذهبي الغارق في التاريخ القديم إلا إذا تم تحييد هؤلاء المسلمين من جميع مراكز صنع القرار ودفعهم إلى هامش المجتمع.

رغم أن المسلمين لم يقدموا «نظرية الأمتين» في الفترة ما قبل نيل الهند استقلالها، وبالعكس كانوا يقاومون ضد الاستعمار البريطاني تحت القيادة العلمانية التي كان الزعماء الهندوس يأخذون زمامها بأيديهم في معظم الأحيان، لكن مسؤولية تقسيم البلاد عام ١٩٤٧م تُلقى على عواتقهم، وبذور الشك تزرع في أذهان الهندوس تجاه وطنية المسلمين.

وهذه الفكرة الهدامة كانت موجودة حتى في عقول بعض زعماء حزب المؤتمر الوطني الهندي العلماني، كما ينم من الخطاب الذي كان قد ألقاه أول وزير داخلية للهند المستقلة سردار بالاف باي باتيل في الجمعية التأسيسية، حيث توجه إلى المسلمين قائلاً لهم: «حصلتم على ما كنتم تريدون (الباكستان)، صارت لكم دولة مستقلة وأنتم حصلتم عليها، والحين تذكروا بأن المسؤولية لهذا التقسيم تقع على كواهلكم، وذلك لأنكم الذين كانوا يطالبون بها دون أولئك الذين هم لا يزالون موجودين في باكستان».

صدى هذه الفكرة لم يضعف أبداً، بل زاد قوة وانتشاراً بعد نجاح نارندرا مودي الذي ترعرع في أحضان هذه الفكرة، وهو نفس الزعيم الذي يعتبر مسؤولاً عن مجزرة المسلمين في ولاية غجرات عام ٢٠٠٢م، عندما كان كبير الوزراء للولاية، وينتمي إلى نفس الولاية التي كان أول وزير داخلية للهند سردار بالاف باي باتيل ينتمي إليها.

لكن السؤال المهم الذي يحتاج إلى التأني فيه والتفكر به هو: هل كان وضع المسلمين في الهند قبل تولي نارندرا مودي زمام الحكم بيده أفضل، أم كانوا يئنون تحت وطأة الخوف والتمييز الاجتماعي والسياسي والفقر والبطالة كما هي حالهم اليوم؟

الحقيقة تتبين من التقرير الرسمي الأول الذي قدمته لجنة ساتشار، التي تم تشكيلها بتوجيه من رئيس الوزراء السابق للهند السيد مانموهن سنغ عام ٢٠٠٥م، تحت رئاسة رئيس المحكمة العليا السابق في نيو دلهي راجيندر كومار ساتشار لبحث أوضاع المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية بالهند.

ولو أن تخلف المسلمين الهنود في جميع مجالات الحياة كان أمراً محتوماً، حيث كانت

المنظمات غير الرسمية أجرت دراسات كثيرة استرعت انتباه المفكرين والعاملين في مجال حقوق الإنسان، لكن البيانات الرسمية بهذا الصدد كانت مفقودة، وهذا التقرير الرسمي دعم لأول مرة كل ما جاء في دراسات المنظمات والجامعات عن أحوال مسلمي الهند.

وأكد تقرير ساتشار بأن تخلف المسلمين بالهند ليس فرضية، بل حقيقة واقعة، ويتطلب من الحكومة جهوداً جادة لإنهاء أسباب التخلف بينهم، وذلك لأن استبعاد المسلمين عن التنمية المتكاملة يرجع سببه إلى سياسات التمييز التي يتخذها النظام ضدهم.

نتائج هذا التقرير فتحت عيون كثير من المتشككين الذين كانوا يرون أن حزب المؤتمر الوطني العلماني يرغب في استرضاء الناخبين المسلمين، وكشف أن سياسة إرضاء المسلمين ليست لها أي حقيقة على أرض الواقع، بل استوضح الأمر بأن المسلمين في الهند البالغ عددهم أكثر من ٢٠٠ مليون مسلم، يواجهون التمييز الاجتماعي المتجذر في جميع مجالات الحياة، وهم أيضاً من الطبقات التي تم تصنيفها كأشد الفئات حرماناً في سائر البلاد.

مشكلات المسلمين بالهند لا تنحصر في تخلفهم الاقتصادي فحسب، بل هم يعيشون في بيئة تسودها العزلة الاجتماعية والسياسية على حد سواء، فالطبقة المستنيرة من المسلمين أيضاً لا يقدرون على استئجار بيت في أحياء الهندوس، ويواجهون التمييز على أساس هويتهم الدينية في أماكن العمل والوظيفة، وعاداتهم في المأكل والملبس تؤجج عقول الهندوس الذين يعبرون عن انزعاجهم وغضبهم ضد المسلمين بين وقت وآخر، ولا يخفون كراهيتهم تجاههم، ويقدمون على قتلهم شنقاً في بعض الأحيان، كما تبدو من الأخبار التي ترد في الصحف ووسائل الإعلام الهندية العديدة، فالأيديولوجية الهندوسية المتطرفة ترسخت في أذهان معظم الهندوس إلى درجة أنهم في غضون أعوام لا يستحيون من إبدائها علناً.

في مثل هذه البيئة المليئة بالخوف والذعر، يفضل المسلمون الصمت ولا يرفعون أصواتهم ضد سياسات التمييز والتهميش والإقصاء إلا شذراً قليلاً، وإذا تجرأ أحد على استرعاء انتباه الحقوقيين في البلاد أو خارجها فتقوم الشرطة باستخدام القوة المفرطة ضدهم، ولذلك نرى أنه رغم أن نسبة المسلمين الهنود لا تزيد على ١٤٪ من مجموع

سكان الهند، لكن غالبية المساجين بالسجون الهندية تنتمي إلى الأقلية المسلمة، وهذا يحدث لأن جهاز الشرطة لا يفكر ملياً قبل فرض أشد بنود القانون الجنائي عليهم، ويلقي القبض على الشباب المسلمين تحت قوانين الإرهاب الصارمة، وفي كثير من الحالات تطلق المحاكم سراحهم بعد مرور سنين طويلة وتعلن عن براءتهم، لكن هذا لا يجديهم بحيث لا تزول تلك النقطة السوداء من جبينهم، ويرفض المجتمع تقبلهم رغم إعلان براءتهم من منابر المحاكم.

وهذا التهميش الاجتماعي يسببه جهل المسلمين وتخلفهم الاقتصادي أيضاً، فنسبتهم في الوظائف الحكومية منخفضة جداً، والأوضاع لا تتحسن رغم مرور الزمن، بل يزيد تفاقم الوضع سوءاً خاصة في الولايات التي يحكمها حزب الشعب الهندي الهندوسي، بحيث ترفض سلطات هذه الولايات الاعتراف بقضايا المسلمين، وحتى المحافل الشعبية لا تعتني بها في ظل سياسة تهميش المسلمين التي يتبعها الحزب الحاكم بالمركز وفي الولايات الهندية المتعددة.

كما بلغت ضغوط الأيديولوجية الهندوسية المتطرفة على أحزاب المعارضة بالهند إلى حد أنها لا تتجرأ على التحدث عن قضايا المسلمين، وأما الدور المهين الذي يمارسه الإعلام الهندي المعادي للأقلية المسلمة فهو لا يحتاج إلي دليل، إذ هو معروف جيداً على مستوى العالم.

جميع هذه العوامل تؤدي إلى الحيلولة دون إجراء مناقشات جادة لإيجاد حلول وآليات تساعد على معالجة التمييز ضد المسلمين الهنود من جذوره.

كما تمت الإشارة في السطور المذكورة أعلاه إلى أن وضع المسلمين الهنود لم يكن جيداً حتى في ظل حكم الأحزاب العلمانية، وخاصة تحت حكم حزب المؤتمر الوطني الهندي الذي قاد البلاد لأطول فترة من الزمن منذ نيل الهند استقلالها، لكن بيئة الخوف والهلع لم تكن كما هي عليه الآن.

فالاضطرابات الطائفية كانت تقع والنار كانت تضرم في بيوت ومحلات المسلمين خاصة حتى قبل وصول ناريندرا مودي إلى سدة الحكم، لكن الفرق الواضح بينهما هو أن الحزب الحاكم قبل مودي كان يحاول ألا ينفلت الأمر خارج إطار محدد يؤثر سلباً على

التماسك الوطني والتعايش السلمي بين الطبقات المختلفة.

أما في حكم حزب الشعب الهندي الهندوسي تحت زعامة نارندرا مودي ووزير الداخلية أميت شاه، فالأمر تغير تماماً؛ حيث حصلت العناصر الهندوسية المتطرفة على الحرية الكاملة في استخدام نفوذها وتحقيق آمالها التي كانت تلاعب مخيلتهم منذ زمن طويل، لكن كانوا غير قادرين على تنفيذها بسبب ضغوط ومشكلات حكومة الائتلاف التي كان هذا الحزب الهندوسي يقودها في الماضي.

أما الفترة التي تلت فوز نارندرا مودي عام ٢٠١٤، وبعد عام ٢٠١٩م مرةً ثانية؛ فاعتقدت الطبقة المتطرفة من الهندوس أن الوقت لتحويل البلاد إلى دولة هندوسية قد حان، وبما أنه تم تدريب عناصر الهندوسية المتطرفة على أيدي أعضاء منظمة «آر. إس.إس» في معاقلهم ومدارسهم وأماكن التدريب الأخرى على أن المسلمين ليسوا أوفياء للبلاد، وأنهم سبب تخلف الهند وعرقلة عجلة الحضارة الهندوسية الذهبية وتدميرها، وأنه لا يحق لهم البقاء في الهند بعد ما أخذوا نصيبهم بعد التقسيم.

في مثل هذا الجو القاتم، تم انتهاك حقوق المسلمين، ولم يتم معالجتها أو حتى الاقتراب منها من قبل أي مؤسسة حكومية.

فوسائل الإعلام تقدم مبررات لكل ما تقوم به عناصر معادية للمسلمين، ورجال الشرطة والقضاة في المحاكم تخلوا عن واجباتهم الدستورية وأغمضوا عيونهم عن مصائب المسلمين الذين يئنون تحت وطأة الظلم، ويواجهون أسوأ نماذج هضم الحقوق في التاريخ الجديد للبلاد.

قُتل المسلمون بسبب مأكلهم ومنعوا من القيام بواجباتهم الدينية، تم استبدال الأماكن والشوارع في البلاد التي كانت تحت أسماء أبطال المسلمين بأسماء هندوسية لكي يمكن إعفاء آثار المسلمين من تاريخ الهند، ومحو إرثهم الحضاري.

أما الضربة القاتلة التي وقعت على المسلمين بالهند فجاءت في صورة قانون المواطنة الذي تم تمريره في البرلمان الهندي الذي يهدف إلى حرمان المسلمين من حقوق المواطنة وتهميشهم أكثر حتى لا يبقى أي خيار أمام أولئك المسلمين الذين سيبقون بالبلاد سوى أن يقبلوا العيش كمواطنين من الدرجة الثانية.

تمرير هذا القانون كان آخر ضربة على ظهر الإبل، إذ رفض المسلمون الهنود الخضوع أمام غطرسة الحزب الحاكم وعناصر الفكرة الهندوسية المتطرفة، وبدأ طلاب الجامعات على رأسها الجامعة الملية الإسلامية في نيودلهي وجامعة علي جراه الإسلامية الاحتجاجات ضد هذا القانون الذي ينافي الدستور ويقضي على روح التنوع الحضاري والعلماني الذي تفتخر به الهند وينظر العالم إليها بنظر الاستحسان والاغتباط.

انتشرت هذه الاحتجاجات والمظاهرات في الجامعات الهندية والعالمية الأخرى بعدما هجمت الشرطة على الطلاب والطالبات في الجامعة الملية الإسلامية وجامعة علي جراه الإسلامية، ومن أشهر الاحتجاجات كانت تلك التي قادتها النساء المسلمات بمنطقة في نيودلهي تعرف باسم «شاهين باغ»، استرعت هذه المظاهرة ضد قانون المواطنة انتباه الطبقات المختلفة من الشعب الهندي بينهم الهندوس، والسيخ، والطبقات والقبائل المهمشة الأخرى في أرجاء البلاد.

بالرغم من أن الحزب الحاكم وأتباعه استخدموا جميع وسائل التخويف والتحريض ضدهم، لكن لم يتمكنوا من تقويضها واستمرت حتى انتشار جائحة كورونا في البلاد، ولولا تفاقم الوضع بسبب جائحة كورونا لاضطرت حكومة مودي إلى سحب هذا القانون أيضاً، كما أجبرت على سحب القانون المتعلق بالزراعة تحت ضغوط احتجاجات الفلاحين.

بصيص أمل للمسلمين في الهند:

نجاح الاحتجاجات السلمية ضد قانون المواطنة بعث روح الأمل في قلوب المسلمين؛ وذلك لأنه كان أول مرة في تاريخ الهند بعد استقلالها أن المسلمين خرجوا إلى الشوارع لمواجهة أسوأ نماذج الظلم والكراهية ضدهم، ومارست المرأة المسلمة دوراً ريادياً في تنظيم وإدارة هذه الاحتجاجات والمظاهرات على أسس دستورية وقانونية.

هذه التجربة الفريدة علّمت المسلمين أن قياداتهم التقليدية لا تقدر أن تمارس دورها في الوضع الراهن، والقيادة الدينية خاصة فقدت اعتبارها، فمعظم المدارس الدينية لم تبد أي إرادة للمحافظة على حقوق المسلمين، وهذا درس للمؤسسات الدينية وقياداتها أن تراجع تكتيكاتها وأسس إدارتها وإلا ستفقد الثقة المتبقية فيها.

يجب على المسلمين في الهند أن يركزوا على إنشاء معاهد ومؤسسات تؤدي دورها

في إزالة الجهل والأمية بين المسلمين، فالجهل وعدم توفر المؤسسات والمعاهد القائمة على أسس النظام التربوي الجديد من قبل الأقلية المسلمة بالهند تؤدي إلى تخلفهم الاقتصادي والاجتماعي، وتفلت منهم الفرص الوظيفية المتوفرة في سوق العمل.

يحتاج المسلمون إلى تعلم طرق إرساء العلاقات مع الطبقات المهمشة في المجتمع ورفع أصواتهم ضد أي نوع من الظلم والاضطهاد الذي يمارس مع الطبقات الفقيرة مثل القبائل المدرجة والطبقات المدرجة والنساء والعمال، هذا ضروري في مجتمع قائم على أسس ديمقراطية للحصول على الحقوق التي يحافظ عليها الدستور.

يتطلب الوضع في البلاد العمل على إقامة الارتباطات أيضاً مع تلك الطبقات الهندوسية التي صارت مؤيدة للفكرة الهندوسية المتطرفة بسبب عدم وجود أي جسر للعلاقات معهم، ولذلك تمكنت العناصر المتطرفة من الحزب الحاكم من إقناعهم بأن المسلمين يحملون الحقد والكراهية ضد الهندوس، وهم أيضاً قالوا لطبقة الهندوس: إن تعاليم الإسلام هي التي تحرض على العدائية وقتل الأبرياء.

مسؤولية المسلمين أن يملؤوا هذه الفجوة التي تتسع على مرور الزمن حتى تتجلى صورة الإسلام في ضوء تعاليمه السمحة وتزول بيئة الحقد والكراهية ضد المسلمين.

فتجارب الحياة اليومية تشير إلى أن نسبة كبيرة من الهندوس لم يتأثروا بالفكرة الهندوسية المتطرفة حتى الآن، لكنهم لا يبدون مواقفهم، وهذا يحتم على المسلمين الهنود أن يستميلوا قلوبهم ويقنعوهم بأن المسلمين لا يريدون الاستيلاء على البلاد، وأنهم يرغبون في التعليم والتقدم والازدهار مثل جميع طبقات المجتمع الهندي في ظل دستور البلاد العلماني.

فهرس

العدد	الموضوع	الكاتب	ص
١	مقدمة المجلة		٦
٢	مقدمة المحرر		٨
٣	تمهيد		١١
٤	وصول الإسلام إلى الهند وأهم محطاته التاريخية	مبين أحمد الأعظمي	١٦
٥	المؤسسات الدعوية في الهند.. الدور والتأثير	د. محمود عاصم	٢٧
٦	التعليم الإسلامي في الهند. محطات وإشكالات	د. محمد نوشاد القاسمي	٣٦
٧	المدارس الإسلامية في الهند.. مشكلات وحلول	محمد سعود الأعظمي	٤٧
٨	مساهمات علماء الهند في خدمة السنة النبوية	د. محمد عمر عابدين	٦٠
٩	مسلمو الهند بين فكي الاحتلال الإنجليزي والهندوس	محمد أحمد بيغ الندوي	٧٢
١٠	حركة القومية الهندوسية وتغيير الحياة السياسية في الهند	د. ظفر الإسلام خان	٨٠
١١	هندوتفا: منظماتها وأفكارها ونظرتها للمسلمين	برهان أحمد الصديقي	١٢٩
١٢	تأطير المسلمين في قضايا الإرهاب الملفقة	د. محسن عتيق خان	١٣٦
١٣	حصة مسلمي الهند في الوظائف الحكومية.. بين الإقصاء والتمييز	محمد أحمد الجعفري	١٤٤
١٤	تهميش المسلمين الهنود في مجالات الإعلام والثقافة والفنون	تفسير حسين	١٥٦
١٥	كشمير.. المسلمون تحت وطأة التطرف الهندوسي	محمد سرحان	١٦٥
١٦	الإعلام الهندي والتحريض على إبادة المسلمين	فايز الحق	١٨٧
١٧	دراسة للقوانين التمييزية ضد المسلمين والمكونات المهمشة في الهند	أبوظفر	١٩٦
١٨	مستقبل مسلمي الهند	د. محمد ضياء الله	٢١٥

هذا الكتاب

يأتي هذا الكتاب استكمالاً لسلسلة إصدارات «المجتمع» التي تخدم قضايا الأمة الإسلامية ومعايشة أحوال المسلمين في العالم.

وقد وضَّح هذا الكتاب تاريخ وصول الإسلام إلى الهند وأهم محطاته التاريخية، والمؤسسات التي تعمل لخدمة المسلمين وخاصة المؤسسات التعليمية، وأهم المشكلات التي تتعرض لها.

كما ضم الكتاب تاريخ تأسيس ندوة العلماء ومدرسة الإصلاح والجامعة السلفية وجامعة الفلاح، ومساهمات علماء الهند في خدمة السُّنة النبوية.

كذلك ضم الكتاب الحديث عن مآسي مسلمي الهند في ظل الحركة القومية الهندوسية، وحرمانهم من تولي المناصب القيادية وتحريض الإعلام ضدهم.

ويختتم الكتاب بالحديث عن مستقبل مسلمي الهند في ظل هذه التحديات، ودور مسلمي العالم نحوهم.

وتتشرف مجلة «المجتمع» بإصدار هذا الكتاب، سائلين الله تبارك وتعالى القبول والسداد والتوفيق.

مركز المجتمع للأبحاث والمعلومات

تليفون: 222528684 – 965+ - 22513616 - 965+

تليفاكس: 22560525 - 965+ - ص.ب: 4850 الكويت

البريد الإلكتروني: info@mugtama.com